

حَضْرَةُ الثَّقَافِيَّةِ

ربيع الأول ١٤٣٩ هـ - Desember - 2017 Hadhramaut AL-Thaqafiah Magazine

مجلة فصلية - السنة الثانية العدد (6)



المؤرخ الملاحى
لسانك حصانك

حوار مع المؤرخ
جعفر السقاف



◀ إطلالة تاريخية على منتصف القرن الخامس الهجري

◀ حضرموت في الدراسات والمؤلفات الببليوغرافية

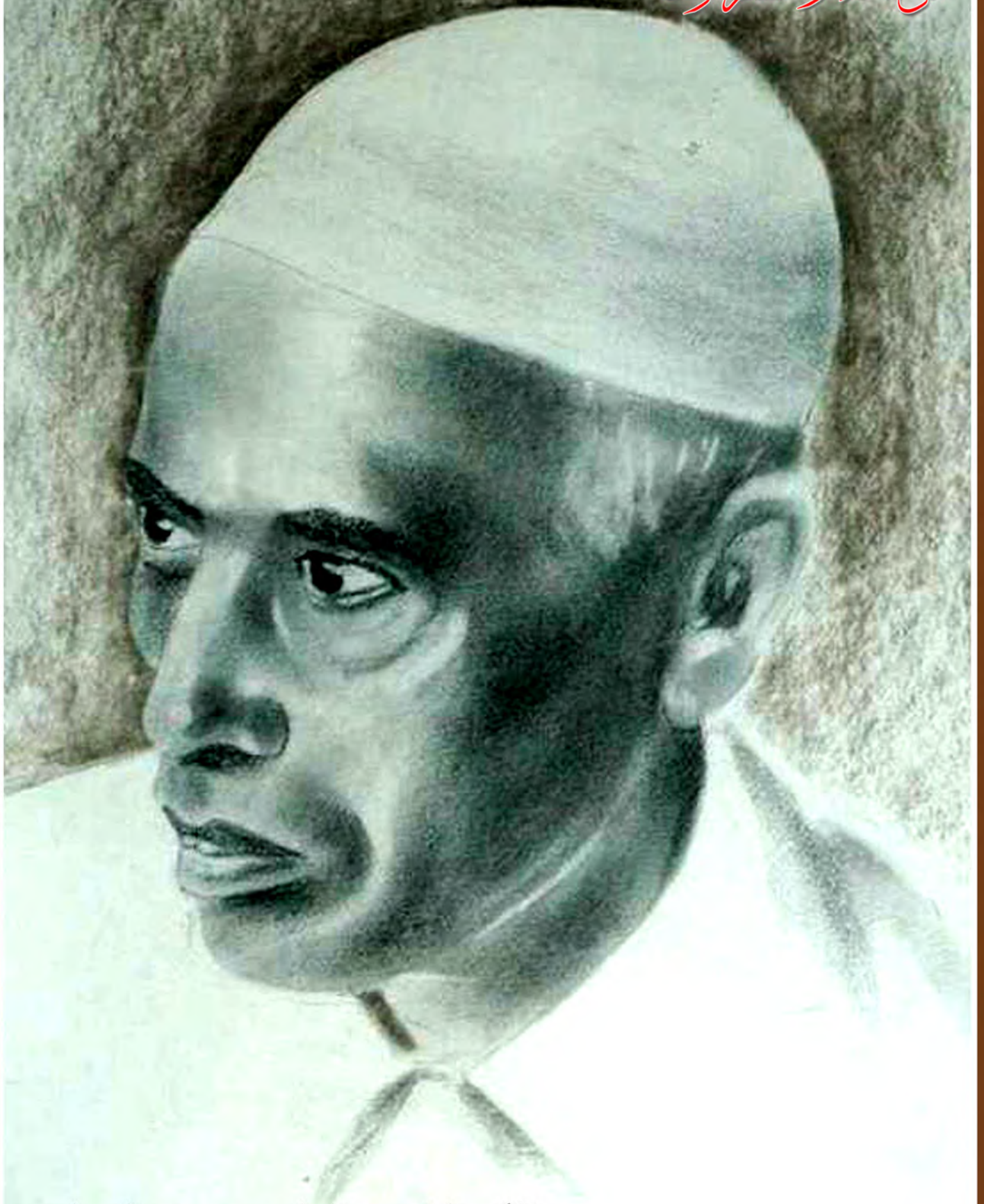
◀ الغيمة التائهة أو حسين عمر نتيخان
خطوط قلبية
لملامح الوطن

ملف خاص عن :

مملكة حضرموت القديمة



من أعلام حضرموت



الأستاذ عبد القادر محمد الصبان

محتويات العدد

حديث البداية

- عام مضي وجديد يتشكل! أ. محمد بن سالم بن علي جابر 4

أصوات

- حضرموت في الدراسات والمؤلفات الببليوغرافية د. حسن صالح الغلام العمودي 9
- إطلالة تاريخية من خلال كتاب الدلائل والحجج أكرم مبارك عصبان 18
- مجموعة المقالات والأحكام والفتاوى النادرة محسن علوي أبوبكر باعلوي 23
- ميناء الحامي.. مستودع الربابنة ومهوى الباحثين محمد علوي باهارون 26
- هل وقف المؤرخان ابن حجر وتلميذه السخاوي على شيء من تاريخ آل العمودي؟.. طارق بن محمد العمودي 29

ترجمة

- وصف لبعض النقوش التي تم العثور عليها في الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية... د. خالد عوض بن مخاشن 32

حوار العدد

- حوار مع المؤرخ السيد جعفر محمد السقاف صالح حسين الفردي 36

كتابات

- أن تشعر بأنوثتك د. سعيد سالم الجبري 45
- محمد سعيد القدال .. باحثاً ومترجماً في الشأن الحضرمي نجيب سعيد باوزير 46
- قراءة في كتاب "رحلة جاوا الجميلة وقصة دخول الإسلام إلى شرق آسيا" عمر عبدالله حمدون 50

ملف العدد

- التجار الحضارة في الأرخبيل الإيجي أ.د. محمد بن هاوي باوزير 54
- التصوير الجداري في مملكة حضرموت د. محمد صالح بلعفير 58
- ظاهرة دفن الجمال في حضرموت قبل الإسلام د. محمد عوض باعليان 65
- المدن والأماكن الحضرمية في نقشي IR 3 I/32 أحمد صالح الرياكي 73
- المعتقدات والطقوس الدينية بحضرموت قبيل الإسلام علي سالم علي باهادي 78

دراسات

- ملاحظات على معجم شعراء العامية الحضرمية أ.د. عبدالعزيز سعيد الصيغ 85

نقد

- الغيمة التائهة أو الشاعر حسين عمر شيخان أ.د. عبدالله حسين البار 91
- قراءة في نص (السيف أصدق أنباء ..) لأبي تمام زهير برك الهويل 99

شخصيات

- أعلام من النساء الحضرميات عادل حاج باعكيم 104

إبداع

- خطوط قلبية لملامح الوطن (قصيدة) د. أحمد سعيد عبيدون 108
- إلى عبقرى الفيس بوك .. هذا أنا يا مارك (سرد) محمد علي باعيسى 109
- سفر النجوم (سرد) خالد حمدي 110
- ظلال صباحية داكنة (سرد) صالح بحرق 112

توقيع قلم

- المؤرخ الملاحى .. لسانك حصانك أ.د. عبدالله سعيد الجعدي 114

حضر موت الثقافي

مجلة فصلية

السنة الثانية العدد (6)

أكتوبر - ديسمبر 2017م

تصدر عن مركز حضرموت

للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

صاحب الامتياز

الأستاذ محمد سالم بن علي جابر

المشرف العام

أ.د. عبدالله سعيد بن جسر الجعدي

رئيس التحرير

د. عبدالقادر علي باعيسى

السكرتير الفني

حسن أحمد بلجعد

الصور

م.عبدالله جمال بن عبدالعزيز

التدقيق اللغوي

د. جمال رمضان حديجان

الهيئة الاستشارية

أ.د. عبدالله حسين البار

أ.د. ناجي جعفر الكثيري

أ.د. مسعود سعيد عمشوش

أ.د. خالد يسلم بلخشر

د. طه حسين الحضرمي

د. أحمد سعيد عبيدون

د. صادق عمر مكنون

- المواضيع المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترتيب المواد جاء وفق شروط فنية إخراجية.
- المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تتسلمها للنشر، سواء نشرت أم لم تنشر.
- المجلة لا تتقدم بنشر المقالات المرسل إليها بخط اليد.

مراسلات المجلة

hc.magazine16@gmail.com

Baesa-1@hotmail.com

موقعنا على الشبكة الإلكترونية

www.hadramout.center

العنوان : المكلا - جامعان عمارة بن سواد - ت. ٥٠١٢٥

عام مضى وجديد يتشكل!

وأنت تقلّب - عزيزي القارئ - صفحات هذا العدد (السادس) من مجلّتك (حضر موت الثقافية) نكون في مركز حضر موت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر قد طوينا عامنا الثاني في رحلة البحث والتقصي للجذور وامتدادها في أعماق التاريخ الحضري - وطناً ومهجراً وتأثيراً وتأثراً - فبالأس القريب وفي الفترة من: ٢٢ - ٢٣ نوفمبر كنّا على موعد في العاصمة الإندونيسية (جاكرتا) والمؤتمر الدولي (فعالية دور الحضارة في إندونيسيا) وهو المؤتمر الذي جاء تنويحاً للشراكة العميقة مع المعهد الوطني الإندونيسي ووزارة الشؤون الدينية الإندونيسية ومركز منارة وشارك في تقديم أوراقه البحثية العلمية بحضور عدد من الشخصيات الأكاديمية من أوروبا، وأفريقيا، وبعض دول الوطن العربي إضافة إلى المشاركين من أرخبيل الملاوي، وجميعها مهمة بتاريخ الهجرة الحضريّة.



الأستاذ:

محمد بن سالم بن علي جابر

لقد استطعنا في أيام المؤتمر أن نؤسس لعلاقات ثنائية جديدة مع عدد من مراكز الدراسات والبحوث في عدد من دول العالم التي تهتم بالعملة الثقافية وتتبع رباحها الاجتماعية والحضارية وتلاقحها الإنساني في كل أرجاء المعمورة، وكان مركز حضر موت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر عند مستوى الحدث العالمي وأسهم بشكل كبير في إنجاح هذا المؤتمر الذي ستظهر نتائج مخرجاته العلمية والثقافية والتاريخية في الأيام القليلة القادمة وسنحرص على نشرها تبعاً في أعداد المجلة القادمة. ولأننا نهتم كثيراً بتفعيل المشهد الثقافي في حضر موت ونعمل على تحريك الواقع الأكاديمي وتنشيط حركة البحث المنهجي وإعادة قراءة التاريخ برؤية عميقة لتجسير الهوة التي يعاني منها التاريخ الحضري القديم والحديث والمعاصر، فإن هذا العدد يتزامن مع يوميات المؤتمر العلمي الدولي الثاني بمدينة المكلا تحت عنوان: (التاريخ والمؤرخون الحضارة في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي) الذي يشارك في تقديم أوراقه نخبة من المختصين في علم التاريخ.



ومن المشاريع الاستراتيجية التي يتبناها المركز مشروع (الموسوعة الحضرمية) التي بدأت الخطوات العلمية الأولى لنشاط لجنتها العلمية ولجانها المختصة منذ منتصف العام ٢٠١٧م التي اتخذت جملة من الإجراءات الفنية والإدارية واللوجستية وعقدت عدداً من اللقاءات لمناقشة خارطة الطريق لعمل فرق الموسوعة والخطط التفصيلية للجان المختصة الميدانية والعلمية والتحكيمية في أثناء عمليات البحث والتقصي والتدقيق والإجازة العلمية النهائية التي سيتبعها المرحلة التجميعية فالتبويب فالطباعة فالنشر بعد أن تكون المادة العلمية قد استوفت كافة الشروط والمعايير التي وضعتها اللجنة العلمية المشرفة على مشروع الموسوعة الحضرمية في جميع المراحل.

وخلال العام الذي نظوي آخر أيامه استطاعت رئاسة المركز ومديره والدوائر فيها تنفيذ الخطة العامة للنشاط التي تنوعت فيها الفعاليات الثقافية والمحاضرات العلمية والندوات وحلقات النقاش وورش العمل إضافة إلى انتظام إصدار المجلة الفصلية والاستمرار في عملية إصدار الكتب بعد إجازتها من اللجنة العلمية والاهتمام بتوثيق المخطوطات والوثائق وتسجيل وتوثيق ذاكرة الأعلام الحضارية تلفزيونياً وإنتاج نماذج أولية من الأفلام الوثائقية للأمكنة، وسيسمى المركز في خطته الطموحة للعام القادم ٢٠١٨م إلى تنويعها بما يتواءم والمكانة المرموقة التي يحتلها المركز في المشهد الثقافي والأكاديمي بحضر موت وحيثما يمتد تأثيرها وصداها.

وإذ نعمل على الارتقاء بعملنا في المركز سنظل في حاجة إلى مساهماتكم وتفاعلكم وآرائكم ومقترحاتكم لتطوير آليات عملنا ومحتويات خططنا الراهنة والمستقبلية، فالنجاحات التي يحققها المركز لم تأت إلا بفضل من الله عز وجل أولاً، ومن ثم دعمكم ومساندتكم المستمرة وحضوركم الدائم لأنشطته وفعالياته، فلجميع نرسل أسمى آيات الشكر والتقدير ونعد أننا سنعمل كفريق واحد لا همّ له ولا غاية إلا هذا التاريخ الحضرمي المجيد الذي بدأنا الخطوة الأولى في سبيل إعادته إلى واجهة الحضارة وعيون التاريخ وآفاق المستقبل.



الحافظ البحسني يزور مركز حضرموت للدراستات التاريخية والتوثيق والنشر بالوكالة

من جانبه أبدى أ.د. عبدالله سعيد الجعدي رئيس المركز عن سعادته الكبيرة بهذه الزيارة معبراً باسمه ونيابة عن مديري الدوائر بالمركز والعاملين فيه عن اعتزازهم بهذه الزيارة الخاصة وتقديرهم لها واعتبارها رصيذاً خاصاً يعزز من دور المركز في المجتمع ويدفع الأساتذة والعاملين فيه إلى مزيد من النشاط العلمي والثقافي لخدمة حضرموت وتاريخها فيما استعرض مديرو الدوائر بالمركز بصورة موجزة إضاءات سريعة عن نشاطات عملهم. وفي ختام اللقاء أهدى أ.د. رئيس المركز عدداً من إصدارات المركز إلى سيادة اللواء الركن محافظ المحافظة.



والخارج والندوات وحلقات النقاش والمحاضرات معتبراً ذلك النشاط ركيزة أساسية في تنشيط الوعي الثقافي في الواقع المجتمعي في حضرموت وأنه سيفتح للأجيال آفاقاً مستقبلية للتعرف على ثقافتها وتاريخها.

قام سيادة اللواء الركن فرج سالمين البحسني محافظ محافظة حضرموت وقائد المنطقة العسكرية الثانية بزيارة إلى مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر مساء الأربعاء ٢٧ / ٩ / ٢٠١٧م التقى خلالها برئيس ومديري الإدارات العاملة بالمركز معبراً عن سعادته بهذه الزيارة والتعرف عن كثب على نشاطات المركز الثقافية المختلفة في مجال خدمة حضرموت وتاريخها من حيث إصدار الكتب ومجلة حضرموت الثقافية الدورية والتوثيق التلفزيوني و تصوير المخطوطات وحفظها والاهتمام بعقد المؤتمرات الدولية العلمية في الداخل



زيارة مدير مكتب الإعلام بحضرموت إلى المركز

جوانب مختلفة، بوصف أن الجانب الثقافي لم يحظ بعناية كبيرة رغم أنه يدخل في تكوين جوهر الإنسان ورسم ملامح خطواته بوعي. كما ناقش الجانبان تعزيز أواصر التعاون المستقبلي بينهما بوصف الجانب الثقافي والتاريخية والإعلامية جوانب متكاملة تصب في مجرى واحد. هذا وقد رافق الأستاذ الحمومي في زيارته إلى المركز الأستاذان سعيد سبتي وعبد الوهاب محمد الحوثري اللذين أثريا اللقاء بأرائهما وملاحظتهما القيمة.

عبدالله سعيد الجعدي حيث تبادل الطرفان عدداً من وجهات النظر حول بعض القضايا الثقافية، وكيفية تفعيلها وإبرازها بما يعمل على تنمية وعي المجتمع وسد بعض الثغرات التي هي بحاجة إلى نشاط ثقافي مكثف في

قام الأستاذ سالم العبد الحمومي مدير مكتب وزارة الإعلام بمحافظه حضرموت صبيحة يوم الأحد الموافق ١٠ / ١٧ / ٢٠١٧م بزيارة إلى مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر التقى خلالها أ.د.





7

العدد (6)
أكتوبر
ديسمبر
2017م

زيارة وفد مركز حضرموت إلى مدن الوادي



وبالتنسيق مع مكتب الثقافة بمديرية شبام ومركز شبام للتنمية الثقافية ألقى أ. سالم عمر الجعدي الفلكي المعروف محاضرة في مدينة شبام وتحديدًا في (مركز شبام للتنمية الثقافية) عن (التاريخ الهجري والتقويم الشبامي) استعرض فيها خصوصية التقويم الهجري (القمرى) وما يمتاز به عن التقويم الشمسى أو ما يعرف بالميلاد متطرقًا إلى الحديث عن النجوم الشبامية بطريقة فلكية علمية.. ثم التقى الوفد بعدد من أعيان المدينة المثقفين في شبام والحوطة.

هذا وقد حضر المحاضرات الثلاث جمع غفير من الأساتذة والمثقفين والأعلام في المدن الثلاث الذين أثروا المحاضرات

المركز وتدارس الطرفان إمكانية التعاون بينهما، كما زار الوفد مكتبة تريم الحديثة بفرعها للغاية نفسها، والتقى في سينون بالأستاذ محمد الحداد مدير المركز الوطني للوثائق التابع لرئاسة الجمهورية في مكتبه بمجمع الدوائر الحكومية حيث تبادل الطرفان المناشط التي يقومان بها في سبيل خدمة التراث الحضرمي وسبيل التعاون بينهما، وفي المساء وبالتنسيق مع مكتب وزارة الثقافة بالوادي قدم أ. صالح حسين الفردي محاضرة في قاعة الأديب علي أحمد باكثير بمدينة سينون عن (التراث الغنائي الحضرمي - بدوي الزبير نموذجًا)



بنقاشاتهم القيمة شاكرين لمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر ما يقوم به من دور خدمة للثقافة والتاريخ الحضرمي، فيما عبر الوفد عن سعادته بهذه الزيارة والتقاءه بهم والدور الذي تؤديه مراكزهم ومؤسساتهم في خدمة حضرموت أيضًا.

استعرض فيها أبرز ملامح التراث الغنائي الحضرمي والدور الذي أداه الفنان بدوي الزبير في الحفاظ على هذا التراث وتطويره مستندًا إلى نماذج بالصوت والصورة تم عرضها على جمهور الحاضرين للفنان بدوي زبير. وفي العاشرة من صباح الخميس

قام وفد مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر المكون من أ.د. عبدالله سعيد الجعدي رئيس المركز وأ.د. خالد يسلم بلخشر مدير إدارة العلاقات العامة والترجمة و د.حسن صالح الغلام مدير إدارة الأبحاث والدراسات و د. عبدالقادر علي باعيسى مدير إدارة الإعلام والثقافة و أ. صالح حسين الفردي مدير إدارة الإنتاج التلفزيوني و أ. سالم عمر الجعدي الباحث الفلكي المعروف بزيارة علمية إلى وادي حضرموت في المدة من الثلاثاء ١٧ أكتوبر - الخميس ١٩ أكتوبر ٢٠١٧م وتحديدًا إلى مدن تريم وسينون وشبام حيث ألقى د. عبدالقادر باعيسى



بناء على تنسيق المركز ثقافيا مع مركز الرناد التاريخي محاضرة مساء يوم الثلاثاء في قاعة معهد التفوق بتريم بعنوان: (القدال باشا من التعليم إلى السياسة في حضرموت) تطرق فيها إلى تحليل فصلين من كتاب (الشيخ القدال باشا معلم سوداني في حضرموت) هما الفصل المتعلق بالتعليم والفصل المتعلق بالسياسة من تأليف نجله أ.د. محمد سعيد القدال بالإضافة إلى تحليل مقدمة الكتاب وفق آلية المنهج التفكيكي تلتها جلسة علمية حوارية في بيت أولاد السيد حسن عبدالله السقاف (السوم) وبالتنسيق مع مركز الرناد أيضا عن مشروع الموسوعة الحضرمية وأفاق تطور عمل المركز مستقبلا.. وفي اليوم الثاني (الأربعاء) قام الوفد بزيارة إلى مكتبة الأحقاف للمخطوطات بتريم التقوا خلالها بالسيد حسين الهادي أمين المكتبة الذي اطلع على نشاط



مركز حضرموت يشارك في فعالية الذكرى الرابعة لرحيل المؤر عبد الرحمن الملاحي

اتحاد الأدباء والكتاب بساحل حضرموت برئاسة د. عبد القادر باعيسى وعدد من الأساتذة والمثقفين أعضاء الاتحاد والمهتمين من المكلا وغيل باوزير حيث تمثلت مساهمة الاتحاد في محاضرة القاها أ. أكرم أحمد باشكيل بعنوان



إحياءاً للذكرى الرابعة لرحيل الأديب والمؤرخ الكبير عبد الرحمن عبد الكريم الملاحي أسهم مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر صبيحة يوم السبت الموافق ٢٠١٧/١١/٤م بالمشاركة في الفعالية الثقافية التي نظمها مكتب وزارة الثقافة بمديرية الشحر بمقر جمعية الصيادين التعاونية بالشحر وذلك بعرض الجزء الثاني من الفيلم التسجيلي التوثيقي الذي أعده المركز عن حياة الفقيه الملاحي، وقد تكون وفد المركز من أ.د. عبد الله سعيد الجعدي رئيس المركز، و د. عبد القادر علي باعيسى مدير إدارة الإعلام والثقافة، و أ. صالح حسين الفردي مدير دائرة التوثيق التلفزيوني، و أ. عادل حاج باعكم

(وقفات مع حياة المؤرخ والباحث عبد الرحمن الملاحي) ومداخلتين عن الملاحي القاها أ. صالح حسين الفردي و أ. عبد القادر سعيد بصعر.

حضر الفعالية المهندس أمين بارزق مدير عام مديرية الشحر و أ.مصبح الغرابي أمين عام المجلس المحلي وعدد من أشقاء الفقيه وأبنائه وأحفاده وجمع غفير من مثقفي الشحر و المشقاص عموماً وأعيانهم. هذا وقد قام الوفد بعد الفعالية بزيارة متحف المحضر معرباً عن سعادته بهذه الزيارة حيث كان في استقباله أ. أمين عوشان مدير المتحف.

مدير إدارة الوثائق والمخطوطات. والجدير بالذكر أن وفد مدينة المكلا الثقافي إلى الشحر ضم إلى جانب وفد مركز حضرموت للدراسات التاريخية وفد



زيارة التربوي بازهير إلى مركز حضرموت



وادي حضرموت وتحديداً في مدن السويدي ودمون وقسم إلى مكتبة المركز، وفي أثناء هذا تبادل الطرفان الحديث عن أهمية الاهتمام بالتعليم والتاريخ والحفاظ على مقتنيات التراث الحضاري ومعالمه في حضرموت.

قام التربوي القدير الأستاذ عبد الله كرامة بازهير مساء الثلاثاء ١٠ أكتوبر ٢٠١٧م بزيارة ودية تعريفية إلى مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر يرافقه د. جمال رمضان حديجان والأستاذ مراد أحمد بن مسلم، وكان في استقبالهم أ.د. عبد الله سعيد الجعدي رئيس المركز بمكتبه بمعية أ.د. خالد يسلم بلخشر مدير إدارة العلاقات العامة والترجمة و د. عبد القادر علي باعيسى مدير إدارة الإعلام والثقافة، وقد أهدى الأستاذ الضيف عدداً من الكتب المتعلقة بتاريخ التعليم في



(٢ - ١)

حضر موت في الدراسات والمؤلفات الببليوغرافية



الببليوغرافيا علم يختص بالكتابة عن أسماء الكتب مخطوطة أو مطبوعة ووصفها أو تحليلها، وقد سجلت الحضارة العربية الإسلامية معرفه هذا العلم، وإن لم تطلق عليه التسمية الشائعة اليوم "ببليوغرافيا"، وقد شهد القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ميلاد أول عمل لهذا العلم عند المسلمين من طرف محمد بن إسحاق المعروف بابن النديم المتوفى سنة ٤٠٠هـ / ١٠١٠م في كتابه الموسوم بـ "الفهرست"، وقد استخدم هذه المفردة وجعلها عنواناً لكتابه إشارة منه إلى حصر مادون في لغة العرب أو ترجم إليها

منذ أقدم العصور إلى زمنه (١)، تناول فيه ستة آلاف عنوان، وزّعها على عشر مقالات في اثنين وثلاثين فناً.

أما الحضارة الأوروبية فقد عرفت ذلك العلم باسم ببليوغرافيا "Bibliographic"، وهو لفظ يتكون من كلمتين هما: Biblos "بمعنى كتاب" و Grapho "ومعناها يكتب"، وأصبح ذلك اللفظ يطلق في اللغات الأوروبية على فن نسخ الكتب، وظل المعنى يرافق ذلك اللفظ حتى تحول مدلوله في النصف الثاني من القرن الثامن عشر من كتابة الكتب إلى الكتابة عن الكتب (٢). وفي إطار هذا المعنى تبلورت مجموعة من أنواع الكتابة الببليوغرافية عد منها بعض الباحثين ثمان وأربعين نوعاً، ثم قسمها بحسب مدلولاتها على ثلاث مجموعات، وتلك المجموعات قسمها على ثلاثة قطاعات عريضة هي:

أولاً: الببليوغرافيا التاريخية . ثانياً: الببليوغرافيا البحثية . ثالثاً: الببليوغرافيا التطبيقية .

المصادر خاصة المخطوطات منها مما يسهل للباحث الوصول إليها بأسرع وقت ممكن. زيادة على أن المؤلفات و الدراسات الببليوغرافية تمثل وسائل عمل ضرورية للباحث وتضفي على بحثه الصبغة الأكاديمية التي تفتقدها معظم الأبحاث التي تقدم إلى جامعاتنا العربية (٤) ولا سيما الحضرمية منها .

لقد كانت ولا زالت حضرموت محل اهتمام عدد من الباحثين عرباً وأجانب، فتوفرت عنها العديد من الدراسات باللغة العربية وباللغات الأجنبية، فإذا تعذر علينا حصر ما لفظته السنة المطابع مما دون عنها باللغة العربية، فإن ما كتب عنها باللغات الأوروبية حتى عام ١٩٧١م ينيف على خمسة آلاف نص بين كتاب ومقال (٥)، فكان ذلك دافعاً للمشتغلين بالدراسات الببليوغرافية أن

١- الببليوغرافيا النسقية: وهي التي تهتم بحصر الإنتاج الفكري في موضوع ما، وتعد الأكثر شيوعاً بين المهتمين بالتصنيف في هذا المجال .

٢- الببليوغرافيا التحليلية: وهي التي تعتني بالوصف المادي للكتاب من حيث ورقه وطباعته ونوع حروفه وغير ذلك.

وبالإجمال فإن للدراسات الببليوغرافية بكل أنواعها أهميتها عند المشتغلين بالبحث العلمي في كافة فروع المعرفة الإنسانية وتخصصاتها العلمية؛ حيث تزودهم بأسماء "المصادر" و "المراجع" ذات الصلة بموضوع أبحاثهم بأقل وقت ممكن، فضلاً عن أنها تساهم بالكشف المبكر في إمكانية الاستمرار بالمضي قدماً لإنجاز الموضوع أو عدمه . بل إن البعض منها يحدد أماكن تواجد



د. حسن صالح الفلام العمودي

ويذهب ذلك الباحث إلى أنه يندرج تحت كل قطاع منها شعب وربما تفرعت الشعب على فروع (٣). وبالرغم من تنوع الكتابة الببليوغرافية فإنه يمكننا أن نشير إلى نمطين منها؛ لكونهما أكثر استخداماً بين الباحثين، زيادة على أن أغلب الدراسات التي أشارت إلى الإنتاج الفكري والعلمي المتعلق بحضرموت يندرج في إطارهما وهما:



يرصدوا ذلك الكم الهائل من الدراسات كل في مجال اختصاصه، فضلاً عن ما أنتجته قريحة أبناء حضرموت أنفسهم من أعمال الفكر في شتى فروع المعرفة والعلوم الإنسانية (٦).

إن تداخل موضوعات الدراسات الببليوغرافية عن حضرموت تجعل من الصعب تقديمها وفقاً لموضوعاتها، غير أنه يمكن حصرها في نوعين هما:

أولاً: مؤلفات ببليوغرافية خاصة: وهي التي عني فيها أصحابها برصد عدد من جوانب الإنتاج الفكري والعلمي الخاص بحضرموت، في موضوعات مختلفة، وقد جاء البعض منها على شكل كتب وأخرى في مقالات وبحوث.

ثانياً: مؤلفات ببليوغرافية عامة: خصصها أصحابها لرصد النتاج الفكري لبلاد المسلمين عامة، فكان لحضرموت ثمة حضور فيها.

إن تناولنا لكلا النوعين سيتم على وفق سنوات نشرها بهدف إبراز التراكم المعرفي عن حضرموت.

أولاً: المؤلفات الببليوغرافية الخاصة:

١- المستشرق الإنجليزي روبرت سيرجنت: (RB) Serjeant



يعود اهتمام سيرجنت بالتراث والتاريخ الحضريين إلى النصف الثاني من القرن العشرين، وقد أنجز جملة من الدراسات المهمة والرصينة التي تهم الباحث في التراث والتاريخ والثقافة والفكر الحضري، هي ثمرة اطلاعه المباشر

على المكتبات الحضرمية ومحتوياتها خلال إقامته في حضرموت ١٩٤٧ - ١٩٤٨ م. إضافة إلى ما سمعه ودونه من أخبار وآراء من أبناء المنطقة أنفسهم (٧). جاءت مساهمته في حصر بعض أعمال المؤرخين الحضرمية المحليين من غير سواهم وقد نشرها تحت مسمى: (مادة تاريخية حول جنوب الجزيرة العربية "ملاحظات عن مخطوطات جديدة في حضرموت") (٨).

الموضوع جاء في قسمين: قدم للأول بأسباب وفرة المخطوطات في حضرموت، واختفاء المبكرة منها، كما أشار إلى أهم المراجع التي اعتمد عليها في تناوله موضوعه، فضلاً عن قائمة بأسماء المكتبات التي زارها، ثم تناول في القسم الأول المخطوطات التاريخية، معرّفاً بمؤلفيها، ومحددًا لمواقعها وللمراجع ذات العلاقة بها، ومن ثم وصفها وعلق عليها. هذا بالإضافة إلى ذكره بعض الأعمال المتعلقة بالأنساب والتراجم.

أما القسم الثاني من الدراسة الذي حمل العنوان نفسه (٩) فقد استكمل فيه الحديث عن بعض المصادر معتمداً المنهج نفسه الذي سلكه في القسم الأول، غير أنه لم يلتزم بطريقة معينة في دراسة مصادره، فتارة يقدم المتأخر وطوراً يؤخر المتقدم.

وهناك دراسة أخرى لسيرجنت تناولت المؤرخين وكتابة التاريخ في حضرموت (١٠)، اعتمد فيها على ما أورده في دراسته أنفة الذكر بقسميها، وعالج فيها كثيراً من القضايا، مثل: الأسباب الكامنة وراء ندرة المادة التاريخية في النقوش الحضرمية قبيل الإسلام، وكذا ضآلتها بعده، إضافة إلى تناوله نفرًا من المؤرخين والإخباريين الحضريين تم تسجيله لعدد من الملاحظات على الأنساب والمادة التاريخية في الكتابات الحديثة. وقد ركز سيرجنت في ذلك على الخلاف العلوي - الإرشادي، الذي عاشه المهاجرون الحضرميون في جنوب شرق آسيا وتحديداً في أندونيسيا، وانعكاس

أثر ذلك الخلاف على الكتابات التاريخية الحديثة عند الباحثين الحضريين. كما درس بعض أعمالهم مقيماً إياها وموضحاً ما تحمله من أطروحات بشأن كثير من قضايا الفترة الوسيطة من التاريخ الحضري.

تكمّن أهمية الدراسة فيما حملت من آراء للكاتب بصدد بعض المزاعم التي يروج لها جل المؤرخين العلويين المحدثين بشأن الفترة الوسيطة من التاريخ الحضري وتشكيكه في صحتها، وإن كان لا يعلن ذلك صراحة، بل يؤمى إليه.

٢- عبد الله محمد الحبشي:

له إسهامات جليلة وكثيرة في إحياء وحفظ وصيانة التراث والتاريخ والثقافة الحضرمية، من خلال التأليف والتحقيق والنشر، فضلاً عما يقوم به من توضيح وتصحيح أينما تمكن من ذلك، إضافة إلى اهتماماته العلمية والتاريخية والثقافية بالأقطار العربية الأخرى. وهو علم لا يمكن للمشتغلين والمهتمين بالتاريخ الحضري خاصة والإسلامي عامة تجاوز إنتاجه العلمي، بل ويفرض نفسه على الباحثين بما دونه في هذا المجال، ويعد في ضمن الرواد الأوائل الذين طرّقوا هذا المجال. ومما خص به حضرموت كتاباً حمل عنوان: (فهرست المخطوطات اليمنية في حضرموت، المحافظة الخامسة) (١١):

جاء الكتاب في (١١٢) صفحة من الحجم المتوسط، واشتمل على تصدير للناسر وملاحظات للقراء، ثم مقدمة المؤلف الذي بيّن فيها أسباب اهتمام المشتغلين بالآثار والنقوش القديمة وما رافق ذلك من صعوبات وخطورة، وإهمال الجانب الآخر من الآثار المتمثل في المخطوطات، وإسدال الستار عليها فترة من الزمن، واغتنام تلك الفرصة من قبل بعض الأوروبيين باقتناء المخطوطات بطرق وأساليب شتى؛ لاستكمال ما تعانيه مكتبات بلدانهم من نقص، مبيناً في هذا المنحى الأسباب والعوامل الخارجية والداخلية



قريباً من غيره إلى معاقل تلك المصادر، لتبوّنه إدارة مكتبة الأحقاف للمخطوطات بترميم، فضلاً عن أنه سليل أسرة كانت لها مكانتها في الحياة العلمية والثقافية بالمدينة. غير أنه قد لامس في مقدمة بحثه مشاكل ومصاعب يعاني منها الباحث في مصادر التاريخ الحضرمي.

٤- أحمد سعيد باحاج :
جاءت مساهمة هذا المؤلف وبحكم اختصاصه العلمي في مجال الجغرافيا، فقد اهتم بالرحلات والدراسات الجغرافية لحضرموت منذ القدم حتى عهده، وقد رصد كل ذلك في كتابه الموسوم بـ "الرحلات والدراسات الجغرافية لحضرموت" (١٣).



الكتاب يتكون من ١٦٠ صفحة من الحجم المتوسط، وقد صدر كتابه بالإهداء وذكر المحتويات وفهرسين: الأول: للخرائط، والثاني للصور، إضافة إلى مقدمة المؤلف وخمسة فصول. والفصول اشتملت على عدد من المباحث تختلف باختلاف ما توفر عنها من مادة علمية، ثم يتبّرع ذلك بالتوصيات التي خرجت بها الدراسة. وملحق للصور زيادة على فهرسين: الأول: بأسماء المواضيع، والثاني: بالأعلام، ثم أتى على ذكر مراجع الصور والخرائط، وأخيراً أتى بقائمة لأسماء المصادر والمراجع.

٣- علي سالم بكير :

لـه : "بحث في مصادر التاريخ الحضرمي" (١٢)، صدر البحث مدبجاً بمقدمة أشار فيها إلى ما يعانيه الباحث في التاريخ الحضرمي من مصاعب



وعقبات ممثلة في ندرة المصادر والمراجع وصعوبة التعامل معها، ملاحظاً في الوقت نفسه معاناة دراسات التاريخ الحضرمي من ثغرتين بحاجة إلى نظر وتحقيق وهما: الأولى: "آثارها"، والثانية: "تاريخها". ثم تناول المؤرخين الحضارم، وقسمهم إلى ثلاثة أجيال مشيراً إلى ممثل كل "رعيل"، وتعرض إلى سبب تأخر تدوين التاريخ الحضرمي، وغموض فترة الحكم الأباضي فيه منذ سنة ١٣٠ هـ/٧٤٧م حتى مطلع القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.

لقد عزا بكير سبب عدم التدوين إلى نظرة الأباضية للاشتغال بكتابة التاريخ؛ حيث عدّوه من "الفضول"، كما فند الزعم القائل: إن فقدان مصادر التاريخ الحضرمي يعود إلى نظرة الخلف لآثار السلف لما رأوا فيه ما ينكرونه عليهم. على أن ما يؤخذ على هذه الدراسة تضمنها إشارات عامة وعابرة عن المؤرخين والاكتفاء بذكر أسمائهم وعناوين مؤلفاتهم، من غير الترجمة لهم أو الغوص في مصنفاتهم للكشف عن محتوياتها وأساليب تدوينها ومصادرها. وصاحب الدراسة كان أكثر

في فقدان وتشبيت كنوز التراث الحضرمي، فضلاً عن عوامل إتلاف الكتب المخطوطة.

ولئن كان عنوان الكتاب "المخطوطات اليمينية في حضرموت" يوحي بأنه يعتني برصد ما هو يميني من تلك المخطوطات، فإن هذا لا يعني خلوّ الكتاب من المخطوطات الحضرمية الأصل والمنشأ، بل إننا نجد أن أغلب ما ورد فيه يتعلق بالمخطوطات الحضرمية. وبعض المخطوطات من بلدان إسلامية أخرى نسخت في حضرموت، وقد اشتمل الكتاب على ما وجدته المؤلف من مخطوطات في أربعة عشر مكتبة شخصية للأهالي منتشرة في ربوع وادي حضرموت وفروعه، وقد اعتمد في إخراجها على أسماء المكتبات مدخلاً، وعلى الترتيب الأبجدي لأسماء المخطوطات أسأ لعرضها، وأشار إلى عدد أوراقها، وسنوات خطها، ثم أتى على ذكر مؤلفيها وسنوات وفياتهم، وقد جاءت موضوعات تلك المخطوطات في جملة من العلوم: كالفقه، والتفسير، والتاريخ، والتراجم، واللغة، والأدب، والفلك، والطب، والتصوف وغيرها.

الجدير بالذكر أن هذه المكتبات ومحتوياتها التي ذكرها الحبشي تكوّنت منها النواة الأولى لما عرف فيما بعد بمكتبة الأحقاف للمخطوطات بترميم، وصدر لها فهرس أولي سنة ١٩٨٥م، ثم أضيفت إليها بعض المخطوطات التي اشترتها المركز اليميني فرع حضرموت من المواطنين حتى بلغ إجمالي ما يوجد بها من المخطوطات ٥٣٨ كتاباً مخطوطاً في شتى فنون العلم والمعرفة، وصدر بها فهرس سنة ١٩٨٧م في ثلاثة أجزاء من إصدار المركز اليميني للأبحاث الثقافية فرع سيئون، يوضح محتوياتها، وجاء مقسماً حسب المواضيع ومرتباً على الحروف الأبجدية، مشيراً لاسم المخطوط ومؤلفه وتاريخ نسخته، وهو الفهرس المتعامل به اليوم.



تناول المؤلف في مقدمته أسباب تسمية المنطقة بـ "حضر موت"، وعدد الآراء المتواترة عنها غير أنه لم يُبد منها موقفاً، ثم أشار إلى أسباب ودوافع الرحلات الاستكشافية إلى المنطقة منذ عصر ما قبل الميلاد حتى بداية القرن العشرين، منوهاً إلى طبيعة الأخطار والمصاعب التي تعرض لها الرحالة، مثمناً جهودهم في إثراء معلوماتنا الجغرافية عن حضرموت: سواحلها، ووديانها، ومدنها، وقراها. ثم استعرض فصول كتابه التي جاءت على النحو الآتي:

الفصل الأول: الرحلات الجغرافية لجنوب الجزيرة العربية من باب المندب غرباً إلى ظفار شرقاً.

الفصل الثاني: الرحلات الجغرافية لحضرموت.

الفصل الثالث: حضرموت في الخرائط الجغرافية القديمة.

الفصل الرابع: مصادر الدراسات الجغرافية لحضرموت.

الفصل الخامس: نتائج الرحلات الجغرافية لحضرموت.

تعد هذه الدراسة من أهم الدراسات الببليوغرافية عن حضرموت في إطار تخصصها المعرفي، وقد حرص مؤلفها على إبراز التراكم العلمي الجغرافي عن المنطقة منذ عصر ما قبل الميلاد وحتى القرن العشرين وفق منهج علمي صارم سعى من خلاله التركيز على أهم الرحلات والدراسات، متناولاً إياها بحسب أقدميتها الزمنية، مشيراً إلى أسماء أصحابها وموضحاً أهداف قيامها، والطرق التي سلكوها، وما رافقها من مصاعب ومشاكل، ثم يأتي على ذكر ما توصل إليه أصحاب تلك الرحلات من نتائج، ملتزماً في كل ذلك بالتوثيق العلمي لما يذكره من معلومات.

ولما كان جُلّ القائمين على تلك الرحلات والدراسات هم رحالة وكتابٌ أجانب فقد سعى المؤلف في كثير من الأحيان إلى ذكر أسمائهم باللغة العربية ثم الإنجليزية، إضافة إلى عناوين كتبهم

ودراساتهم، منوهاً في الآن نفسه بالترجمات إلى اللغات الأخرى، ولاسيما وأن البعض منها قد كتبها أصحابها بلغاتهم الأصلية، فعلى سبيل المثال يقول: "نشر فارثيما كتابه باللغة الإيطالية في روما في عامي ١٥١٠م و١٥١٧م، كما نشر في البندقية في الأعوام ١٨٦٣، ١٨٣٥، ١٥١٨م. ونشرت أول ترجمة لكتابه باللغة الإنجليزية بين عامي ١٥٧٦-١٨٧٧" (١٤).

كما عني المؤلف بذكر مصادره ومراجعته في نهاية كل فصل، وقد أظهرت لنا هذه المصادر والمراجع اطلاعاً مباشراً عليها، وقلماً يأخذ من غيرها بطريقة غير مباشرة. ولما تعدد عليه إيجاد الخرائط التوضيحية لبعض الرحلات خاصة الموعلة منها في القدم وتبيان خطوط سيرها ومواقع زياراتها فإنه اهتم بذلك في بقية الرحلات التي جابت المنطقة منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر. وهي خرائط كان البعض منها من إعداد الرحالة أنفسهم، بينما قام المؤلف برسم البعض الآخر مستفيداً من المعلومات التي تضمنتها الرحلات، وقد راعى فيها المؤلف الأسس العلمية لرسم الخرائط من مقياس رسم وتحديد اتجاه الشمال، علاوة على مفاتيح الخرائط التي تظهر أهم مواطن الاستقرار الحضري من مراكز ومدن وقرى، إضافة إلى خطوط سير الرحالة ذهاباً وإياباً. وإذا كان المؤلف قد ركز اهتمامه في الفصلين الأولين على الرحلات الجغرافية إلى المنطقة، فإن الفصل الثالث قد خصصه لحضرموت في الخرائط الجغرافية القديمة منذ ما قبل الميلاد وحتى القرن الثامن عشر الميلادي، ملتزماً بالأسس نفسها التي اعتمدها في تناول الرحلات، غير أنه استثنى مساهمات الجغرافيين العرب من ذلك الترتيب وأخرجهم من إطارهم الزمني الذي ظهرت فيه أعمالهم وخصهم بالمبحث الأخير من غير ذكر السبب.

أما الفصل الرابع فقد أتى فيه المؤلف على ذكر مصادر الدراسات الجغرافية لحضرموت، وجاء تقسيمه لها بحسب فروع علم الجغرافيا، فأشار إلى أهم مصادر الدراسات الجغرافية العامة موضحاً نوع المراجع المستخدمة فيها عربية كانت أم أجنبية. أما الرحلات والدراسات الإقليمية الخاصة بحضرموت وكذا الدراسات الجيولوجية والجيومورفولوجية فضلاً عن الدراسات المناخية والمائية والنباتية والحيوانية والدراسات السكانية والزراعية وأخيراً الدراسات الاجتماعية والاقتصادية فقد جاءت في مجملها بأقلام أجنبية. وقد خصص الفصل الأخير من الكتاب لأهم النتائج التي ترتبت على الرحلات الجغرافية لحضرموت.

وإجمالاً فإن المؤلف قد بذل جهداً يستحق الشكر والثناء عليه، وكان دقيقاً في كل ما قدمه من معلومات، مراعيًا لدراسته، فضلاً عن منهجه المستخدم في الدراسة، الذي يساعد الباحث في الوصول إلى هدفه بأقل وقت، كما أن إجادته اللغة الإنجليزية سهّل له عملية التواصل مع الدراسات الأجنبية وزاد من مصادره وأسهم في نقل ما سطر فيها عن حضرموت إلى قراء اللغة العربية. وتكشف الدراسة عن سعة اطلاع المؤلف وإلمامه بمصادر ومراجع علم الجغرافيا وفروعه المختلفة، ويبدو أن ذلك كان دافعاً بالمؤلف لإعداد فهرس ببليوغرافيا لمراجع اليمن، غير أن المنية عاجلته وأبت عليه تحقيق ذلك.

٥- رودينوف (ميخائيل) :

Rodeonov, M :

مستشرق روسي، وأحد الأفراد الذين عملوا في إطار البعثة السوفيتية اليمنية المشتركة خلال المدة (١٩٨٣-١٩٩٣م) في حضرموت، وقد تبوأ مسؤولية المجموعة الإثنوغرافية؛ حيث تعددت زيارته لحضرموت خاصة



13

العدد (6)
أكتوبر
ديسمبر
2017م

منذ ولوجه في حقل الدراسات الجامعية العليا، فضلاً عن استكمال لمشوار كان قد بدأه شقيقه (١٨) في إطار الجهد المبذول لرصد الإنتاج الفكري المعني بحضرموت. وبحسب عنوان الكتاب فإن المؤلف قد ركّز جهده في إطار المعرفة الجغرافية والتاريخية، وكان على بيّنة من أن عمله هذا ليس بالأمر الهين والسهل، وباستحالة حصر كل ما كتب عن حضرموت باللغة العربية أو غيرها من اللغات، لذلك قدّم لنا ما تسنّى له الوقوف عليه بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وكانت حصيلته من ذلك ستعانة عنوان، وقد حرص أن يقدمها موثقة توثيقاً علمياً، وقام بتوزيعها على خمسة فصول، وكل فصل يتكوّن من عدة مباحث، تختلف في عددها من فصل لآخر تبعاً وما يرصده لها من عناوين المؤلفات.

٨ - صالح علي باصرة :

له "حضرموت ببلوغرافيا مختارة" (١٩): هذه الدراسة في ضمن مجموعة دراسات للمؤلف في تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر، استهلها بمدخل موجز، أشار فيه إلى تعريف علم البليوغرافيا، وسبق العرب فيه على الأوربيين، ثم أشار إلى ما طرأ عليه من تطوّر، ولاسيما بعد ظهور

المحلية الحضرية من معلومات إثنوغرافية، فضلاً عن نتائج أعمال البحث الميداني للبعثة السوفيتية اليمنية المشتركة. وبالإجمال فإن لهذا المحور والدراسة أهمية خاصة في دراسة تاريخ أثنوغرافية حضرموت لا يكونها رائدة في مجال موضوعها ومضامينه وحسب بل وبالمنهجية والأسلوب العلمي المتبع في إنجازها. (١٦)

٧ - عبد الله سعيد باحاج :

له كتاب وسمه بـ "حضرموت في المؤلفات العربية والأجنبية بحث في تطور المعرفة الجغرافية والتاريخية خلال خمسة وثلاثين قرناً (١٥٠٠ ق.م - ٢٠٠٤ م)" (١٧):



يتكون الكتاب من ٢٧٤ صفحة من الحجم الصغير ويشتمل على مقدمة وإهداء وخمسة فصول، فضلاً عن الخاتمة وفهرس بأسماء المؤلفين وسنوات مؤلفاتهم المذكورة في الكتاب، إضافة إلى مراجع البحث.

كان هدف المؤلف من تصنيف الكتاب سدّ ثغرة تعاني منها المكتبة العربية في مثل هذا النوع من الدراسات، ولاسيما المتعلق منها بحضرموت، إضافة إلى توجيه الدارسين والباحثين والمهتمين بالشأن الحضرمي بمنابعه وأصوله الخاصة بالمعرفة الجغرافية والتاريخية. زيادة على ذلك تحقيق حلم كان يراوده

المنطقة الغربية منها، التي تنطوي في إطارها على الروافد الجنوبية الغربية لوادي حضرموت الرئيس: وادي عمد، دوعن، العين والأنجاد فيما بينهما، علاوة على سبيل الثلاثة الأودية ووادي الكسر الذي يشمل حوره. وقد أجرى هناك عدداً من الأبحاث الميدانية الإثنوغرافية، استفاد منها في إعداد أطروحته للدكتوراه التي تقدّم بها لمعهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم الروسية بمدينة سانت بطرسبورغ في عام ١٩٩١م تحت مسمى "إثنوغرافية حضرموت الغربية". لقد فرضت طبيعة الدراسة والمنهج المستخدم فيها أن يشير المؤلف إلى الجهود العلمية التي سبقته في هذا الجانب المعرفي من حضارة حضرموت، فخصّص أحد محاوره التمهيدية لذلك الغرض الذي وسمه بـ: (البحث الأثنوغرافي في حضرموت) (١٥):

تضمن هذا المحور ذكر عدد من أسماء المساهمين في هذا الجانب - الدراسات الإثنوغرافية - وإن كانت إشارات البعض منهم - خاصة الأوائل - قد أتت بشكل عرضي من غير أن يكون القصد منها التوثيق الإثنوغرافي للمنطقة، لكن سياق رحلاتهم ووصفها جرّهم للحديث عن عادات وتقاليدها وأعراف المنطقة، فضلاً عن المهن والحرف التقليدية، وكان أغلبهم من الرحالة والمستكشفين الأجانب، وقد استعرض دور كل منهم على حدة منذ تدشين أولى رحلات الكشف العلمي لحضرموت في العام ١٨٤٣م من طرف ادولوف بارون فون فريدا (Adolphe Baron von Wrede) مروراً بالعهد البطولي للإنجليزي وليام هارولد انجرامس (William Harold Ingrams) في ثلاثينات القرن العشرين، وصولاً إلى جهود استكشاف دوستال (Dostal) في ١٩٦٠م و١٩٦٤م و١٩٦٦م، وعبد الله البجرة في يوليو ١٩٦٢م - يونيو ١٩٦٣م. كما عرّج على ما جاء في الكتابات



أجهزة الحاسوب وشبكات المعلومات المحلية والدولية، وما نتج عنهما من تدفق المعلومات، ثم تناول أهم الفهارس الدولية ومجالاتها، مشيراً إلى



الجهد الرسمي والشخصي في اليمن لإصدار مثل هذا النوع من الفهارس. وقد نبه المؤلف إلى أن عمله هذا عبارة عن جزء بسيط مما كتب عن حضرموت خاصة، واستثنى ما جاء عنها في الدراسات والبحوث العامة الأخرى، وقد رصد لنا ٢٢١ عنواناً موزعة على أربعة محاور، جاءت على النحو الآتي:

الأول: المخطوطات والكتب والترجمات.
الثاني: البحوث والدراسات المقدمة إلى الندوات العلمية أو المنشورة في المجلات.
الثالث: الكتب والدراسات باللغات الأجنبية.
الرابع: الرسائل الجامعية.

لا تقتصر أهمية هذه القائمة على تزويد الباحث بالمراجع والدراسات الخاصة بتاريخ حضرموت الحديث والمعاصر، وإنما بما تقدمه أيضاً من عناوين لمراجع وبحوث في جوانب علمية وفكرية أخرى، مثل: الأدب، والمياه، والزراعة، فضلاً عن المعلومات الجغرافية ونتائج بعض أعمال البعثات الأثرية وغير ذلك. ويبدو أن المؤلف قد جمعت لديه عدد من الجذاذات الخاصة بعناوين الكتب أثناء إعداده لبحوثه في التاريخ الحضري، فأخرجها لنا في هذه القائمة "المتواضعة" على حد وصفه (٢٠).

٩- حسن صالح الغلام العمودي:
"مصادر تاريخ حضرموت في العصر الإسلامي الوسيط، من صدر الإسلام حتى القرن العاشر الهجري".

وهذا البحث هو رسالة تقدم بها الباحث إلى قسم التاريخ بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة الآداب والفنون الإنسانية بتونس لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط (٢١)، تتكون الرسالة من أربعمائة صفحة A٤، وتتركب من الإهداء وتقدير واعتراف، إضافة إلى ملاحظات أولية نبه فيها الباحث القارئ إلى بعض التوصيات الفنية المتعلقة بالمختصرات المستخدمة في الرسالة. ثم يتبع ذلك بمقدمة عامة اشتملت على أهمية الموضوع ودواعي اختياره وإشكاليته

ومنهج دراسته.

وقد عزا الباحث أسباب طول الفترة الزمنية لدراسته بشح المصادر التي تتناولها من ناحية، وقلة الأحداث التي جرت خلالها من ناحية أخرى، فضلاً عن ندرة المادة المدونة وتكررها. ويذهب إلى أن ما جعله أكثر استعداداً للمضي قدماً في دراسته هو ما رآه من قصور في الدراسات التي سبقته واكتفاء أصحابها فيها بحصر أسماء المصادر والمراجع ووصفها أحياناً، زيادة على أنه قد لاحظ أن كثيراً من الدراسات المعاصرة تكشف عن عدم معرفة أصحابها بمصادر ومراجع التاريخ الحضري، وأنهم يستندون في أحكامهم وآرائهم على ما وصل إليهم من كتب معدودة سطرت بأقلام حضرمية، ولم يكلّفوا أنفسهم عناء قراءتها بعين الناقد البصير، بل اعتبروها حقائق وأمر مسلم بها، على الرغم من وجود مصادر ودراسات أخرى لو طالّتها أيديهم لأعادوا النظر فيما انتهوا إليه من نتائج وأحكام.

ويذهب الباحث إلى أن دراسته تفترض تساؤلات عدة منها: إلى أي مدى حظيت حضرموت باهتمام المؤرخين المسلمين؟ أي صورة تاريخية رسمت لهذا الإقليم بين دفتات المصادر الإسلامية؟ ما هي المحطات التاريخية التي أبرزتها؟ وإذا تنوعت تلك المصادر وتعددت في المكان والزمان هل كمل بعضها البعض؟ وسدّ الفجوات الوثائقية للهيكل التاريخي العام للمنطقة فتحوّل للباحثين إعادة صياغة التاريخ وكتابته بكل عناصره وأبعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية؟

تلك الإشكالات وغيرها يثيرها الباحث ويحاول قدر الإمكان النظر فيها من خلال قراءة متأنية وناقدة لأهم المصادر المخطوطة والمطبوعة والأثرية والمراجع والدراسات العربية والأجنبية وفق منهج علمي تاريخي. لقد فرضت طبيعة موضوع الدراسة على المؤلف منهجاً حاول من خلاله التركيز على فكرة

جوهريّة، تتمثل في تحديد موضع حضرموت في الكتابات الإسلامية المبكرة من خلال رصد وتوثيق نشاطات وفعاليات القبائل والفرق المذهبية في التاريخ السياسي، مع مراقبة ما يجري من الأحداث في بلاد الإسلام عامة وجزيرة العرب خاصة، وأثر ذلك على ما شهدته حضرموت من تقلبات. ولتحقيق هذا الغرض عمد الكاتب إلى تحديد إطار جغرافي لحضرموت، ثم التعريف بها، وقسم دراسته على ثلاثة أبواب رئيسية، خصص كل واحد منها لفترة زمنية معينة. وتكوّن كل باب من فصلين:

أولهما: تناول الإطار التاريخي العام الذي يعالجه الباب، ويهدف إلى استبيان أرضية واقع الأحداث التي تؤرخ لها المصادر، وهنا لا يدعي الدارس الوقوف على كل جزئيات أحداث التاريخ الحضري، إنما أبرز محطاته التي انعكس صداها على عملية التدوين التاريخي.

ثانيهما: وخصه بالمصادر والمراجع والدراسات الحديثة، وجاء هذا الفصل في قسمين: أولهما: عني بدراسة المصادر المبكرة، وقد جعل من كل المؤلفات الموحدة موضوعاً صنفًا مستقلاً، صدر له بمقدمة تناولت أهم ملامحه، ثم ترجم لكل مؤرخ ترجمة ذاتية موجزة، سار فيها على النحو التقليدي فعني بذكر اللقب والاسم الذي اشتهر به المؤلف، وحدد فترة حياته بالسنوات الهجرية وما يقابلها بالميلادية ما أمكنه ذلك (٢٢). كما بين نشأته وانتماءه القبلي والمذهبي، ومن تلقى عنهم العلم، ورحلاته والوظائف التي تقلدها، وغير ذلك من التفاصيل الخاصة. ولقد حرص على تذييل تلك الترجمة بأهم المصادر والمراجع التي استقى منها معلوماته. ويعرض الكاتب هذه الترجمة عند أول كل عمل، وتجري الإحالة إليها إذا كان للمؤلف أكثر من عمل، ثم يلحق ذلك بتناول أهم أعماله ذات الصلة. وقد



تناولت علاقات العرب بغيرهم من شعوب وأمم العالم القديم. فضلاً عن تناول بعض المظاهر الروحية الاجتماعية والاقتصادية للمجموعات العربية قبيل الإسلام.

وقد عُنِيَ الصنف الثالث بدراسة المصادر الكلاسيكية اليونانية والرومانية التاريخية منها والجغرافية ليكشف عن المظاهر الأولى لاهتمامات أولئك المؤلفين بالمنطقة، ومدى تطور معارفهم عنها والجوانب التي حظيت باهتمامهم، وتقويم عطائهم العلمي ومقارنته بما تم الكشف عنه من نقوش وأثار وبما ورد في المصادر الأخرى أينما تمكّن الباحث من ذلك.

أما الصنفان الرابع والخامس - المصادر الإسلامية - حاول المؤلف أن يسوق أهمها بشقيهما الإسلامي العام والإقليمي الخاص، وهي بالإجمال مصادر نادرة ومحدودة الفائدة. غير أن المؤلف لم يتجاوزها نظراً لما اشتملت عليه من إشارات عامة تتعلق بالحياة العربية قبيل الإسلام.

لقد جاء القسم الثاني من هذا الفصل ليتناول أهم المراجع والدراسات الحديثة: حيث تمّ التطرّق إلى بدايات الاهتمام الأوروبي بالكشف الأثري في حضرموت عبر مرحلتين، كانت الأولى ثمرة للجهود على مستوى الأفراد والحكومات الأوروبية، بينما كانت المرحلة الثانية نتاجاً لجهود متّصلة ومشتركة أوروبية ويمنية. أسفرت كلتا المرحلتين عن قيام عدد من الرحلات والبعثات إلى المنطقة، فتّمّت الإشارة إليها ورصد أهم نتائجها كما أشار إلى أهم الدراسات المعاصرة.

أما الباب الثاني تعلق بدراسة "حضرموت من صدر الإسلام حتى العهد الأيوبي"، وهي الفترة التاريخية الممتدة منذ بعث النبي إلى سنة ٥٦٩ هـ/ ١١٧٤م وقسم على فصلين: تناول الأول منها الإطار التاريخي العام للباب بشكل موجز، فرصد الأحداث التي

والاستفادة من موقعها الاستراتيجي ومقدرتها الاقتصادية، وتداعيات ذلك الصراع على حضرموت. وقد أبرز المؤلف في هذا المنحى أهمية تلك الأوضاع بوصفها أحد الأسباب الموضوعية، التي أدت إلى تقسيم بلاد العرب الجنوبية إلى كيانات قبلية صغيرة ومن ثمّ تهينتها لتقليل الدعوة الإسلامية.

كما ركّز اهتمامه في هذا الفصل على دراسة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، مبيناً قدر الإمكان أثر الخصائص الجغرافية والطبيعية في توجيه المنطقة نحو الزراعة والتجارة، ومدى انعكاس ذلك على البنية الاجتماعية، وما ترتّب على ذلك من آثار أدت إلى تصدّر حضرموت مكانة مرموقة وسط أumm العالم القديم وشعوبها. كما تطرّق هذا الفصل إلى المعتقدات الدينية التي عرفتها قبائل المنطقة سواء كانت وثنية أم سماوية، وأثر ذلك في تهينة الأرضية لتقبل الإسلام.

أما الفصل الثاني فقد تناول المصادر والمراجع التي يمكن الاعتماد عليها لدراسة فترة قبيل الإسلام. فتمّ أولاً تقسيم المصادر إلى خمسة أصناف:

كان الأول منها يتناول الآثار والنقوش من حيث أهميتها وموقعها في المجاميع التي عُيِنَتْ بها. وقد أوضح المؤلف أهمّ الجوانب التي طرقتها مبرزاً نماذج منها. ثمّ عرّج على الآثار موضعاً عدداً من المواقع التي تمّ استكشافها، وما حوته من مخلفات مادية قديمة ألقت الضوء على بعض الجوانب الحضارية والتاريخية لحضرموت العتيقة، ومدى تأثرها بالحضارة السبئية، فضلاً عن بروز بعض الآثار اليونانية فيها.

أما الصنف الثاني فقد خصص لدراسة الكتابات الدينية التي تمثلت في المصادر اليهودية والإسلامية. فعلى الرغم من قلة ما تقدّمه هذه الأخيرة من معلومات عن هذه الفترة من تاريخ حضرموت فإنّه لا يمكن تجاوزها خاصة فيما يتعلّق منها بالنواحي العامة التي

أفرد لكل عمل عنواناً في إطار الصنف الذي ينتمي إليه، مبتدئاً بوصف العمل ومنهجه، مع الإشارة إلى المصادر التي اعتمدها. ثم الغوص في مظانّه للكشف عما يقصده من مادة علمية تتعلق بالفترة الزمنية للباب، وتقويمها من خلال مقارنتها بما ورد في غيره من المصادر، محاولاً إبراز نقاط الالتقاء أو الاختلاف أو التفرّد، ومن ثمّ نقدّها، مع الإشارة إلى أهميتها ومكمن الاستفادة منها لإعادة صياغة كتابسة التاريخ الحضرمي.

أما ثانيهما: فمخصّص لإبراز أهم المراجع والدراسات الحديثة، وقد جعلها في ثلاثة أصناف بالاستناد إلى محاور اهتمامها، مقدّماً لكل صنف منها بمقدّمة تناولنا فيها أهمية ذلك الصنف وأبرز ملامحه والمنهج الغالب في تأليفه، والنتائج التي انتهى إليها فضلاً عما كتّب بحقه من دراسات نقدية إن وُجدت. ولقد اختلفت مباحث الفصول إلى حدّ ما في عددها وحجمها، تبعاً لوفرة أو ندرة المصادر. كما حكّمها بعض القواسم المشتركة مثل التمهيد والخاتمة، والملاحق من خرائط ووثائق، وإعداد بعض القوائم ذات العلاقة.

ونظراً للعلاقة التي تربط بين تاريخ العرب قبل الإسلام وبعده فإنّه لا يمكن معرفة كثير من الظواهر التاريخية اللاحقة وتفسيرها إلا من خلال سبر أغوار ما سبقها. لذلك وسم الباب الأول بـ "حضرموت من قبيل الإسلام حتى ظهوره" خصّص الفصل الأول "للإطار التاريخي" ألقي الضوء على الأوضاع السياسية وما شهدته بلاد العرب الجنوبية من أحداث داخلية متمثلة في التنافس والصراع الديني والسياسي وما نجم عنه من تدخل قوى خارجية أجنبية؛ حيث قدم الأحباش من الغرب لمؤازرة معتنقي الديانة المسيحية، والفرس من الشرق لمعاوضة سيف بن ذي يزن، ومن ثمّة دخول تلك القوى وأنصارهما في صراع بهدف السيطرة على المنطقة



شهدتها حضرموت، وانعكاس صداها في المصادر؛ حيث تم تسليط الضوء على حضرموت في العهد النبوي والكشف عن علاقة النبي صلى الله عليه وسلم بقبائل المنطقة وتوجيه الدعوة لها، وموقفها منه، وأثر إنجازاته في المدينة وبالتالي إرسال الوفود، والنتائج المترتبة على ذلك.

كما عني هذا الفصل بدراسة حضرموت في عهد الخلفاء الراشدين، ووقف عند أهم منعطفاته خاصة "ردة" القبائل العربية. فرصد أسبابها وأثرها في ارتداد قبائل حضرموت وموقف المدينة من ذلك والنتائج المترتبة عليها، ثم تطرق إلى أهم الأحداث التي شهدتها حضرموت في العهد الأموي من تسرب للمذهب الإباضي وتبني قبائل له، والعوامل التي ساعدت على انتشاره، وعلاقاتهم بأباضية عمان والبصرة، ونجاح إمامهم في الظهور وتمكنه من الاستيلاء على اليمن وبعض مدن الحجاز، ثم موقف الخلافة الأموية منه، فالقضاء على الكيان الجديد.

كما تناول هذا الفصل دخول حضرموت تحت النفوذ العباسي، ثم تمرد قبائل المنطقة على عاملهم، وانقلاب أباضية حضرموت عليه، وما رافق ذلك من حملات عسكرية انتقامية بهدف استئصال المذهب من المنطقة.

وكانت آخر محطات هذا الفصل علاقة حضرموت بالدويلات المستقلة في اليمن، التي امتد "نفوذها" إليها، مثل: الزيادية واليعفرية والصليحية، وما ترتب على ذلك من نتائج أسهمت في تفكيك المنطقة إلى كيانات محلية قبلية، اتخذت من المدن الهامة عواصم لها، ودخلها في صراعات حادة.

أما الفصل الثاني فقد تناول أهم ما تعلق بدراسة الفترة الزمنية، التي يعالجها الباب من مصادر، وتم تقسيمها إلى مجموعتين: الإسلامية واليمينية، وجرت دراستها في ست وحدات هي: المؤلفات التاريخية العامة والخاصة،

وكتب السيرة، والطبقات، والتراجم، والأنساب، والكتب والمعاجم الجغرافية بما فيها اليمينية. وقد تم ترتيبها بحسب موضوعاتها وعرضها فدراستها وفق سسنوات وفيات مؤلفيها. كما تمت الإشارة إلى أبرز المراجع والدراسات الحديثة التي تناولت الفترة الزمنية التي يعالجها الباب.

أما الباب الثالث الموسوم بـ "حضرموت من الحضور الأيوبي حتى قيام الدولة الكثيرة" فهو يغطي الفترة الواقعة بين ٥٦٩ هـ - ٩٢٦ هـ / ١١٧٤م - ١٥٢٠م، كرس الفصل الأول منه "الإطار التاريخي" للغزو الزنجبيلي لحضرموت وموقف سكانها منه، ثم خروج طغتكين إليها وفتحها صلحاً، كما تمت الإشارة إلى استقطاع المسعود بن الكامل حضرموت لصالح أميره عمر بن مهدي، ووقوف القبائل ضده ثم القضاء عليه، كما أشار الفصل إلى اتصال الرسوليين بحضرموت ساحلها وواديها، وكذا محاولة أمير ظفار سالم بن إدريس الحبوذي توسيع مملكته ومحاولته الاستيلاء على حضرموت، ومن ثم اصطدامه بالرسوليين فيها، هذا بالإضافة إلى محاولة أمراء الشحر "آل إقبال" لاستعادة ولايتهم عليها، كما تطرق الفصل إلى ظهور إمارة آل بادجانة في حيريج ومحاولاتهم الاستيلاء على عدن، ومن ثم خروج الطاهريين إلى مدينة الشحر وضمها إلى دولتهم، وإنابة الكثيري فيها، وبالتالي جهود هذا الأخير في بعث أسس الدولة الكثيرية الأولى واصطدامه بالقوى المحلية، واستغلاله الظروف المتردية التي يمر بها الطاهريون، للاستحواذ على الشحر.

أما الفصل الثاني المعني بدراسة المصادر والمراجع والدراسات الحديثة، فقد جرى في القسم الأول منه تقسيم تلك المصادر إلى ثلاث مجموعات هي: العربية الإسلامية واليمينية، وأخيراً المحلية. ولئن كنا قد قدمنا للمجموعتين الأوليين في الباب الثاني،

فقد تم مباشرة تناول بقية ما لم يذكر من المصادر التي تخص هذه الفترة. ولما كان المؤلف قد أجل الحديث عن المصادر المحلية الحضرية إلى هذا الباب فقد تمت دراستها بشيء من التفصيل؛ حيث جرى تقسيمها إلى مجموعتين: هي المصادر الأثرية أولاً، ثم المصادر الكتابية ثانياً. فالأولى على الرغم من حداثة فأن المؤلف لم يتجاوزها؛ إذ أشار إلى خطوطها العامة، مع بيان أهميتها، وأصنافها وما تنفرد به من معطيات بشأن تاريخ حضرموت في العصر الإسلامي الوسيط. أما المصادر الكتابية فقد دعت الباحث الضرورة إلى الإشارة قبل تناولها إلى بعض القضايا ذات الصلة، مثل: الحركة العلمية والثقافية في حضرموت، وكذلك المذاهب الدينية والفكرية، والإنتاج العلمي والأدبي. كل ذلك بهدف الكشف عن أسباب تأخر الكتابة التاريخية في هذه الرقعة من الأرض، وتبيين العوامل التي أثرت فيها، إضافة إلى التعرف على الواقع الاجتماعي والفكري الذي أفرز تلك الكتابات.

لقد تم تصنيف تلك المصادر إلى ثلاثة أصناف هي:

الأول: المصادر التاريخية الأساسية.

الثاني: كتب السير والتراجم والطبقات.

الثالث: فقد ضم مصادر متنوعة من حيث موضوعاتها وأهميتها. وذلك بالاستناد إلى محاور اهتمامها، وكذلك أهميتها بالنسبة لموضوع الدراسة؛ حيث جرت دراسة هذه الأصناف الثلاثة في إطارها العام مع الإشارة إلى ما اتسمت به من ملامح عامة، ثم تناول كل صنف على حدة، معرّفاً به، مع التنويه بأهميته بالنسبة للفترة وما تناول من موضوعات، وما غلب عليه من منهج في تأليفه، ثم درس كل مؤرخ ومساهمته في هذا الصنف بشكل مستقل، وبالمناهج نفسه ثم تناول الصنفين الآخرين.

أما القسم الثاني من هذا الفصل فقد تم فيه تناول المراجع والدراسات



17

العدد (6)
أكتوبر
ديسمبر
2017م

South Arabian history Notes on
new MSS from hadramaut XIII
P11.PP018-60.10. In, (1950,
BSOAS Vol

10) Serjeant: "Historiography of
hadramawt, in Studies in Arabian
and Civilisation. London
pp. 242-245, 1981

(١١) نشره المركز اليمني الأبحاث الثقافية،
جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، طبع
بمطابع مؤسسة ١٤ أكتوبر للطباعة والنشر
والتوزيع والإعلان، عدن، ١٩٧٥م.

(١٢) نشره المركز اليمني للأبحاث
الثقافية، المكلا، ١٩٧٩م.

(١٣) باحاج (أحمد سعيد): الرحلات والدراسات
الجغرافية لـ... حضرموت، جمهورية اليمن
الديمقراطية الشعبية، مكتبة الجسر، جدة،
ط ١/١٩٨٨م.

(١٤) المرجع نفسه، ص ١٠.

(١٥) روديونوف (ميخائيل): الدراسة الإثنوغرافية
لحضرموت، ترجمة: سرجيس فرانتسوزوف و
د. عبد العزيز جعفر بن عقيل، مجلة آفاق
الصادرة عن اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين
م/ حضرموت، ٨٤/ ١٩٨٥م، ص ٣١-٤٣؛
وينظر أيضاً كتاب المؤلف نفسه الموسوم بـ
عادات وتقاليد حضرموت الغربية العام والمحلي
في الثقافة السلافية" ترجمة: د. علي صالح
الخلاقي، إصدارات دار جامعة عدن للطباعة
والنشر، ط ١/ ٢٠٠٢م، ص ١٥-٢٩.

(١٦) المرجع نفسه، ص ٨. (مقدمة المترجم)
(١٧) باحاج (د. عبد الله سعيد): حضرموت في
المؤلفات العربية والأجنبية بحث في تطور
المعرفة الجغرافية والتاريخية خلال خمسة
وثلاثين قرناً (١٥٠٠-٢٠٠٤م)، سلسلة
صنعاء عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٤م، كتاب
كل أسبوع - ٣٧، دار حضرموت للدراسات
والنشر، ط ١/ ٢٠٠٤م.

(١٨) باحاج (أحمد سعيد): المرجع السابق.
(١٩) باصرة (د. صالح علي): في كتاب دراسات
في تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر، دار
المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط ١
٢٠٠١م - ٢١٤هـ، ص ٧-٤٥.

(٢٠) المرجع نفسه، ص ١٧.

(٢١) الغلام (د. حسن صالح): مرجع سابق.

(٢٢) نوه المؤلف بأنه عند موافقته السنوات
الهجرية بالسنوات الميلادية أتضح له بأنها
تأتي بين سنتين ميلاديتين في أغلب الحالات
لذلك أثبت السنة الميلادية الثانية إشارة إلى
موافقتها للسنة الهجرية المعنية دون كتابة
السنة التي قبلها رغبة منه في الاختصار.

غير المنشورة، وفي آخرها المراجع
والدراسات الأجنبية غير المعربة.
وتسهيلاً لوصول القارئ إلى مبتغاه من
الدراسة فقد زودها بستة فهارس جاءت
في الأعلام والفرق والجماعات والقبائل،
فضلاً عن فهرس الأماكن والملاحق
والخرائط، فضلاً عن فهرس المواضيع

الهوامش:

(١) ابن النديم (محمد بن إسحاق): الفهرست،
تحقيق: إبراهيم رمضان، دار الفتوى،
بيروت، ط ١/ ١٩٩٤م.

(٢) الحلوجي (عيد الستار): مدخل لدراسة
المراجع، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة،
ط ١/ ١٩٩١م، ص ٨٥.

(٣) خليفة (عبد العزيز شعبان): الببليوجرافيا أو
علم الكتاب دراسة في أصول النظرية
الببليوجرافية وتطبيقاتها النظرية العامة، الدار
المصرية اللبنانية، القاهرة، ط ١/ ١٩٩٨م، ص
١٢٧-١٣١.

(٤) بنين (أحمد شوقي): دراسات في علم
المخطوطات والبحث الببليوغرافي، منشورات
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط،
ط ١/ ١٩٩٣م، ص ١٧٣.

(٥) سيرجنت (أ. بي): حول مصادر التاريخ
الحضري، ترجمة: د. سعيد عبد الخير النوبان،
مطبعة جامعة الكويت، د. ت، مقدمة المترجم،
ص ٧.

(٦) للمزيد ينظر العمودي (حسن صالح الغلام):
حضرموت في الرسائل العلمية، ماجستير
ودكتوراه، دار حضرموت للدراسات والنشر،
المكلا، ط ١/ ٢٠١٠م.

(٧) بهذا الصدد ينظر: العقيلي (نجيب):
المستشرقون، مصر، دار المعارف، ط ٤
١٩٨٠م، ج ٢، ص ١٤٢-١٤٣: الأحمري (عبد
الرحمن عبد الله): المستشرق البريطاني
روبرت برترام سيرجنت، حياته وآثاره، مجلة
الدرعية، فصلية محكمة، السعودية، ع ٦-٧
١٩٩٩م، ص ٢٢٦-٢١٣.

8) Serjeant (RB): "Materials For
South Arabian history Notes on
new MSS from hadramaut XIII) ١٩٥٠
(P11.pP282-306.

وقد ترجم المرحوم In BSOAS Vol
د. سعيد عبد الخير النوبان هذا المقال ومقالات
أخرى للمؤلف ذات الصلة بمصادر تاريخ
حضرموت إلى اللغة العربية ونشرها بعنوان
"حول مصادر التاريخ الحضري" مرجع سابق.

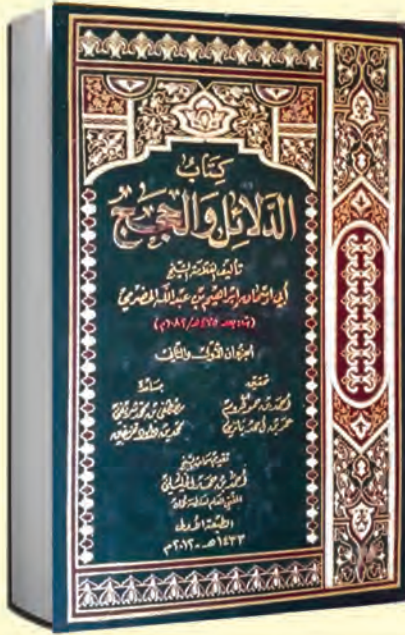
9) Serjeant (RB): "Materials For-

الحديثة، فجري تقسيمها على ثلاثة
أصناف: الأول: هو تلك التي اتخذت من
تاريخ حضرموت أو بعض من جوانبه
محوراً أساساً لها، في حين تناول الثاني
تلك التي اهتمت ببعض جوانب تاريخ
حضرموت من خلال وقائع التاريخ اليمني
الوسيط أو بعض من جوانبه. بينما
اهتم الصنف الثالث بتاريخ حضرموت
من خلال الدراسات الإسلامية العامة.
وهذه الأصناف الثلاثة تم تقويمها في
إطارها العام من حيث المواضيع التي
عالجتها والمنهج المستخدم في
دراساتها، وما انتهت إليه من نتائج،
إضافة إلى ما جاء بصدد البعض منها
من دراسات نقدية. ثم عمد إلى رصد
أهم تلك الدراسات حسب أصنافها. وقد
حرص الباحث أن يمهّد ويختتم كل باب
من أبواب رسالته، وأن يعمل على تحرير
خاتمة عامة للرسالة قدم فيها أهم
النتائج التي خرج بها من دراسته.

وقد دعم الباحث رسالته ببعض
الخرائط ووضعها في أماكنها المناسبة
من الدراسة، كما شفعها بتسعة ملاحق
ذات صلة بأبواب البحث، ويحيل القارئ
إليها كلما دعت الحاجة إلى ذلك، وقد
جاءت في أسماء الوافدين على الرسول
صلّى الله عليه وسلّم من أفراد قبائل
حضرموت مثل كندة وبطونها
وحضرموت وجعفي وغيرها، كما
تضمنت تلك الملاحق كتب الرسول
صلّى الله عليه وسلّم لزعماء قبائل أرض
حضرموت وأفرادها، وقد أتى على ذكر
كل الروايات التي جاءت بها تلك الكتب،
ولم تفته الإشارة إلى الرسائل التي كان
قد بعث بها الخليفة الراشدي أبو بكر
الصديق إلى زعماء كندة أثناء "ردّتهم".

لقد أنجز الباحث دراسته بالاستناد إلى
مجموعة من المصادر والمراجع العربية
والعربية، تشير قائمتها بتقسيمه لها
إلى عدة مجموعات هي: المصادر
العربية وتتكون من الكتب المخطوطة
والمطبوعة، ثم المراجع العربية
والمعربة زيادة على البحوث الجامعية

إطلالة تاريخية من خلال كتاب الدلائل والحجج على منتصف القرن الخامس الهجري



الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وبعد: فما إن ظفرتُ بكتاب الدلائل والحجج للفقيه أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله الحضرمي من أئمة الإباضية بحضرموت، منتصف القرن الخامس الهجري حتى أنشأتُ سفرًا في فصوله وأبوابه متوخيًا الغنيمة ومبتغيًا الفوائد الجسيمة، وهي ذات ثلاث شعب: بحث في المفارقة والموافقة الفقهية بين فروع الشافعية والإباضية، ثم أسفحه بالتأمل والنظر في ما اعتمدوا عليه من الدلائل والأخبار الحديثية، وأعززه بثالث في تتبع الشوارد التاريخية، فإذا الصيد الوفير الذي أدركته في الملامح التاريخية قد شغلني عن غيره، وألهاني منظره عن البحث الفقهي والحديثي، فطفقتُ أتتبع شوارده وضوآله، التي تختفي في ثنايا هذا الكتاب وشعابه، حتى إذا أثبتته بسهام البحث صغته في هذا الموضوع المتضمن خمسة مباحث:

أحمد بن عيسى وأبيه وجده ثم لأحمد بن عيسى - ألقاباً وخلعوا عليهم صفاتٍ في العلم تنتهي إلى القسضاء على الإباضية ونشر مذهب الشافعية (٢) . وفي الجانب الآخر شكك بعضهم في بقاء الإباضية قائمة على أصولها حتى نهاية القرن الخامس، وأن أخبارها من أساطير الأولين، وانتهى القول بالمؤرخ علوي بن طاهر الحداد بما نصه (أكاد أجزم بأنه لا حقيقة له، وأن حكايته مفتعلة كحكايات السينما وألف ليلة وليلة، وأشعاره قد نظمها شعراء الإباضية بزنजार وعمان)، وأيده في مذهبه هذا المؤرخ صالح بن علي الحامد (٣) .

إن تجاهل أبي إسحاق الحضرمي كما في السيف النقاد لدور العلويين آنذاك - وقد فاض في ذكر مؤيديه ومعارضيه - يضع عدداً من التساؤلات:

إن ظهر كتاب السيف النقاد ومختصر الخصال - كلاهما للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن قيس الحضرمي - حتى انفرجت الصخرة قليلاً واطلغنا على بعض الأخبار، ثم ظهرت المراسلات والسير والجوابات، كسيرة محبوب بن الرحيل، وسيرة أبي الحواري، وسيرة أحمد بن سليمان، فأنجلت جوانب أخرى ولاسيما السيف النقاد، الذي بلغت قصائده ستين قصيدة، حوت نحو ثلاثة آلاف بيتٍ من الشعر، تضمنت تاريخاً حافلاً، ولكن المتأمل يرى أن أبا إسحاق الحضرمي لم يلتفت فيها إلى دور العلويين في تلك الحقبة، وكذلك ظلت الوثائق الأخرى صامتة عن ذلك من غير أن تلوي على مصدر من تلك الحقبة يشهد بذلك، فقد ذكروا لمن عاصر أبا إسحاق الحضرمي - وهو محمد بن علوي بن عبيد الله بن



أكرم مبارك عصبان * (١)

أولاً: كشف مجاهل التاريخ بحضرموت:

كنا نظن أن أخبار الإباضية بحضرموت في القرن الثالث الهجري وتاليه - الرابع والخامس - نادرة وقليلة كباقي الوشم في ظاهر اليد، وذلك بعدما حكم جماعة من المؤرخين بالجهالة عليها، وكأنها محجوبة في ظلمة كهفٍ انسدت على بابها صخرة عظيمة لا سبيل إلى الوصول إليها، وما



19

العدد (6)
أكتوبر
ديسمبر
2017م

- ذكر في ديوان أبيه السيف النقاد، وقد مات قبل أبيه، فرتاه في قصيدة وسح عليه الدموع منها :

قاضي القضاة سمي المصطفى أفلت

عنا محاسنه في باطن الجدد

فالدمع منسكب والصدر مكتتب

والظهر منقضب إذ زال معتمدي

لهفي عليك أبا قيس وليس أرى

لهفي عليك بمنفك مدى الأبد

٣. الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن

محمد الحضرمي:

هو جد مؤلف الدلائل، أخذ عن قيس بن سليمان، وتفقه به القاضي أبو عبد الله؛ حيث يقول في مسألة في باب الحيض: (قد حفظت عن جدي قيس وعمي إبراهيم بن محمد رحمة الله عليهما...) (٦).

وأخذ عنه حفيده مؤلف الدلائل كما يدل على ذلك قوله: (وقد سمعت الشيخ إبراهيم بن محمد - رحمه الله - يذكر استصحاب النية عند تكبيرة الإحرام، فلا أدري ذكره عن بعض علمائنا المتقدمين - رحمهم الله - أم كان ذلك يعجبه) (٧).

وللشيخ إبراهيم بن محمد آثار وكتاب كما ذكره في الدلائل كقوله: وفي كتاب الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن محمد رحمه الله وفي الأثر عن الشيخ إبراهيم بن محمد (٨).

٤. الفقيه محمد بن إبراهيم بن محمد

الحضرمي:

هو عم مؤلف الدلائل كان فقيها أخذ عن والده وعن الفقيه قيس بن سليمان، استفاد منه القاضي أبو عبد الله حيث يقول: (إنه يحفظ عن محمد بن إبراهيم بن محمد عن الشيخ قيس بن سليمان رحمه الله أن الإنسان ما دام لم يجاوز الفرسخين فهو مخير إن شاء أتم وإن شاء قصر إذا كان على نية السفر) (٩).

الحديث فيهم، فهو قطب الرحى الذي يدور عليه البحث مفصلاً .

والمتمأل لديوان السيف النقاد يجد ذكراً له في ضمن الوفد الذي ما فتى الإمام أبو إسحاق الهمداني الحضرمي يبعثه إلى أئمة عمان الكرة تلو الكرة من ذلك قوله :

يا معبد بل يا ابن عبد الله بل

يا با أخانا يا ابن إبراهيم



٢- قاضي القضاة محمد بن إبراهيم

الحضرمي

هو أبو عبد الله محمد ابن الإمام إبراهيم ابن الفقيه قيس بن سليمان الحضرمي، أخذ عنه مؤلف الدلائل والحجج العلم، وعرض عليه كتاب الدلائل، وذكر اختياراته الفقهية، وما يميل إليه من الأقوال في ثمانين موضعاً كما ذكر سماعه منه، تفقه القاضي أبو عبد الله بأبيه وجده، كما أخذ عن الفقيه محمد بن إبراهيم بن محمد وابنه الفقيه إبراهيم بن محمد وسيأتي ذلك عند ذكرهم (٤).

ومما يدل على فقهه مسألة التفريق بين الإهاب والأديم في مسألة استعمال جلد الميتة بعد الدباغ فقال القاضي :

قد كان نعلك قبل اليوم من إهاب فصرت تخطر في نعل من الأدم (٥) وللقاضي أبي عبد الله - ويكنى أبا قيس

فهل كانوا بحضر موت في معزل بأطرافها، متهيبين سكنى حواضرها؟ أم أنهم لم يكن لهم وزن يستحق أن يذكرهم ولو في مصاف مناوئيه؟

إن البحث هو الكفيل بالإجابة عن ذلك وعن غيره من أطوار التاريخ بحضر موت بفصل محكم يشفي العليل، ويروي الغليل، وما ذلك - إن شاء الله - ببعيد .

ثانياً : ذكر فقهاء الإباضية بحضر موت :

في هذا المبحث سنتناول جماعة من فقهاء المذهب الإباضي وقضاته وأئمة الحضارة، الذين كشف اللثام عنهم كتاب الدلائل في منتصف القرن الخامس للهجرة، وجُلهم من أسرة واحدة، نقف عند ستة منهم على النحو الآتي:

١. الفقيه إبراهيم بن عبد الله

الحضرمي

هو مؤلف كتاب الحجج والدلائل أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن سليمان بن قيس الحضرمي، نشأ بحضر موت، وأخذ عن فقهاء لاسيما أهل بيته، الذين عرفوا بالعلم والإمامة، فكان أحق بقول القائل :

فإن الماء ماء أبي وجدي

وبثري ذو حفرت وذو طويت

فجده الشيخ إبراهيم بن محمد كان فقيهاً، وعمه محمد بن إبراهيم كذلك، وقد لازم القاضي أبا عبد الله محمد بن إبراهيم بن قيس الحضرمي بأخذه عن أبيه وجده، ويليقي نسب هؤلاء الستة جميعاً في جدّهم سليمان بن قيس.

تولّى الإمامة بحضر موت، كما يفيد قوله: (ولولا ما أرجوه من الاشتغال بالقيام لزدت فيه ما اتفق من الأحكام)، والمراد بالقيام الإمامة، وقد زار عمان سنة ٤٥٢ هـ متتبعا آثار الإباضية، وجالس الفقهاء والأئمة ممن تفصل



٥ - الإمام إبراهيم بن قيس الحضرمي:

الإمام أبو قيس إبراهيم بن قيس الهمداني الحضرمي، صاحب مختصر الخصال، والأشعار التي تضمنها السيف النقاد، نشأ بحضرموت في قومه على رأي الإباضية كما يدل على ذلك قوله:

فإني من همدان أصلي وقدوتي

فمرداس والأوطان أرض الحضارم
تولى الإمامة بحضرموت، واستوى عليها سنة ٤٤٥ هـ كما في قصيدته الثانية:

وتاريخها شوال في عام أربع

وخسين تقفو أربعاً من هنية
وكان على صلة بأئمة عمان راشد بن سعيد اليعمدي ثم الخليل بن شاذان، واستنجد بالأخير حين صال الصليحي على حضرموت بل قبل صياله، وأخبره تطول، وهو صاحب أثر وكتاب كما في الدلائل والحجج (١٠).

٦ - الشيخ قيس بن سليمان بن قيس الحضرمي

كان فقيهاً وعالماً، حفظ عنه ابنه الإمام إبراهيم بن قيس العلم ونقل عنه مسائل في مختصر الخصال، وكذلك حفظ عنه ابن ابنه القاضي محمد بن إبراهيم، وأخذ عنه جد مؤلف الدلائل إبراهيم بن محمد وابنه الفقيه محمد كما مر آنفاً (١١).

ورد ذكره في السيف النقاد كثيراً فمن ذلك:

إني لمن حسنت الشيخ واحدة

ما كنت معترفاً أو غير معترف

وقوله:

لكن أبي لا زال عني ظله

للذين طود حامل الأثقال

لله ما أقواه من شيخ على

جهد البلا والخصب والإحمال

فهؤلاء ستة أعلام من هذه الأسرة التي نصرت المذهب الإباضي بحضرموت

ثالثاً: ذكر الإمام الخليل بن شاذان الخروصي

مما أفدناه من تأمل كتاب الدلائل والحجج ذكر الخليل بن شاذان إمام عمان، تولى الحكم سنة ٤٤٥ هـ وهو ممدوح الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن قيس الحضرمي، وقد زاره مؤلف كتاب الدلائل والحجج، ولازمه في حضرته وسفره، وورد ذكره في أربعة مواضع من الدلائل:

- أحدها: عند ذكر القاضي نجاد فقال: (سألني وأنا وهو في مسجد من مساجد الرستاق في بلد الإمام الخليل بن شاذان أيام قيامه) وذكر مسألة نقص الوضوء من مس الفرج (١٢).

- الثاني: قوله: (وكنّا نسير في عسكر سار به الإمام - أعزه الله - الخليل بن شاذان من الرستاق إلى دون صحار وحللنا موضعاً يقال له صحم يزيد على عشرين يوماً...) (١٣).

- الثالث: (وقد شاهدت بنزوى مع الخليل بن شاذان - أعزه الله جميعاً - يخرجون فيها إلى المسستغفر وهو الجبان فيتقدم فيخطب شيخ يقال له محمد بن أيوب بعد أن يصلوا ما شاء فرأيتهم يجلس جلسة خفيفة بين الخطبتين، ولم أرهم يصلون الجمعة قصراً بنزوى ولا من أي وجه تركه والإمام قائم، والدعوة ظاهرة) (١٤).

- الرابع: (وقد شاهدت أبا علي الحسن بن علي بن قريش - رحمه الله - بنزوى، وكنّا بها في رمضان في عسكر مع الخليل بن شاذان في سنة ٤٥٢ هـ ... (١٥)).

وهذه المواضع تفيد ثلاثة أمور:

١ - زيارة الفقيه أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله الحضرمي عمان، وملازمته للإمام الخليل بن شاذان أيام قيامه أي إمامته، فقد وافاه في نزوى، وصحبه في عسكره إلى الرستاق، وهي مدينة

عريقة بعمان، كانت عاصمة الإمامة، وذكر كذلك صحار وصحم، وهذه الزيارة تدل على الصلة الأكيدة بين حضرموت وعمان في تلك الفترة فكرياً وسياسياً، وقد ذكر الإمام أبو إسحاق الحضرمي أصحابه الذين يفدون إلى عمان قائلاً:

واذكر أخاك أبا إسحاق إن له

عزما يفل غرار المنصل الرهف

٢ - وكانت الزيارة سنة ٤٥٢ هـ وهذا يبين أن الإمام الخليل بن شاذان تولى الحكم بعد راشد بن سعيد، وليس كما ورد في تحفة الأعيان أن وفاته سنة ٤٢٥ هـ.

٣ - ذكر جماعة من أعلام الإباضية وفقهائها وكذلك إيراد مسائل فقهية. وقد أثنى وأطال الثناء الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن قيس الحضرمي في الإمام الخليل بن شاذان بقصائد كثيرة منها زيارته حين تولى فقال حين زاره:

وذكر إمام شاع في الناس ذكره

وطاب الثناء فيه الخليل بن شاذان

فقطعت غيطانا وجاوزت أبحرا

إليك أجر المجد من آل قحطان

ومنها الثناء عليه بما أمده من مال وسلاح:

هذا الخليل إمام المسلمين حكمت

أنوار سيرته في العدل نيرانا

حتى عبرت إليك البحر متصرا

أيام عدت بها أوليت جدلانا

ومنها الاستنصار به في صد الغزو الصليحي، وفي ثنايا شعره ذكر لأوصاف هذا الإمام وشماله، وهي كثيرة لا يتفق إيرادها في هذا المقام.

رابعاً: ذكر فقهاء عمان وقضاةها:

ورد في الدلائل والحجج ذكر بعض فقهاء إباضية عمان ممن التقى بهم وأخذ عنهم وهم:



خامساً : ذكر حضرموت وبعض المسائل

تضمن الكتاب ذكر حضرموت في بعض المسائل الفقهية منها :

١ - مسألة في غسل الميت قال القاضي أبو عبد الله: والذي نرى عليه العمل اليوم بحضرموت أنهم يغسلون الميت ثلاثاً على حسب الرواية في غسل آدم عليه السلام (٢١) .

٢ - مسألة الجلوس بين الخطبتين قال أبو إسحاق: ولم نشاهد مشايخنا بحضرموت يجلسون ونحن على فعلهم (٢٢) .

٣ - مسألة في الأيمان والنذور: وقال بعض علمائنا يعطي مكياي بمد حضرموت (٢٣) .

٤ - كان أهل حضرموت يفترون مع دخول المغرب، فقال مؤلف الدلائل: وقد شاهدت أبا علي الحسن بن علي بن قريش بنزوي فرايته لا يفطر حتى يظلم الليل وتبين النجوم، ولعل ذلك من كثرة الاحتياط؛ لأنه لا ينكر على من أفطر مع دخول الليل، وكذلك رأيت أهل عمان لا يصلون صلاة المغرب حتى تكثر النجوم لم نسالهم عن ذلك ولعل ذلك لإسباغ الوقت (٢٤) .

٥ - من أهل عمان من كره أن يقطع نخلهم وشجرهم وهو الشيخ أبو الحسن، قال: وأما سلفنا بحضرموت فحفظنا أنهم يقطعون نخل من امتنع عنهم .

قلت: وأشار أبو إسحاق إبراهيم بن قيس في السيف النقاد مبيئاً ما ذكر:

كذلك نجزي الفاسقين بقطعنا

مواردهم مع قطعنا كل لينة

ونصرم جبل المفسدين إذا عثوا

بهز الرماح السمر والمشرقة

٦ - من باب ميراث ذوي الأرحام قال: قد ذكرت دلائل في المواريث وتركت شرحها؛ لأنه يطول ولم أكن متمكناً لذلك (٢٥) .

(وسمعت من الشيخ أبي عبد الله محمد بن صلهام والقاضي أبي حمزة المختار بن عيسى وغيرهم ونحن بعمان يقولون: الجمع إحياء للسنة في السفر ... وكنا بالرستاق وسوني نصلي خلف أبي عبد الله محمد بن صلهام - رحمه الله - ...)، وقال أيضاً: (وقد شاهدنا أهل عمان وكنا نصلي معهم بالرستاق خلف الشيخ محمد بن صلهام وهو من أهل العلم والورع وهم يؤكدون ركعتي المغرب ... (١٩) .

وقد ورد ذكره في السيف النقاد في قصيدة منها:

سلام على نجل الإمام وشيخنا

سلالة صلهام الفقيه المسالم

٣ - القاضي نجاد بن إبراهيم اليحمدي المنجي:

كان فقيهاً قاضياً حياً سنة ٤٤٧ هـ، حفظ عنه صاحب الدلائل حديثاً في مسألة نقض الوضوء من مس الفرج، وروى أن امرأة مست فرجها فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها بإعادة الوضوء، وهذه الرواية حفظتها من قاض من قضاة عمان يقال له نجاد سألني وأنا وهو في مسجد من مساجد الرستاق في بلد الإمام الخليل بن شاذان أيام قيامه فقال: ما الحجة في نقض الوضوء من مس الفرج؟ فقلت: الله أعلم. فقال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أيما رجل أفضى بيده إلى فرجه انتقض وضوؤه، وأيما امرأة أفضت بيدها إلى فرجها انتقض وضوؤها) (٢٠) .

وورد ذكر جماعة آخرين منهم: الحسن بن أحمد النزوي قاضي الخليل بن شاذان، ومثل موسى بن أحمد، والقاضي أبي حمزة المختار بن عيسى، ومحمد بن علي العلقي العماني، وسعيد بن قريش العماني.

١ - القاضي الحسن بن سعيد بن قريش هو قاضي القضاة أبو علي الحسن بن سعيد بن قريش العقري النزوي، كان فقيهاً قاضياً، توفي سنة ٤٥٣ هـ، ذكره مؤلف الدلائل والحجج في مواضع أربعة:

- أحدها: (وقد شاهدت أبا علي الحسن بن علي بن قريش - رحمه الله - بنزوي، وكنا بها في رمضان في عسكر مع الخليل بن شاذان في سنة ٤٥٢ هـ ...) ثم ذكر مسألة في الصيام (١٦) .

وأما الثاني والثالث: فإنه قد حفظ عنه مسألتين في باب السترة بين يدي المصلي وكتاب المواريث، وأما الرابع: في مسألة في صلاة الجمعة صرح فيها أنه قاضي القضاة (١٧) .

مدحه أبو إسحاق الحضرمي مقترناً مع الخليل بن شاذان بقوله:

سلام على قاضي القضاة فإنه

دعامتنا المرجو لحمل الجسائم

وقوله:

أخو الدولة الزهر التي عز أمرها

بقاضي قضاة المسلمين الأطايب

ورثاه في قصيدة يقول فيها:

فيا حسن من للإمام إمامنا

إذا ما دهمي الداهي لأمر كمحشد

ومن ذايلاقي معبداً أو محمداً

وخدنها عبد الإله بن أحمد

ألا ليت شعري اليوم أية بقعة

حوتك لقد راحت بمجد وسؤدد

بنزوي فيانزوي سعدت بقره

أم بمنافي أم بأجبال محمد

ولوالده الشيخ سعيد بن قريش

صاحب كتاب الإيضاح ذكر في الدلائل أيضاً في موضعين (١٨) .

٢ - الشيخ أبو عبد الله محمد بن صلهام: كان فقيهاً وعالمًا ورعاً ووزيراً للإمام الخليل بن شاذان، سمع منه أبو إسحاق مؤلف الدلائل والحجج، فقال:



قلت : والمتأمل للسيف الناد يجد
 قاصدين في عويص مسائل
 الموارث مطلع الأولى:

شرحت مقالا في الفرائض محكما

دقيق المعاني مضمرا أي إضمار

ومطلع الثانية :

يسألني قيس الفتى ومحمد

لأنشر أبياتا عجائبها جم

٧- ذكر مسألة في صفة البيع في
 سبيل وهي: بيعة الشراء مثل بيعة عبد
 الله بن يحيى، وبيعة الظهور ومنها
 بيعة أهل حضرموت لأنتمهم، وبيعة
 الدفاع مثل بيعة أهل حضرموت
 لعيسى بن حجة، وبيعة الكتمان، قال
 مؤلف الدلائل: هكذا حفظته عن
 القاضي أبي عبد الله حفظه عن جده
 قيس بن سليمان (٢٦) .

قلت: وقد أشار أبو إسحاق إبراهيم بن
 قيس في شعره إلى عيسى بن حجة
 فقال:

عيسى بن حجة هم أبناؤه وبه

قدما وتركه موسى قامت الدول

يا آل حجة إن كانت أوائلكم

نالوا العلا فبنا نالوا العلا فسلوا

وأخيرا: فقد أتينا إلى بيان المقصود
 في هذه المباحث الخمسة، ومنحت مع
 الخاضعين بدلوي، وأسعت حبل البحث
 حيث أساموا، ولئن تفرق الناس
 وسلوكا شعابا وأودية متعددة فظهرت
 الفرق المختلفة - منها الإباضية - فإبني
 أسلك شعب الصحابة وواديهم، وأدور
 معهم في عقيدة أهل السنة والجماعة،
 وما خالفهم فهو رد على صاحبه، وإنما
 نحن في سياق الحديث عن مرحلة
 تاريخية ينبغي أن تدون كما هي، ولا
 يحول الخلاف دون إيراد الأخبار، فهذه
 دواوين التاريخ مشحونة بالآثار، ولعلنا
 كشفنا جانباً من جوانب تاريخية
 حضرمية مهمة، كان للدور الإباضي
 السيطرة على حضرموت، ولكن قبل أن

يسلمه الضعف والوهن إلى الموت
 ليرثه الفقه الشافعي، فقد ملأ البلاد
 من العلماء الذين سألت عنهم فاطمة -
 امرأة أبي إسحاق الهمداني زوجها -
 وأنت بزفرة كما في السيف النقاد
 بقولها :

وَأَيْنَ الْأُولَى إِنْ خَوَّطُوا عَنْ دَقَائِقِمْ

العلم أفتوا سائلهم وسارعوا

فقلت لها هم في شياهم ومنهم

بمفيدة قوم حوتهم مياهم

وفي هين منهم أناس ومنهم

بذي أصبح حيث الرضى والسداد

ومنهم بوادي حضر موت جاعة

وأرض عمان سيلهم ثم دافع

الهوامش :

(١) * عضو مجلس علماء وادي حضرموت .
 (٢) انظر المشرع الروي وعرر البهاء الضوي ،
 قالوا عن محمد بن علوي أنه كان من
 العلماء الزهاد بليغا أديبا فصيحاً ذكياً له
 الباع الطويل في أجناس العلوم، وقالوا عن
 أبيه علوي أنه برع في العلوم لاسيما
 التفسير والحديث والعربية ، وأما عبيدالله
 فقيل كان عالماً فاضلاً ، وأناطوا القضاء على
 الإباضية بأحمد بن عيسى بل ونشر
 المذهب الشافعي .

(٣) تاريخ حضرموت ١ / ٢٧٦ ، وقال علوي بن
 طاهر أيضاً (والواقع أن الأشعار مصنعة
 والقصة خيالية وإبراهيم بن قيس المزعوم
 شخص لم يوجد) ومما قال علي بن صالح
 الحامد (وبالجمل فاعقل ما يقال في تاريخ
 إبراهيم بن قيس هذا بعد ما ذكر أنه تاريخ
 غير محقق وأن تلك شخصية مشكوك فيها
 إن لم نقطع بعدم وجودها) ص ٢٧١ ، أما ما
 ذكره أبو بكر العدني ابن علي المشهور في
 سلسلة أعلام حضرموت بقوله (أجمع
 المؤرخون على ظهور الإمام عبيد الله
 بحضرموت بعد عودته من الحرمين ظهوراً
 كبيراً) ٢ / ١٨ وكذلك قوله عن ابنه علوي (
 أجمع الكل على مقامه السامق وتفوقه في
 علوم الشريعة وآلاتها) فهو كلام مرسى لا
 خطام له ولا زمام ، ودعوى لا تسندها أي إثارة
 من علم يشهد لهذه الدعاوى .

(٤) الدلائل والهجج ص ٦٠٧ فمن ذلك
 قوله: (أحفظ عن جدي قيس - ووجدت في
 الأثر عن والدي - أن للإمام أن يتكف مال
 المحاريين من أهل البغي ولا ضمان عليه) .

(٥) وهذا التقريب بين الإهاب والأديم يجمع
 بين دليلين في المسألة هما حديث ميمونة
 وحديث عبد الله بن عكيم .

(٦) ص ٤٤٢ . (الواطئ في الحيض إذا وطئ
 تاب واستغفر وإن عاد تاب واستغفر وإن عاد
 تاب واستغفر فإن عاد في الرابعة حرمت عليه
 وأنا أميل إلى هذا القول والله أعلم) .

(٧) ص ١٦٦ - وقوله : وقد وجدت لبعض
 مشايخنا وهو الشيخ إبراهيم بن محمد رحمه
 الله أن عليه يكبر له ص ٢٢١ .

(٨) ص ٢٩٣ - ٣٧٩ - ٤٨٧ - ٥٣١ - ٥٣٣ .
 وفي الأثر عن الشيخ أبي إسحاق أن من ضرب...
 (٩) - وعن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد إن
 أقله - النفاس - إحدى عشرة .

(١٠) ص ٢٩٢ - ٣٨٥ - ٤٤٧ - ٤٤٧ - ٦٦٩ .
 (١١) ص ٢١٣ - ٤٤٢ - ٥٧٢ - ٥٩٩ - ٦٠٧ .

(١٢) ص ٧٨ .

(١٣) ص ٢١٧ .

(١٤) ص ٢٣٣ .

(١٥) ص ٢٩٨ .

(١٦) ص ٢٩٨ .

(١٧) ص ٢٣٤ - ٣٩١ .

(١٨) ووجدت في الأثر في جواب مسائل عن
 سعيد بن قريش في كتاب الحيض ، ص
 ٤٤٥ وقال القاضي أبو عبد الله محمد بن
 إبراهيم وحفظت عن محمد بن علي العلقي
 العماني أنه حفظ عن سعيد بن قريش
 العماني أن الجارية التي لم تحض تستبأ
 ستة وعشرين يوماً ص ٤٧٥ .

(١٩) ص ٢١٦ - ٢٥٠ وقال أيضاً (وكذلك
 حفظت عن أبي عبد الله محمد بن صلحان
 وكان من أهل العلم والورع بعمان قال : لنا
 عند منصرفنا من عمان إذا عقد الإمام البيعة
 فأحرصوا على كثرة مبايعة الناس للإمام ...)
 ص ٦٠٤ .

(٢٠) ص ٧٨ .

(٢١) ص ٩٨ .

(٢٢) ص ٢٣٤ .

(٢٣) ص ٣٨٣ .

(٢٤) ص ٢٩٨ ، والسنة تعجيل الفطر .

(٢٥) ص ٣٩٢ ومما يدل على تواضعه أيضاً :
 وأهل المغرب رحمهم الله أفضل منا وأقدم
 وأعلم بدين الله وأحكم ص ٦٦٩ .

(٢٦) ص ٥٩٩ .



23

العدد (6)
أكتوبر
ديسمبر
2017م

مجموعة المقالات والأحكام والفتاوى النادرة

تعقيب للشيخ القاضي عبدالله بن عَوْض بُكَيْر* على حُكْم للمُؤرِّخ
الشهير القاضي الشيخ سعيد عَوْض بن طاهر باوزير**



محسن علوي أبوبكر باعلوي

عشر (١٤) رُوبية بنقالي، ومقلمة فيصل المعمولة من نوع السُّلْب (١٥) خشنة طولها أربعة أذرع — بذراع التُّجَّار، وعرضها ذراعين (١٦) — إلا رُبع قيمة رُوبية؛ ونص بنقالي، وثوب لاسو (١٧) أصفر من الغَزْل الكَتَّان طول أربعة أذرع بذراع التُّجَّار، وعرضه ثلاثة أذرع — إلا رُبع قيمة رُوبية — إلا رُبع بنقالي بما عليه من زري المسمَّى بالتِّل العَدَنِي اثنا عشر ذراع (١٨) — بذراع التُّجَّار، قيمة الذراع حرفين (١٩) قيمة ثلاث رُوبية (٢٠) بنقالي، وكُرْتَه كَرِيبَ معمولة من السُّلْب النَّاعِم طولها ستة أذرع بذراع التُّجَّار بما عليها من زري المسمَّى بالتِّل

البنقالي سبع رُوبية (٥)، ونص بما عليها من الزري المسمَّى بالتِّل العَدَنِي (ثمان عشر ذراع) (٦) بذراع التُّجَّار، قيمة الذراع ثلاثة حُرُوف، وثلاث بَيْس (٧) قيمة سبع رُوبية (٨)، ونص، وثمان (٩) وثلاث قِوَاقر.

واحدة منهن: صَارُوم باتيك غليظ، طولها أربعة أذرع — بذراع التُّجَّار، وعرضها ذراعين (١٠)، ونص، قيمة رُوبية — إلا رُبع بنقالي.

والثانية: حَرِير صرطي ناعم طولها أربعة أذرع — بذراع التُّجَّار، وعرضها ذراعين (١١)، ونص، قيمة رُوبيتين — إلا رُبع بنقالي.



المُؤرِّخ القاضي سعيد عَوْض بن طاهر باوزير



الشيخ القاضي عبدالله بن عَوْض بُكَيْر

العَدَنِي قيمة رُوبيتين — إلا رُبع بنقالي. (وَحْلِي اثْنَيْن صُمُوط (٢١) فضة حق اليد، ميزان رُبع رطل، وثمان قيمة سبعة ريال (٢٢)، واثْنَيْن جَمَك (٢٣) ميزان أوقية قيمة قرشين (٢٤)، وشكَّتَيْن (٢٥) من الفرج (٢٦) المعروف،

والثالثة: كَرِيب (١٢) ناعم طولها أربعة أذرع بذراع التُّجَّار، وعرضها ذراعين (١٣) ونص قيمة رُوبية — إلا رُبع بنقالي، ومقلمة من الحرير الإبريسم الأحمر الناعم المسمَّاة في عُرْف بلدنا زنجبارية أم طرفين قيمة أربع

لمحة عن واقعة الحكم القضائي

للشيخ سعيد عوض بن طاهر:

الحكم وقع سنة (١٣٥٦ هـ)، وهي السنة التي وُلِّي فيها الشيخ سعيد بن طاهر القضاء بمدينة غيل باوزير، والذي وُلَّاه قضاء الغيل هو النائب علي بن صلاح القعيطي الذي ناب عن السلطان صالح سنة (١٣٥٦ هـ) أثناء غيابه بالهند.

نص الدَّعْوَى المقدمة للقاضي الشيخ سعيد عوض باوزير:

بسم الله الرحمن الرحيم

أدعي وأنا (سعيد أحمد باحبارة) حال كوني وكيلًا عن (مريم بنت سالم أحمد بامعرفة) ثابتة الوكالة شرعاً على (علي صالح بلعصر) الغائب عن البلد الغيبة الشرعية المجورة لسماع الدَّعْوَى، والحكم عليه؛ وهو: (أنه وضع يده على كُرْتَيْن (١) من القماش الطابرز النَّاعِم دقيق الغَزْل الجديد كل واحدة مشتملة على ستة أذرع بذراع التُّجَّار عن (اثنا عشر ذراع) (٢)، قيمة الذراع خمسة حُرُوف (٣)، قيمة ذلك من الرُوبيات (٤)



24

العدد (6)
أكتوبر
ديسمبر
2017م

فيهن ثمانت عشر (٢٧) حبة، الحبة ميزان نص أوقية قيمة تسعة ريال.

وجملة قيمة المدعى به ثمانت عشر

ريال (٢٨)، ومن الرُوبيات البتقالي

تسعة وثلاثين (٢٩)، وثلاثة حروف ونص.

فطالبته أن يرفع يده من المدعى به

المذكور أعلاه، فامتنع، وهو يلزمه أن يرفع

يده مما ادّعت به، ويُسَلَّم ذلك لموكلتي،

وأنا مطالب به بذلك، ولي بيّنه تشهد بما

ادّعت يعلمها القاضي، أريد أن أقيّمها.

أطلب من نائب الشرع الشريف (٣٠)

سماعها، والحكم بمقتضاها، والله

يقول الحق، وهو يهدي السبيل.

(حكم الشيخ القاضي سعيد عوض باوزير):

حيث كان المدعى عليه حاضراً بالمكلا،

ولم يتعذر على المدعي الانتقال إليها، أو

إقامة وكيل عنه في الدعوى عليه رفضناها،

فلم نسمعها كما نصت عليه المادة ٤٢.

سعيد عوض بن طاهر

(تعقيب الشيخ القاضي عبدالله

بن عوض بكير):

((بسم الله الرحمن الرحيم))

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

وَكُؤْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ مِنْهُمْ

الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ آل عمران: ١١٠

وفي الحديث الشريف: (مَنْ كَتَمَ

علماً أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلُجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ) (٣١).

وإن من أنكر المنكر معارضة الشريعة،

ومدافعة أحكامها بالقوانين والمواد

المخالفة لها، ولربما أدى ذلك إلى

الردة - والعياذ بالله تعالى -، ففي

فتاوى العلامة السيد عبدالرحمن

مشهور (٣٢) نقلاً عن فتاوى العلامة

بامخرمة (٣٣): يجب أن تكون الأحكام

كلها بوجه الشرع الشريف، وأما أحكام

السياسة فما هي إلا ظنون وأوهام،

فكم فيها مأخوذٌ بغير جناية، وذلك

حرام.

وأما أحكام العادة والعرف، فقد مر كُفر

مستحلّه؛ ولو كان في موضع من يعرف

الشرع لم يجز له أن يحكم أو يفتي بغير

مقتضاه، فلو طلب أن يحضر عند حاكم

يحكم بغير الشرع لم يجز له الحضور

هناك بل يَأْتُم بحضوره) اهـ.

ويُعلم من رفض القاضي لهذه

الدعوى رفض القضاء على الغائب الذي

جاءتنا به الشريعة المطهرة وقضى به

الإمامان: عمر بن الخطاب، وعثمان بن

عفان -رضي الله عنهما- وغيرهما من

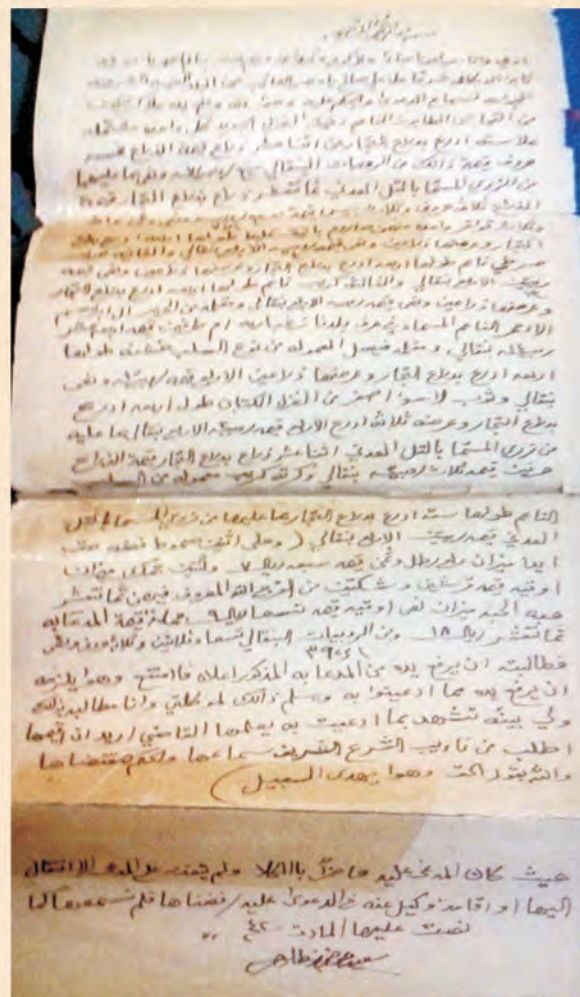
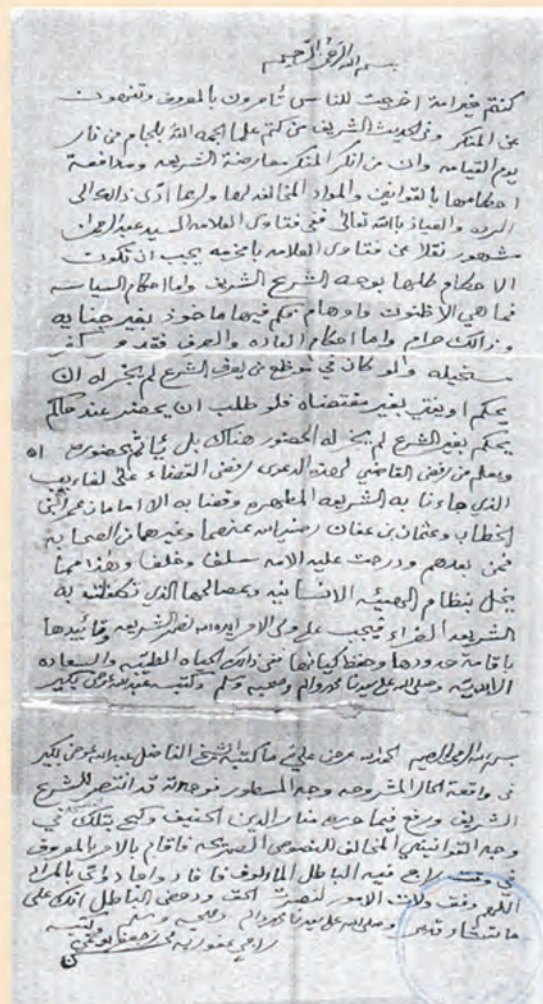
الصحابه فمن بعدهم ودرجت عليه

الأمة سلفاً وخلفاً. وهذا مما يخل

بنظام الهيئة الإنسانية وبمصالحها

الذي كُلفت به الشريعة الغراء، فيجب

على ولي الأمر -أيده الله- نصر





25

العدد (6)
أكتوبر
ديسمبر
2017م

(١٦) كذا في الأصل، والصواب: ذراعان.
(١٧) اللاسو: كلمة سواحلية تعني الستارة، وهي إما تستر الوجه كالنقبة، وإما تستر أسفل الجسم كالصاروم، ويقال له كذلك: الليسو.
(١٨) كذا في الأصل، ولعل الصواب: قيمة اثني عشر ذراعاً.
(١٩) كذا في الأصل، والصواب: حرفان.
(٢٠) كذا في الأصل، والصواب: ثلاث روييات.
(٢١) الصُّمُوط: نوع من أنواع الحلي يلبس في عضد اليد.
(٢٢) الريال: عملة نمساوية كانت تستخدم في حضرموت.
(٢٣) الجَمَك: نوع من حلي النساء يلبس في الأذن.
(٢٤) القرش: عملة تساوي روبيتين ونصف الروبية، أو عشرين حرفاً.
(٢٥) الشُّكَّة: نوع من الحلي كالقلادة تشك فيها حبات اللؤلؤ أو نحوها.
(٢٦) كلمة غير واضحة.
(٢٧) كذا في الأصل، والصواب ثمان عشرة.
(٢٨) كذا في الأصل، والصواب ثمانية عشر ريالاً.
(٢٩) كذا في الأصل، والصواب: تسع وثلاثون.
(٣٠) نائب الشرع: المقصود به القاضي.
(٣١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند في أكثر من موضع عن أبي هريرة، انظر المسند برقم (١٠٤٨٧)، (١٠٥٩٧)، وأخرجه أبو داود في سننه، في العلم برقم (٣٦٥٨)، والترمذي في سننه، في العلم برقم (٢٦٤٩)، وابن ماجه في مقدمة سننه (٢٦١)، والحديث حسنه الترمذي، وصححه الحاكم، وغيره، قال المنذري في مختصر السنن: والطريق الذي خرج أبو داود طريق حسن، وقال ابن كثير في تفسيره: (وقد ورد في الحديث المسند من طرق يشد بعضها بعضاً، عن أبي هريرة وغيره أن رسول الله قال: من سئل عن علم فكتمه... الخ).
(٣٢) فتاوى العلامة عبدالرحمن بن محمد المشهور، (ت ١٣٢٠هـ) تسمى بـ(بغية المسترشدين).
(٣٣) فتاوى العلامة عبدالله بن عمر بامخرمة الملقب بالشافعي الصغير، (ت ٩٧٢هـ).
(٣٤) السيد العلامة محسن بن جعفر أبونمي مفتي الساحل، ولد سنة (١٣٠٦هـ)، وتوفي سنة (١٣٧٩هـ).

التحصيل والمذاكرة، وطالع بنفسه علوماً كثيرة، وأخذ عن الشيخ عمر بن يعقوب باوزير، ثم رحل إلى (سينون) وأخذ عن السيد علي الحبشي. ولي إمامة مسجد (الصداع)، ثم إمامة مسجد (حباير)، ثم ولي الإمامة بمسجد (الروضة) بالغيل، ثم (اليافعي) بها.

ولي قضاء بندر المكلا في فاتحة ربيع الأول سنة (١٣٥١هـ) = ١٩٣٢م. وكانت له اليد الطولى في إصلاح نظام القضاء، وله فتاوى كثيرة، وأحكام غير مجموعة.
توفي يوم الاثنين ١٧/جمادى الثانية/سنة (١٣٩٩هـ) = ١٩٧٩/١٤/٥م.

** الشيخ المؤرخ القاضي سعيد بن عوض بن طاهر باوزير، ولد سنة (١٣٣٢هـ) - ثنتين وثلاثين وثلاثمائة وألف - بغيل باوزير.

تلقى بداية تعليمه في معلمة البكري سنة (١٩٢١م).

ثم التحق بالرباط، وبه أخذ عن السيد محسن أبي نمي، وبأغوزة، وعبد الصادق بن قويرة.

تقلد وظائف عدة، وعمل كاتباً بالمجلس العالي للقضاء في المكلا. وكان عارفاً بالأخبار ومؤرخاً أديباً له أكثر من مؤلف في التاريخ وقد انتشرت مؤلفاته في الجهات.

توفي سنة (١٣٩٨هـ) = ١٩٧٨م.

(١) الكُرْتَة: لفظة غير عربية، وتعني نوع من ألبسة النساء له أكمام، وخاصرة.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: اثني عشر ذراعاً.

(٣) الحرف: عملة تساوي ثمن الروبية.

(٤) الروبية: عملة هندية تساوي ثمانية حروف.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: سبع روييات.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: ثمانية عشر ذراعاً.

(٧) البيسة: عملة تساوي ثلاثة أرادي، وربما قيل لها: السنن، ويجمع على سنوت.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: سبع روييات.

(٩) كلمة غير واضحة.

(١٠) كذا في الأصل، والصواب: ذراعان.

(١١) كذا في الأصل، والصواب: ذراعان.

(١٢) الكُرْتَب: نوع من أنواع القماش.

(١٣) كذا في الأصل، والصواب: ذراعان.

(١٤) كذا في الأصل، والصواب: أربع عشرة.

(١٥) السُّلْب: نوع من أنواع الغزل، تصنع منه الحبال.

الشريعة وتأييدها بإقامة حدودها وحفظ كيائها، ففي ذلك الحياة الطيبة، والسعادة الأبدية. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. وكتبه عبدالله عوض بكير

تقريظ العلامة السيد محسن بن

جعفر أبي نمي (٣٤):



((بسم الله الرحمن الرحيم))

الحمد لله ... عرض علي ما كتبته الشيخ الفاضل عبدالله بكير في واقعة الحال المشروحة وجه المسطور، فوجدته قد انتصر للشرع الشريف، ورفع فيما حرره منار الدين الحنيف، وكبح بتلك النصيحة في وجه القوانين المخالفة للنصوص الصريحة، فأقام بالأمر بالمعروف في وقت راج فيه الباطل المألوف، فأفاد وأجاد، وأتى بالمراد.

اللهم وفق ولاية الأمور لنصرة الحق، ودحض الباطل؛ إنك على ما تشاء قدير. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وكتبه راجي عفو ربه محسن بن جعفر بونمي.

الهوامش:

* الشيخ عبدالله بن عوض بكير، ولد سنة (١٣١٤هـ) بغيل باوزير.

واشتغل بطلب العلم على الشيخ عمر بادباه، وقرأ عليه جملة صالحة من الفنون، ولازمه نحو خمسة عشر عاماً، وجد في



ميناء الحامي

مستودع الربابنة ومهوى الباحثين



عرف ميناء الحامي بحضرموت عبر عصور التاريخ بأنه محطة ملاحية تدرس فيها علوم البحار والفلك وترسو فيها السفن الحضرمية والعمانية والكويتية واليمنية للتزود بالماء والوقود، أو تستأجر الربابنة لقيادة السفن في أعالي البحار إلى موانئ الهند شرق إفريقيا. وقد بقي اليوم في مكتبات أولئك الربابنة بعض المخطوطات الملاحية لربابنة الحامي وبعضها لربابنة ميناء صور العماني. يقول عنها الأستاذ الباحثة عبدالرحمن الملاحي في بحثه عن ريادة الحضارمة في مجال الملاحة البحرية: "تحفظ المكتبات الخاصة بمنازل الربابنة عدداً من المصنفات التي كتبت في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي العاكس لمعارف ربابنة القرن الثامن عشر، ويُعدُّ أهالي مدينة الحامي من أحرص الناس على الحفاظ بمتروكات أسلافهم البحرية من رحمانيات ومرشدات وروزنامات ومدونات ومعدات ووسائل بحرية، فقد عرف الميناء ومنذ قرون بأنه مستودع الربابنة والملاحين بحضرموت؛ لاشتغال معظم أهله بالملاحة البحرية يمارسونها منذ الصغر". ولهذا وصفت الحامي بأنها "مدرسة للنواخذة والربابين ومنبع للتربنة والتنخذه، وأرض القياسات والناليات (الخرائط) والتواريخ البحرية والفلكية" كما نعتها المرحوم الشاعر سالم بن أحمد باعامر عندما وصف بلدته الحامي في كتيبه (نواخذة السفن الشراعية في حضرموت والمهرة، الصادر عن دار الحامي للدراسات ٢٠١١). وقد عدّه المؤرخ البحري القدير حسن صالح شهاب بأنه ثالث الموانئ العربية بعد مينائي الكويت الخليجي وصور العماني، الذي تفوق أبنائها في فنون الملاحة البحرية، وأن تلك المدينة الصغيرة أنجبت في العصور المتأخرة بحارة جابوا عرض المحيط الهندي طولاً وعرضاً، وتلك حقيقة تاريخية ظاهرة لا سبيل إلى نكرانها، ولا ننتقص غيرها من الموانئ الحضرمية الشهيرة كالشحر والمكلا وبروم التي لها تاريخها المشرق في مجال الملاحة البحرية.

الحامي يجوبون البحار بسفنهم الشراعية، من خليج البنغال إلى خليج السويس ومن مشارف ناتال بجنوب إفريقيا إلى ميناء البصرة، وبذلك أبقوا الخط الملاحي الشهير المعروف بخط مسقط - الشحر - المخاء مفتوحاً للتجارة بين جنوب بلاد العرب والعالم الخارجي.. وقد احتفظت الحامي دون بقية الموانئ اليمنية الجنوبية بمزية إنجاب مشاهير الملاحين البحرينيين، وكانت مثار اهتمام رجال البحر من الحضارمة وغيرهم ومثار نقاشهم؛ لأن أهالي الحامي على قلتهم كانوا إلى منتصف القرن الرابع الهجري عشر يملكون أسطولاً تجارياً من السفن

إن تلك الأهمية التي احتلتها الحامي جاءت من ذلك الفيض العلمي الذي زخرت به في فنون الملاحة البحرية والفلكية واشتهر به أبنائها عبر القرون حتى قال عنهم الأستاذ المؤرخ محمد عبدالقادر بامطرف في كتابه الشهداء السبعة ص ٤٠ - ٤١: "وقد عاش في الحامي خيرة الملاحين البحرينيين اليمنيين الذين كانوا عماد الملاحة البحرية الجنوبية عبر التاريخ، وقد تعرض هؤلاء لأعنف أنواع القـرصنة البرتغالية، ورغم الأخطار المدمرة التي تعرضوا لها على أيدي القـراصنة البرتغاليين ثم الهولنديين ظل أهل



محمد علوي باهارون



هو نوعها وحجمها ومن يمتلكها ومن ربايتها؟ وما أسماء المزارع والآبار؟ تلك المعلومات تصمت عنها تلك المصادر، وتقف عاجزة عن الإجابة عنها، ومنها تاريخ الربان سالم عوض بأسباع الشحري المتوفى سنة ٩٥٠ هـ المسمى (بهجة السمر في أخبار بندر سعاد المشتهر)، وهو أقدم مرجع ذكرت فيه الحامي بشيء من الإجمال مما جعل البعض يشكك بوقوع تلك الحوادث ولكن لا سبيل إلى نكرانها فقد ذكرت في تلك المراجع الموثوقة والحافظ حجة على من لم يحفظ.

وقد نبغ أهل الحامي في مهنتهم المفضلة الملاحة البحرية الشراعية التي توارثوها أباً عن جد، وأظهروا فيها تفوقاً عظيماً يشهد لهم على طول الباع والفضل ما شهدت به الأعداء، وظهرت بها عدة أجيال برعت في تلك الحرفة ومنهم جيل الربان عمر بن علي باعباد في القرن الثاني عشر الهجري ومنهم السيد أحمد بن هارون جمل الليل والشيخ سالم بن عبد الشيخ باطايح والسيد عوض بن محمد عيديد وغيرهم، ثم جيل الربان المعلم سعيد بن سالم باطايح في القرن الثالث عشر الهجري ومنهم السيد عبد الله بن عوض عيديد وحفيده السيد علوي بن حسن وغيرهم، ثم جيل الربان المعلم عوض بن أحمد بن عروة في القرن الرابع عشر الهجري ومنهم الربان عمر عبيد باصالح والربان محمد عوض عيديد، ثم جيل الربان

المنيف للربان سعيد بن محمد الغيلاني الصوري.

٣. دلائل البحرات والمبحرين للربان العماني محمد بن أحمد با ماجد الظاهري.

٤. دليل المحترفي في علم البحار للربان عيسى القطامي (ت ١٩٢٩ م) بقلم الربان أحمد عوض عيديد (ت ١٩٥١ م)

٥. مختصر رحمان الربان الكويتي عيسى القطامي للربان محمد عبد الله باعباد. (تحت التحقيق)

٦. مدونة الربان الفلكي محمد بن عوض عيديد (ت ١٩٣٨ م)

٧. منظومتا الربان سعيد بن سالم باطايح (ت ١٨٥٦ م).

٨. مذكرات ومدونات الربان محمد عبد الله باعباد (ت ١٩٨١ م) طبع جزء منها.

٩. رحمان الربان سالم سالمين كعيتي (ت ١٩٨١).

لقد احتلت الحامي مكانة خاصة في التاريخ البحري لخصرموت وجنوب الجزيرة العربية منذ قرون غابرة، ومما يؤسف له أنه لم تصلنا أية معلومات عن تلك القرون سوى معلومات عامة طفيفة لا تغني نهم الباحث المتطلع منها ذلك الدور الريادي الإنساني الذي اضطلع به أبناء الحامي إبان الغارات البرتغالية على موانئ خصرموت، وهو بالمقابل معلومات عامة تنص على سبيل المثال: أغرق البرتغاليون خمس سفن راسية في ميناء الحامي، وأحرقوا مزارعها وردموا آبارها. فما هي أسماء تلك السفن وما

الشراعية قدر بأكثر من خمسين سفينة عابرات المحيطات، ويعتبر بحارة الحامي وملاحوها في طليعة الملاحين اليمنيين ممارسة وانضباطاً وتمتعاً باللياقة البحرية.. ولعب أهل الحامي دوراً رائعاً في ملاحة اليمن الجنوبية منذ فجر التاريخ، فهم الذين كانوا يسيرون الخط التجاري القديم بين الشحر والهند والخليج وشرقي وجنوبي إفريقيا.. ولعل المؤرخين العرب كانوا يعنون أهل الحامي عندما تحدثوا بصورة عامة عن أهل الشحر أن لهم ميلاً لعلم النجوم، وذلك لأن أهالي مدينة الشحر رغم ولعهم بالملاحة البحرية لم يبرزوا - بعد الملاح الحكم سليمان المهري - بروز أهل الحامي في الاهتداء بالنجوم في أعالي البحار. والملاحون من أهل الشحر الذين اشتهروا في العصور المتأخرة، كأمثال عبد الله محمد مدي ومحسن عبد الحبيب بوبك، إنما تلقوا تدريبهم النظري والعملي على أيدي ملاحين من أهل الحامي كما يحدثنا الشيخ سعيد علي بامعبيد في كتابه (زاد الأسفار في أخبار الشحر وعدن وملابار). ومن أبرز المخطوطات البحرية النادرة التي احتفظت بها مكتبات ربانة الحامي ما يأتي:

١. نبهت الغافل في معرفة علم البحر وقواعده وجاريه ومسافاته وأزوامه للربان العماني ناصر بن علي الخضوري الصوري (ت ١٩٦٢ م) (تحت التحقيق).

٢. الجوهر اللطيف في علم البحار



المعلم محمد بن عبد الله بأعباد ومنهم النوخذة سالم سالمين كعيتي وشيخ محمد بأعباد وغيرهم وهو آخر جيل عمل في هذه المهنة حتى أفل نجمها في أوائل السبعينات الميلادية.

وجميع شخصيات تلك الأجيال التي ذكرناها نبغت في فنون الملاحة وامتلكت العديد من المدونات البحرية والسفن الشراعية وتولت قيادتها وتخرجت على يديها العشرات من نواخذة حضرموت في بروم والمكلا والشحر والحامي والديس وغيرها يطول بنا الحديث في تفصيل ذلك.

ويؤرخ لنا تلك الحقيقة العديد من الشعراء في قصائدهم والملاحين في مذكراتهم ومنهم الشاعر عبد الله سعيد بأعمرو من أهالي الديس الشرقية يقول: ما قدرت فارق بو حمد دار السياسة والفكر بن عروة المصويت له فنين من فوق الفنون رباننا والنوخذة له عرف في بحر وبر يعجبك في ضبط المجاري في وسيعات الخنون خاض البحور العالية ما بدا جحب والا انكسر يقسم الديرة دقاري لا قد الحاجة دهن وقد تدرب على يد الربان ابن عروة المذكور العشرات من أبناء الحامي والديس والشحر واصطحبوه معهم وهو في حال شيخوخته للاستفادة من خبراته التي وقف أمامها النواخذة منبهرين في موانئ المحيط الهندي وما حادثته الشهيرة بشم طين قاع البحر إلا واحدة من عشرات المهارات التي تمتع بها والتي تناقلها عنه البحارة في موانئ حضرموت والخليج العربي وحدثوا بها أبناءهم إلى اليوم والليلة.

كما تدرب على يد الربان محمد بأعباد تلميذ ابن عروة العشرات من نواخذة الحامي والديس والشحر، منهم النوخذة أحمد سعيد باهيال وغالب بن حنش السعدي وعبود محمد باخبازي وسعيد عمر حوري وأحمد محمد بأعباد وعبد الرحيم عمر حوري وغيرهم. وقد أشاد بدور الحامي الملاحي العديد

من الشعراء ومنهم الشاعر الكبير حسين أبوبكر المحضار في العديد من قصائده الفصحى والعامية ومنها قوله:

من الحامي بدا تاريخنا البحري

ومنها النوخذة المصويت والبحار

وكم وشرا السفن في سالف العصري

بها متحدين الموج والاعصار

ومنها سافر السنبوق والعبري

ولا معبار الا منها المعبار

وكم من ساعة في بحرها تجري

وترسي حولها ببضائع التجار

سلوا عنها العماني هو مع المهري

وبنها الشهم ذي يصمد ولا ينهار

وفي قصيدة أخرى يقول:

هذا البلد له مجد سامي

قبل الخرافي والقطامي

من أجل ذا سموه حامي

ذا اسم كم يحمل معاني

كم فيه من فرمال بطرح

اسأل كلمب عنه ومطرح

واليوم هو لا زال بطمح

في مجد فوق المجد ثاني

والخرافي والقطامي من كبار رباننة

ونواخذة الكويت الذين كانوا يترددون

على ميناء الحامي وربطتهم به علاقة

ملاحية واجتماعية وخيرية حميمة

ما زالت قائمة بين أحفادهم إلى اليوم.

وبعد انقراض مهنة الملاحة استقر

الملاحون في بلدتهم مرجعاً للباحثين

والمهتمين بالتاريخ البحري، فقد تهافت

الباحثون إلى بيت الربان محمد عبد الله

بأعباد للاستفادة من علومه وخبراته

البحرية، ومنهم الأستاذ محمد عبد القادر

بامطرف في كتابيه (الرفيق النافع)

و(شخصيات لا تنسى)، وبالنائب بدر

أحمد الكسادي في كتابيه (القاموس

البحري) و(أبطال منسيون). بتحقيقنا،

والأستاذ حسن صالح شهاب - الذي

أهدى كتابه (فن الملاحة عند العرب)

للربان ابن عروة - في كتابيه (الملاحة

الفلكية) و(المعجم المفصل)، والأستاذ عبد الرحمن الملاحي والأستاذ جعفر محمد السقاف والدكتور البريطاني روبرت سارجنت الذي أعد دراسة مقارنة عن منظومة الملاح باطايح من سيحوت إلى زنجبار عام ١٩٨٢م.

وفي مطلع التسعينات الميلادية وقد إلى الحامي العديد من المهتمين بدراسة الملاحة البحرية عند العرب ومنهم الباحثان الأمريكيان إدوارد برادوس وديفيد واربرتن، وقد حضر الأول رسالة ماجستير عن أساليب صناعة القوارب والسفن الخشبية لخص جزءاً منها على متن زعيمة فرقة اليمن بالحامي، وكتب مقالاً بعنوان (الحامي تحفظ ماضيها البحري) نشره في مجلة سي هستوري الأمريكية عام ١٩٩٩م، كتبه بالاشتراك مع صديقه ديفيد، يقولان فيه: "تمثل مدينة الحامي ثورة المعرفة والخبرة الملاحيتين للجزيرة العربية. من على مسافة تبدو مدينة الحامي واحدة من التجمعات العربية الفقيرة المعتمدة على الصيد، ولكن عندما غادرناها وتلاشت أمام أعيننا أدركنا أنها كانت قرية ذات مكانة خاصة في تاريخ العرب".

ومنهم الباحثة الأمريكية ليندا التي قدمت دراسة ماجستير بعنوان (على حافة إمبراطورية حضرموت والهجرة في المحيط الهندي) وقد اطلعت على العشرات من وثائق الحامي الزراعية والعقارية، ومكثت أياماً عدة في ضيافة المرحوم عمر سالم الكسادي، وجاء بعدها الباحث الفرنسي ميشل نيتوه الذي أعد رسالة عن اللهجات العربية في منظومتي الملاح باطايح ودافع عنها في عام ١٩٩٥م في جامعة إكس ان بروفانس بفرنسا، وغيرهم من الباحثين وقد استعرضنا استفادتهم في دراستنا الصادرة عن دار الحامي للدراسات والنشر وخدمة التراث بعنوان (ميناء الحامي في عيون الباحثين والمؤرخين العرب والأجانب) .. وبالله التوفيق.



هل وقف الحفاظان المؤرخان ابن حجر و تلميذه السخاوي على شيء من تاريخ آل العمودي؟



دعاني إلى هذا السؤال؛ أنه في استقراي للكتب التاريخية التراجمية للحافظين ابن حجر العسقلاني (توفي سنة ٨٥٢هـ)، وتلميذه شمس الدين السخاوي (توفي سنة ٩٠٢هـ) - رحمهما الله - وهي: "إنباء الغمر بأبناء العمر"، و "التبر المسبوك في ذيل السلوك"، و "الذرة الكامنة في أعيان المائة الثامنة"؛ و "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع".

وهو أبو عيسى سعيد بن عيسى العمودي؛ صاحب "قيدون" قرية بقرب دوعن؛ قبره بها مشهور يزار. وله ذرية كثيرون صالحون أهل زوايا. وقدم علينا من آل أبي عيسى جماعة: منهم: عمر بن أحمد أخو الشيخ عثمان بن أحمد الذي ذكرنا أنه الشيخ فيهم؛ وذكر من فضائل أبيه أحمد بناء المسجد الجامع وغير ذلك. ولآل أبي عيسى قرية أخرى يقال لها: "بضه" قرية كبيرة تقارب "قيدون"؛ والإشارة بأمرها إلى بني عبد القادر منهم. ولهم قرية ثالثة صغيرة، لم أحفظ اسمها. وهم كثيرون أكثر من المائة؛ أكثرهم حفظة سالكون الطريق؛ وفقهم الله. وكان سعيد هذا معاصراً للشيخ عبد الله بن أبي عباد؛ أول شيوخ آل أبي عباد، وله معه منازعة على فقير من فقراء سعيد؛ صاحب أباعباد، ومال إليه؛ ذكرها الحضرمي في مناقبه، وسيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى. وكانت وفاة الشيخ سعيد بعد ستمائة وستين أو سبعين تقريباً والله أعلم. ولبس الشيخ سعيد من الشيخ عبد الله الصالح، عن عبد الرحمن المقعد، عن الشيخ الكبير أبي مدين المغربي. كذا سمعته من فقيه محقق قدم علينا قافلاً من الحج في سنة ثلاثين؛ واسم هذا الفقيه: عبد الله بن محمد بن عثمان من قرية الشيخ سعيد المذكور؛ قال:

والحضارمة بخاصة؛ كتاباً: "السلوك في طبقات العلماء والملوك" للقاضي أبي عبد الله محمد بن يوسف الجندي السكسكي الكندي (توفي ما بين سنتي ٧٣٠هـ / ٧٣٢هـ). وذيل السلوك المسمى: "تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن" لبدر الدين الحسين بن عبد الرحمن الأهدل (توفي سنة ٨٥٥هـ). أما الأول للمؤرخ الجندي؛ فيعتبر أول من أشار إلى الشيخ سعيد بن عيسى العمودي (توفي سنة ٦٧١هـ)؛ وهو الجد الجامع لأفخاذ الأسر العمودية جمعاء. غير أن إشارته كانت عابرة وليست بترجمة؛ ولكن جاء بعد ذلك المؤرخ الأهدل في كتابه: "تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن"؛ وهو ذيل أو تلخيص على كتاب: "السلوك" للجندي؛ فأماط اللثام عن ذلك؛ فبين وزاد وأحسن. فذكر صورة مركزة وافية عن الشيخ سعيد بن عيسى العمودي؛ وعن تاريخ ذريته؛ وأوصافهم وقترهم الجغرافية بوادي دوعن بحضرموت؛ وسمى عدداً من أعلامهم في عصره؛ ممن حضر عليه للتلمذة وطلب الإجازة وماشابه؛ فقال (٢/ ٤٢١ - ٤٢٢)، [تحقيق عبد الله بن محمد الحبشي، منشورات المجمع الثقافي بأبوظبي، ط ١، ٢٥٠٤هـ / ٢٠٠٤م]؛ [قال الجندي: وشيخ أبي معبد رجل اسمه سعيد. ولم يزد على ذلك.



وجدتهما يتوسعان جغرافياً في إيراد تراجم الأعلام؛ فلا يكتفيان بما تحت الحكم المملوكي كمصر والشام والحجاز؛ بل يتجاوزان ذلك؛ بناءً على اقتنائهما أو قسوفهما على مصادر تراجمية لتلك البقاع الجغرافية الأخرى الخارجة عن سيادة السلاطين الممالك؛ كبلاد المغرب العربي؛ ودول إفريقيا كبلاد التكرور؛ والسودان ومالي؛ وبلاد العراقيين العرب والعجم؛ وآسيا الصغرى، وغيرها. وكان لتراجم الأعلام اليمنيين نصيب لا بأس به في مؤلفاتهما. وكانت مصادر إيرادهما لتراجم اليمنيين متنوعة من اللقاء والمشاهدة؛ أو وسائط لمؤلفات تاريخية تراجمية لأعلام اليمن وقعت تحت يدهما. والذي يهمنا هنا الصنف الثاني؛ حيث كان من مصادرهما في تراجم اليمنيين بعامة



30

العدد (6)
أكتوبر
ديسمبر
2017م



اشتهر أخذ اليد من الشيخ عبد الله الصالح لثلاثة شيوخ من حضرموت؛ وهم : الشيخ أبا عيسى سعيد، وأبا علوي، وأبا عمر، وكذا سمعته وكتبته من المذكور . وهو فقيه ذكي محقق؛ سمعت أصحابه يثنون عليه بـ الورع والدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بلده . ورأيت منه الرغبة في العلم وأهله، وطلب مني إجازة في تصانيفي؛ فأجرت له، وطلب مني نسخة من كتاب " الرؤية " تأليفه؛ فوهبته نسخة منه؛ مضى بها إلى بلده، نفع الله بها، ونشر نفعها .

وسألت عنه من جاء من حضرموت؛ فذكر أنه شمر في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمر أصحابه بحمل السلاح والقتال على ذلك؛ واستوحشت منه العرب ونابدوه؛ ثم مال إلى العزلة .

وله ابن عم اسمه عثمان؛ هو المشار إليه في بلدهم بمشيخة التصوف، ويحمل إليه الزكوات؛ وإليه تأتي الوفود للزيارة؛ وإلى الفقيه عبد الله طلب العلم والفتوى والأحكام؛ وفقه الله وحرسه من الأسواء أمين؛ أمين .

واشتهر من الأخذين عن الشيخ سعيد جماعة؛ وهم : الشيخ الكبير أبا معبد، وأبا وزير وهو عمر بن سالم، والنقيب أبا جابر، والشيخ أبا هزبل، والشيخ أبا الليل . انتهى كلام المؤرخ الأهدل القيم الوثيق في تاريخ العموديين .

وبعد سردنا ونقلنا لما سبق؛ كيف نتحقق من وقوف الحافظين ابن حجر وتلميذه السخاوي على تاريخ العموديين؛ وبخاصة ما ذكره الأهدل تحديداً .

الجواب: تحقيق ذلك يكون من خلال وقوفنا على ترجمة بدر الدين الأهدل نفسه؛ التي أوردها السخاوي في كتابه : " التبر المسبوك " : (٣) - ١١٠ - ١١١ ، تحقيق نجوى مصطفى وآخر ، دار الكتب والوثائق القومية بمصر ، ط ١ ، ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م) ؛ و " الضوء اللامع " : (٣) - ١٤٥ - ١٤٧ طبعة دار الجيل ببلن (حيث قال عند سرده لمؤلفات الأهدل :) ؛ وتلخيص تاريخ اليمن للجندي؛ مع زيادات ضمها إليه؛ وقد وقف عليه شيخنا؛ ولخص منه؛ مفتتحاً بقوله : " أما بعد، فقد وقفت على مختصر تاريخ اليمن للفقيه العالم الأصيل بدر الدين؛ فوجدته قد ألحق فيه زيادات

كثيرة مفيدة مما اطلع عليه .

فعلقت في هذه الكراسة ما زاده بعد عصر الجندي؛ وكان انتهاء ما يؤرخه الجندي إلى حدود الثلاثين وسبعمائة (هذا ما ذكره السخاوي بحروفه في كتابه : " التبر المسبوك " . وزاد في كتابه الآخر " الضوء اللامع " (٣) / ١٤٧) ؛ فقال : (واختصر تاريخ اليمن للجندي في مجلدين، وزاد عليه زيادات حسنة؛ وسماه : " تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن " .

وقفت عليه؛ وانتقيت منه؛ وقف عليه شيخنا ولخص منه؛ مفتتحاً ما لخصه بقوله ...) ، ثم ذكر خطبته المنقولة بحروفها آنفاً من كتابه : " التبر المسبوك " . يتضح لنا؛ مما ذكره السخاوي عن كتاب بدر الدين الأهدل : " تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن " ؛ التالي :

أولاً: أن " تحفة الزمن " لم يكن مجرد تلخيصاً ونبلاً لكتاب " السلوك " للجندي؛ بل فاق أصله؛ وأصبح له استقلالية تامة بفوائده الجمة؛ لأجل زيادات الأهدل الكثيرة؛ والتي وصفها الحافظان ابن حجر والسخاوي بالكثيرة المفيدة الحسنة .

ثانياً: وكما أسلفنا؛ من نقلنا من زيادات الأهدل؛ والتي كانت منها ما يخص تاريخ العموديين؛ فإن الحافظين المؤرخين ابن حجر العسقلاني وتلميذه السخاوي؛ قد وقفا قطعاً على تلك الزيادة المهمة؛ الطويلة نسبياً التي قاربت الصفحة الواحدة بطولها؛ ودليلنا في ذلك ما صرح به السخاوي من وقوف شيخه ابن حجر؛ وهو كذلك على كتاب " تحفة الزمن " الذي حوى من زياداته ما أورده من تاريخ العموديين .

ثالثاً: كانت النقطة الثانية آنفة الذكر؛ كافية مقنعة صريحة في الجواب عن سؤال عنوان مقالنا؛ من وقوف وإطلاع الحافظين ابن حجر وتلميذه السخاوي على الزيادة القيّمة الجليّة في حق تاريخ آل العمودي .

لكن من كلام السخاوي الهام في حق كتاب " تحفة الزمن " ؛ أضاف إضافة هامة جداً جداً؛ تدل على اهتمام وعناية خاصة من لدن ابن حجر والسخاوي في حق كتاب " تحفة الزمن " ؛ وذلك بتلخيص الحافظ ابن حجر لتلك الزيادات الأهدلية من جهة، وانتقاء السخاوي من تلك الزيادات من جهة أخرى .

فعلام يدل ذلك؛ يدل على وقوفهما وإطلاعهما على تاريخ العموديين قولاً واحداً من غير ارتياب؛ التي هي من أبرز زيادات المؤرخ الأهدل - رحمه الله - التي وشّح بها كتابه " تحفة الزمن " .

ولا يبعد التقاطعهما لتاريخ العموديين فيما لخصاه وانتقياه في تأليفهما .

فيا لهفي على تأليفهما فيما لخصاه وانتقياه من " تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن " ؛ فإنني أطلبه منذ زمن؛ ولكن من غير أن أظفر بشيء؛ ولكن أملنا في إيجادهما كبير؛ والله ولي التوفيق .

وبذلك نكون أثبتنا إطلاع ووقوف ابن حجر والسخاوي - رحمهما الله - على ترجمة سيدنا الإمام سعيد بن عيسى العمودي - رحمه الله - وما يتصل به من تاريخ ذريته؛ وشيء من الحوادث الاجتماعية والعلمية .

غير أن ذلك يقودنا إلى سؤال آخر مهم؛ وهو :



31

العدد (6)
أكتوبر
ديسمبر
2017م

عن ذلك الحضرمي أخذه عنه بمكة، ولا يعلم عن وفاته شيئاً؛ وأنت كما ترى في ترجمة الشيخ عبد الله بن محمد بن عثمان العمودي عند المؤرخ الأهدل: أنها غنيّة مركّزة بالمعلومات عنه؛ تستحق أن تورّد، لا أن تهمل.

وأما الخافظ ابن حجر؛ فنُدلّل على ما نحن بصده هنا بترجمة أوردها في كتابه: "إنباء العمر بأبناء الغمر" (٢/ ٤١١) تحقيق حسن حبشي، وزارة الأوقاف بمصر، ط ١، ٤٣٢هـ / ٢٠١١م؛ قد التقطها من "تحفة الزمن" للأهدل، وهي ترجمة: (علي بن موسى بن أبي بكر بن محمد الشيبني من بني شيبه حبة مكة) هكذا ذكر الخافظ ابن حجر اسمه ونسبه؛ ثم تكلم بإسهاب عن والد جده (محمد) وقصة دخوله إلى اليمن، وذكر حادثة فرعية؛ ثم ذكر من ذرية جده وترجمهم بـتراجم مقتضبة؛ وختمها بأنه استقى كل ذلك من المؤرخ الأهدل في كتابه "تحفة الزمن".

فكما ترى جل الترجمة ليست في ذات المترجم له، ومع ذلك أوردها الخافظ ابن حجر ولم يجد أي غضاظة.

فمن باب أولى إيراد ترجمة الشيخ عبد الله بن محمد بن عثمان العمودي؛ ومن خلالها سيتم التطرق إلى ترجمة الشيخ سعيد بن عيسى العمودي؛ لأنها من سياق الترجمة ككل وبنائها.

حقيقة كنت أرجو وأتمنى أن يورد الخافظان المؤرخان ابن حجر والسخاوي لشيء من تاريخ آل العمودي من خلال إيراد ترجمة كل من الشيخين: سعيد بن عيسى العمودي، و عبد الله بن محمد بن عثمان العمودي، أو أحدهما. ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه.

فإنه، وإن كان للمؤرخ الأهدل سبق الفضل لإيراده عن التقرير التاريخي الرائع للعموديين في كتابه "تحفة الزمن"؛ وكان السبب لاطلاع ابن حجر والسخاوي عليه بلا ريب؛ كما أثبتنا من قبل؛ غير أنه يبقى تاريخ محلي.

أما مؤلفات الخافظين التاريخية الأربعة؛ فكانت موسوعية؛ فاقت المحلية؛ بل والإقليمية؛ فأصبحت على مستوى العالم الإسلامي؛ وهذا فخر وشرف تشرب له الأعناق. والحمد لله في الأولى والآخرة.

وفاته؛ غير أنه أفاد بأنه قدم إليه في سنة (٨٣٠هـ)؛ ويبدو أنه كان على قيد الحياة في حال ترجمته في كتابه. ونستشف من ذلك أنه عاش شطراً آخرًا من القرن الثامن الهجري، وشطراً من نصف القرن التاسع الهجري على أبعد تقدير. فيكون بذلك داخلًا على شرط جميع الكتب التاريخية الأربعة للخافظين ابن حجر والسخاوي رحمهما الله. غير أنهما لم يدرجا ترجمته.

وقد تبين من مصادر أخرى أنه توفي سنة (٨٤٠هـ)؛ وهو علم مشهور بالعلم والزهد والورع [انظر: "الشامل في تاريخ حضرموت" للمؤرخ علوي بن طاهر الحداد، (ص ٤٢٥، ٦٣٦)، اعتناء محمد أبو بكر باذيب، دار الفتى بالأردن، ط ١، ٤٣٨هـ / ٢٠١٧م].

لم يذكر بدر الدين الحسين بن الأهدل سنة ولادة الشيخ عبد الله بن محمد بن عثمان العمودي، ولا سنة وفاته، غير أنه أفاد بأنه قدم إليه في سنة ٨٣٠هـ

أي أنه من رجال القرن التاسع الهجري قطعاً.

فيدخل حينها فقط على شرط كتاب: "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" للسخاوي. غير أن السخاوي- رحمه الله- لم يورد ترجمته في كتابه "الضوء اللامع".

فعلى كلا الأمرين؛ لم يترجما له؛ فليست أدري أكان ذلك عن ذهول منهما؟ أم لأجل أن ترجمته لم تكن مستقلة، وإنما أوردها الأهدل من خلال كلامه عن الشيخ سعيد بن عيسى العمودي.

فأما على الاحتمال الأول؛ وهو الذهول والنسيان؛ فهذا أمر وارد في الطبيعة البشرية؛ فإن صحّت يبقَى أمراً مستدركاً عليهما ولا شك.

وأما على الاحتمال الثاني؛ فإنه يبعد عنهما مثل ذلك.

فالسخاوي مثلاً يذكر تراجم لأعلام حضارمة في كتابه "الضوء اللامع" لا تتجاوز الترجمة نصف السطر، يذكر فيها

هل في ما أورده المؤرخ بـبدر الدين الحسين بن الأهدل من تقريره التاريخي عن آل العمودي ما يستدعي التقاط الحافظين المؤرخين ابن حجر وتلميذه السخاوي من ذلك التقرير التاريخي كله أو جلّه أو شيء منه في مؤلفاتهما التاريخية؟ الجواب: بداية علينا معرفة شرطهما، أو المدة الزمانية في تغطية الحوادث والتراجم في مؤلفاتهما التاريخية، وذلك على النحو التالي:

- "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة"، فهو يغطي تراجم من عاش في القرن الثامن الهجري بتمامه؛ سواء توفي فيه أم لا.

- "إنباء الغمر بأبناء العمر"، يغطي الفترة الزمنية من بداية مولد الخافظ ابن حجر سنة (٧٧٣هـ)، إلى سنة (٨٥٠هـ).

- "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع"،

يغطي تراجم من عاش في القرن التاسع الهجري بتمامه؛ سواء توفي فيه أم لا.

- "التبر المسبوك" وهو ذيل على "السلوك" للمقريزي، بدأ فيه السخاوي من سنة (٨٤٥هـ)، وانتهى فيه إلى سنة (٨٥٧هـ).

ومن خلال التقرير التوثيقي التاريخي لآل العمودي الذي أورده المؤرخ الأهدل؛ نجد فيه ترجمة لاثنتين من الأعلام العموديين؛ هما:

- الشيخ سعيد بن عيسى العمودي المتوفى على التحقيق سنة (٦٧١هـ).

- الشيخ عبد الله بن محمد بن عثمان العمودي (من رجال القرن التاسع الهجري).

- فأما الشيخ سعيد بن عيسى العمودي؛ فهو خارج عن شرط الحدود الزمنية للمصادر التاريخية الأربعة، التي ذكرناها آنفاً؛ فتعذر إيراد ترجمته فيها.

يبقى معنا الشيخ عبد الله بن محمد بن عثمان العمودي؛ لم يذكر بـبدر الدين الحسين بن الأهدل؛ سنة ولادته، وسنة



وصف لبعض النقوش التي تم العثور عليها في الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية

(ج. جي هولتون) و(ج. سميث) J. G. Hulton and J. Smith

مجلة الجمعية الملكية الآسيوية لبريطانيا العظمى وإيرلندا

المجلد الخامس العدد الأول ١٨٣٩ (من صفحة ٩١ إلى صفحة ١٠٢)، كُتب بتاريخ ١٨ فبراير ١٨٣٧

النقوش المرفقة بهذه الدراسة الوصفية عُثِرَ عليها في محيط بلدة (الديس) وهي بلدة بدوية تبعد ساعات قلائل عن (رأس شرمه) الواقع على الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية. وصف السكان المحليون الذين أتوا إلى سفينتنا تلك البلدة بأنها كثيرة السكان وخصبة تكثر فيها زراعة شتى أنواع الخضار والفواكه كما أخبرونا أن المنطقة بها العديد من المباني القديمة التي تنتشر فيها كتابات لا يفهمها العرب مما أثار في نفوسنا الرغبة في معاينة تلك المباني بأنفسنا. ولكي يؤمّن رحلتنا الاستكشافية هذه، قام الكابتن هنز Captain Haines بإرسال مرشدنا، وهو من أبناء تلك المنطقة، إلى الشيخ الحاكم طالباً منه أن يمدنا بأحد جنوده وبعض البدو ليرافقونا. رد الحاكم برسالة طلب فيها مبالغ مالية باهظة وطلب أرزاً ونحاساً وأشياء أخرى حددها بدقة متناهية مثل أجرة الحماية وغيرها. بالطبع رفضنا هذا ولكن بتأدب شديد. جرت فيما بعد بيننا وبينهم حوارات عديدة، وفي آخر الأمر شعروا بالندم مما أظهروه من جشع حرمهم - بدوره - من بعض الهدايا التي كنا ننوي إحضارها لهم من السفينة بل شعروا بخجل شديد مما بدا منهم بعد أن عرفوا ما حلفنا به الآخرون من الكرم وحسن الضيافة منذ أن غادرنا المكلا.

قلعة وبلدة صغيرة بالقرب من ذلك الرأس البحري، ولكن تعاقب السنين قد أتى عليهما تماماً ولا يكاد يرى سوى القليل من آثارهما. في (القسيرة) كنا أكثر حظاً، فبالرغم من بُعد المسافة التي قطعناها، فإن الحصول على معلومات حقيقية عن منطقة واعدة أثرياً وربما لا تسمح الظروف بزيارتها مرة أخرى، يعد أمراً مثيراً للاهتمام من وجهة النظر الأثرية.

قلعة قديمة، وفي صباح اليوم الثاني انطلقنا لنبدأ بحثنا عن الآثار. لسوء الحظ لم يكن لدى البدو المرافقين لنا أية معلومات عن الآثار ولا الكتابات النقشية التي أخبرنا عنها حين كنا في السفينة، ولكن تذكرنا اسم أحد الذين أتوا إلى السفينة طالباً مساعدة طبية وأخبرناهم - أي مرافقينا - عن اسم موقع سكنه، ولحسن حظنا أن موقع سكنه كما علمنا منهم، ليس بالبعيد من المكان الذي نحن به. لقد وجدنا ذلك الرجل على قُدر عالٍ من الأدب والامتنان فقادنا إلى كل مكان يعتقد أنه ذو شأن بالنسبة لنا. لكن معرفة هذا الرجل، كمعرفة غيره من إخوته العرب، مقتصرة على مشاهداته وما

بعد تلقينا الموافقة من الكابتن (هنز) تحركت أنا و(السيد سميث) من منطقة (القسيرة) في رحلة ممتدة حوالي خمسة عشر ميلاً، مارين بمناطق ريفية سهلية جرداء. توقفنا الساعة العاشرة مساءً لنقضي ليلتنا تحت بقايا جدران



ترجمة: د. خالد عوض بن مخاشن

غادرنا شرمه دون أن نعثر على أي شيء يذكر سوى بقايا صهريجين لخزن المياه يشبهان في شكلهما وبنائهما إلى حد بعيد تلك الصهاريج التي وجدناها في قمة جبل حصن الغراب. كما يبدو أيضاً أن هناك بقايا



33

العدد (6)
أكتوبر
ديسمبر
2017م

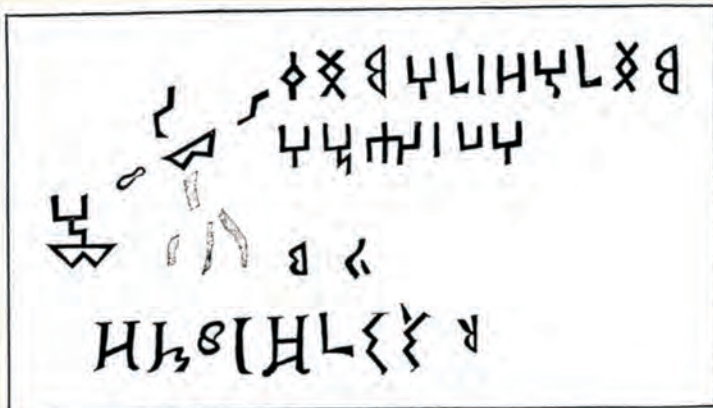
يُفترض علينا أن نلزم الصمت تجاه كل هذه التساؤلات ونترك الإجابة عنها لذوي الاختصاص والمؤهلات ليقولوا كلمتهم الفصل فيها. على أن أشير هنا إلى التشابه في الأسماء بين حصن غراب وبيت غراب فالاسم الأول يشير لقلعة، في حين يشير الأخير لقبيلة تعد من أقوى قبائل الحموم ومن أكثرها عدداً.

عندما سألنا أحد أفراد تلك القبيلة عن أصل اسمهم هذا، قال: إن أجداده أتوا من حصن غراب وإنه لا يعرف ذلك المكان ولكن سمع عنه. وإذا صحت هذه الأقاويل، يمكننا الاستنتاج بأن هذه القبيلة الموجودة هنا هي فرع من قبيلة أخرى هناك وربما جذبتها خصوبة هذه الأرض، مقارنة بأراضي حصن الغراب، هذا الفرع من تلك القبيلة. الأرض المحيطة بمنطقة (حمم) قاحلة والجبال جرداء ولكن ما إن تدخل إلى الأودية، حتى يتغير المشهد

يمكن أن يكونوا هم من قاموا بكتابتها. إن خصائص وصفات هذه النقوش تبدو أقرب إلى خصائص النقوش الحبشية أكثر من قربها إلى أية نقوش أخرى معروفة في أيامنا هذه. وبالعودة إلى تاريخ شبه الجزيرة العربية، نجد أنه قبل احتلال الفرس لليمن بقيادة أنوشيروان (كسرى الأول)، كانت هذه البلاد الخصبة تحت سيطرة الأحباش. وقد فتنت هذه الأرض بجمالها الأخاذ الكثير من الأحباش فاستوطنوها واستقروا بها. وبالعتماد على هذه الحقائق، يمكننا الاعتقاد بأن هذه النقوش والآثار تعود لهؤلاء الأحباش، خصوصاً أننا نعلم بأن الأحباش تجار مغامرون يمتلكون من المواهب والمهارات ما يمكنهم من بناء حصون بتصاميم رائعة كتلك التي في حصن الغراب والتي لا يستطيع السكان المحليون في هذه المناطق أن يصمموا أو ينجزوا مثلها. ولكن

تناهى إلى سمعه من أحاديث، ومثلهم أيضاً يفسر ما يراه من حصون وقلاع ونقوش وصهاريج مياه بطريقة بسيطة جداً معتبراً هذه الآثار شواهد على عظمة وتفوق الفرنجة الذين يسود الاعتقاد هنا أنهم هم من بناها كما يسود أيضاً دعر وخوف خرافي منهم. في الواقع لم نستطع الحصول على أية معلومات منهم سوى أسماء الأماكن. توجد هناك قلعة تسمى (حصن المعيلة). إن حجم وتصميم ذلك الحصن وطبيعة المواد التي استخدمت في بنائه لا توحي بأنه كان حصناً منيعاً قادراً على الصمود وهو الآن منهار تماماً. بعد ذلك ارتحلنا إلى منطقة مجاورة تسمى (حمم) ووصلنا أخيراً إلى جبل (العليدمة)، ذلك المكان الذي قيل لنا: إن به نقوشاً. عندما صعدنا إلى منتصف الجبل بارتفاع حوالي ٢٠٠ قدم، وجدنا كهفاً فسيحاً وعلى جدرانها آثار وبقايا كتابات كتبت معظمها باللون الأحمر، وكتبت بعضها باللون الأسود، لكن السنين قد فعلت بها الأفاعيل، وكثير منها يكاد يكون قد انطمس ودرس وبعضها لا تزال صامدة عصية على الدهر فبمجرد رش الماء عليها وإزالة التربة المتركمة فوقها تظهر ألوانها زاهية وكأنها كتبت للتو. لقد أدهشنا كثيراً ذلك التشابه بين هذه النقوش وتلك التي اكتشفناها في حصن الغراب، ولكن بمقارنة أكثر دقة يتبين أن الأحرف عموماً في كل النقوش متشابهة غير أنه توجد أحرف قليلة في هذه النقوش الأخيرة لا مقابل ولا شبيه لها في نقوش حصن الغراب، فالأسلوب الذي استخدم في كتابة هذه النقوش موغل في القدم ولم يعد له وجود أبداً على الأقل في هذا الجزء من شبه الجزيرة العربية مما يؤثر كثيراً من التساؤلات والتخمينات عن الأشخاص الذين

النقوش التي عثر عليها في الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية





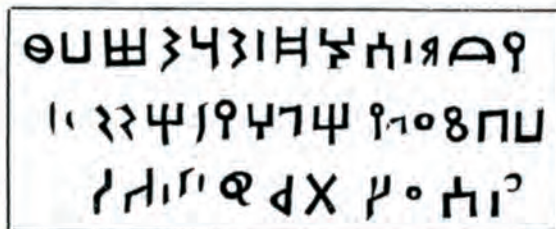
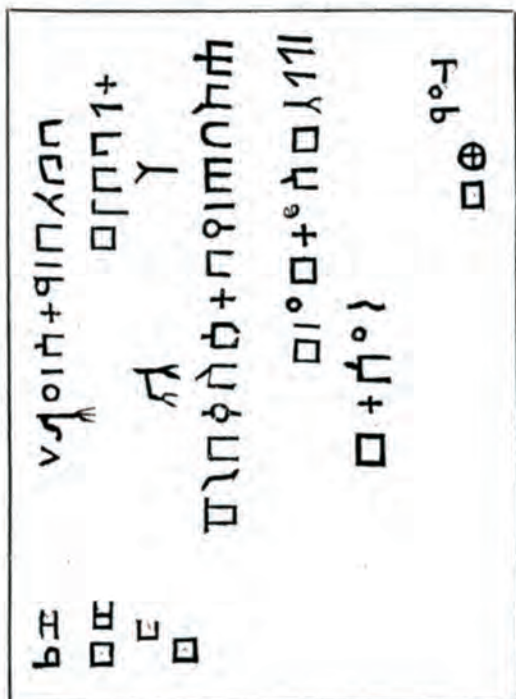
فجأة وتسعد العين برؤية مناظر خلابة من الخضرة صنعها الإنسان بالكد والزراعة، ففي كل جوانب الوادي يمكن مشاهدة بسايتين مثمرة من أشجار النخيل وأحياناً تجد مساحات واسعة جداً من الأرض مزروعة بالبصل والثوم والبطاطس الحلوة وأنواعاً مختلفة من البطيخ والتوت، أما أشجار النبق وأشجار النارجيل فثمارها وفيرة هنا. بعد بحثنا عن أشياء أخرى قد تكون مثيرة للفضول، غادرنا بلدة (حمم) منتصف النهار و—بدلاً من أن نعود مباشرة إلى (القسيهر)، سلكنا طريقاً قريباً من سلسلة جبال (عسد) البعيدة وبعد عناء كبير ومجازفة وصلنا أخيراً إلى (قلعة أو حصن معبر القديم) في حوالي الساعة الثانية عشرة مساءً.

إن ما جعلنا نغير خط سير رحلتنا إلى هذا الاتجاه ما قاله لنا السكان المحليون عن طبيعة هذه القلعة فقد قيل لنا: إنها بُنيت من أحجار منحوتة

وهي في حالة جيدة، إضافة إلى ذلك الأمل القديم الذي ما فتى يُراودنا بأن نجد نقوشاً هناك. أثناء قيامنا بالبحث عن النقوش أصبنا بخيبة أمل، فلم نستطع أن نعرف من الناس أين موقع تلك النقوش ولم نعلم منهم فيما إذا كانت فعلاً موجودة أم لا. ولكن حماستنا في البحث عن هذه الآثار لم تخبت؛ لمعرفتنا أن الكثير من العرب لا يستطيعون التعرف على هذه النقوش حتى وإن رأوها من قبل كونها مختلفة عن الكتابة العربية الحديثة التي لا يعرفون كتابة أخرى سواها. وهذا ما حصل فعلاً في بلدة (حمم)، عندما اكتشفنا بالصدفة بعض النقوش المنحوتة في صخرة ملقاة على جانب الطريق وتوقفنا لننسخ تلك النقوش، فإذا بالبدو يسألوننا باندعاش شديد ماذا كُنّا نكتب من تلك الصخرة وحين أخبرناهم بأننا ننسخ ما عليها من كتابات نقشية لم يصدقونا. وبعد أن

نسخنا تلك النقوش، أخذني أحدهم ليُريني صخرة أخرى، قال: إن بها بعض الكتابات ولكن تبين لي أنه لا توجد في هذه الصخرة أية كتابة وإنما علامات وخطوط طبيعية في سطحها. وحين أخبرته بهذا ضحك، وقال إنه لا يعلم عن هذه الكتابات التي نبحث عنها.

حصن (معبر) قوي جداً وبُني من الحجارة والطين على نحو جيد، رغم أن تلك الحجارة لم تكن منحوتة كما قيل لنا. لا توجد في هذا الحصن فتحات للمدافع وإنما به فتحات لبنادق المشاة القديمة وبنادق القليل (بوفتيلة). تصاميم بناء الحصن تصاميم دفاعية واختير موقعه على نحو رائع ومثير للإعجاب، فقد بُني على ربوة مرتفعة تجعله متحكماً تماماً في ثلاثة أودية خصيبة وتنتشر فيها بسايتين نخيل كثيفة جداً. يُقال إن هذا الحصن هو أحد الحصون التي بُنيت لحماية طريق التجارة إلى حضرموت، إذ توجد حصون





35

العدد (6)
أكتوبر
ديسمبر
2017م

أما الأراضي المجاورة لهذا المكان فهي قفار جدداء موحشة باستثناء بستان واحد أو بستانين صغيرين من النخيل يطلان من إحدى زوايا الوادي البعيدة. قيل لنا: إنه بعد سقوط الأمطار، ينمو بعض العشب هنا وعلى قلته، إلا أنه يُغري البدو على إحضار قطعانهم إلى هذه التلال وخلال فترة الرعي هذه يقطنون هذا الكهف والكهوف الأخرى التي يرونها مناسبة لسكرتهم. بعد أن أمضينا ليلتنا في هذا المكان وتحت حماية عدد قليل من البدو المنتمين لقبيلة (المناهيل)، انطلقنا في وقت مبكر من صبيحة اليوم الثاني عائدين وسالكين نفس الطريق الكئيبة الموحشة التي قادتنا إلى ذلك المكان.

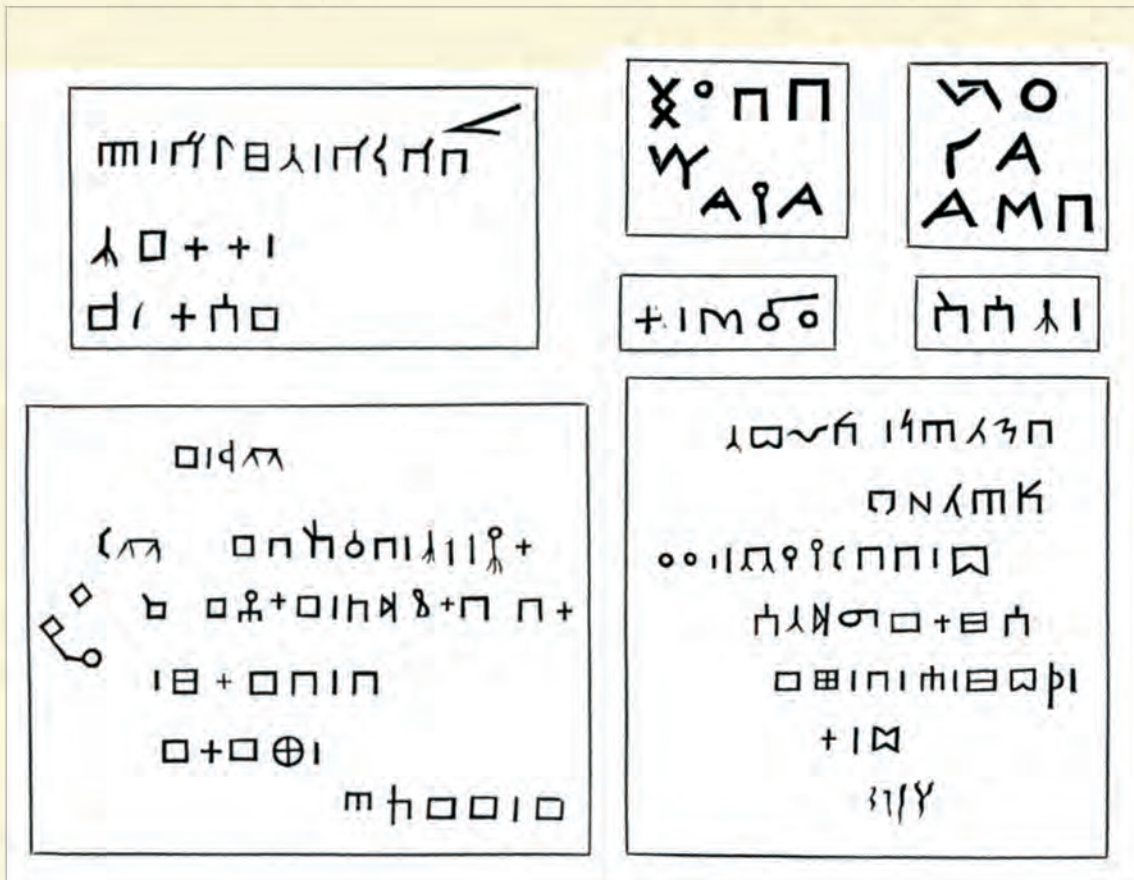
* المؤلفان (ج. جي هولتون) و(ج. سميث) هما ضابطان من البحرية الملكية البريطانية، وقد قام الأول بجمع معلومات معجمية عن اللغة الجبالية، التي يستخدمها سكان جزيرة الحلانية (كوريا موريا) ونشرها عام ١٨٣٦ كأول باحث غربي يشير لهذه اللغة (المترجم).

للدفاع عن قرية يمكن الآن الاستدلال على وجودها هنا بالنظر إلى طبيعة الأرض، فالتربة هنا لينة وسوداء بها أجزاء من قطع زجاجية وأخرى نحاسية منتشرة هنا وهناك، وهذه مؤشرات توجد في معظم المدن القديمة المنتشرة على سواحل شبه الجزيرة العربية.

بعد أن مشينا مسافة اثني عشر ميلاً وصلنا إلى (نخل ميوك) وهي بستان صغير من أشجار النخيل يقع في سفح سلسلة جبلية شاهقة شرق وادي (شخاوي). من هنا بدأنا في الصعود وبعد أن وصلنا إلى ارتفاع ١٥٠٠ قدم، وجدنا كهفاً واسعاً وفي أجزاء من هذا الكهف وجدنا نقوشاً كتبت بنفس اللون الأحمر كتلك التي وجدناها في (حمم). قيل لنا: إنه توجد بئر أسفل الكهف مباشرة، ولكن تبين لنا أنه صهريج لحفظ الماء وليس بئراً، وهذا ما يؤكد موقع ذلك الصهريج وعدم احتوائه على مياه وهو الآن ممتلئ بالأحجار والنفايات.

كثيرة مشابهة في بنائها وتصاميمها لهذا الحصن، وتلك الطريق لاتزال سالكة إلى الآن وتمر من تحت الجدران المهدمة لتلك الحصون المنتصبة على رؤوس القمم والجبال. إن المسافة من هذا المكان إلى (قسره) حوالي خمسة أو ستة أميال.

خلال قيامنا بإجراء المسح للساحل،
سمعنا أيضاً أن هناك نقوشاً أخرى على
بعد أربعين ميلاً إلى الشرق من (حمم)
فانطلقنا أنا و(الملازم سانديرز)
Lieutenant Sanders و(السيد
سميث) بعد أخذ الموافقة من الكابتن
هنز إلى ذلك المكان لنسـُخ هذه
النقوش، وبعد أن قمنا بدراسة بقايا
آثار حصن (المصينة) الواقع بالقرب
من الساحل على رابية صغيرة منعزلة.
لم يتبق من ذلك الحصن غير جدران
الأساسات التي بُنيت من حجارة
منحوتة أُلصقت ببعضها جيداً بوساطة
الطين. كل ما يحيط بالحصن يشهد
بأنه موغل في القدم. بُني هذا الحصن



حوار مع المؤرخ السيد جعفر محمد السقاف

أجراه/ صالح حسين الفردي



عندما عزمنا على الرحيل إلى مدينة سيئون قاصدين الاستئناس بالحديث مع المؤرخ والأديب الأستاذ جعفر محمد السقاف، ضمن خطة التوثيق التلفزيوني لمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، كنّا نطوي الطريق من مدينة المكلا حاضرة حضرموت طياً.. كيف لا؟! ونحن ندرك مكانة وقيمة الأستاذ السقاف ونعلم مدى ما يخزنه من ذكريات ومواقف وتاريخ لحوادث عرفتتها حضرموت منذ مطلع القرن العشرين وكان ولم يزل - أطل

الله في عمره - في العديد منها عنصرًا من عناصرها الفاعلة، والبعض الآخر شاهداً أو راصداً وموثقاً ومسجلاً ومؤرخاً.

والأستاذ جعفر محمد السقاف يقترب من عامه المائة في عمره المديد إن شاء الله، فهو من مواليد مدينة سيئون في أجواء عام ١٩١٨ م تلقى تعليمه الأولي في مدارس النهضة العلمية ثم في معهد جامع طه وزاوية محمد بن هادي بمدينة الأثيرة ودرّة الوادي سيئون. في عام ١٩٤٧ م انخرط في سلك الوظيفة العامة كموثق محاكم، ثم مسجّل للجمعيات ليتقل بعد ذلك كمساعد مدير في إدارة الثقافة ليتقلّد أخيراً مشرف مركز المخطوطات للأبحاث الثقافية.

للأستاذ جعفر محمد السقاف مشوار طويل من العطاء وسنوات مجيدة من الألق والإبداع في مجالات الحياة؛ إذ شارك في أربعينيات القرن الماضي في أبرز الأندية والمجلات الأدبية كنادي الشباب والنهضة بسيئون، وفي الخمسينيات والستينيات قدّم أبحاثاً متنوعة إلى المجلات وإذاعة عدن.

تلقّى دورة في مكتبات جامعة القاهرة، واشترك في الندوة العلمية للحضارة بعدن، والمؤتمر الثالث العربي للمجلس الدولي للوثائق بالعاصمة الليبية طرابلس في العام ١٩٧٥ م، وأسهم في كثير من المؤتمرات للكتاب والأدباء العرب.

يهتم الأستاذ جعفر محمد السقاف كثيراً بالأبحاث الثقافية التراثية، وقد نشرت له العديد من الكتب والأبحاث، وزار معظم البلدان العربية.

تولّى سكرتارية فرع اتحاد الأدباء والكتاب بواحي حضرموت للفترة بين عامي ١٩٧٣ - ١٩٧٩ م.

في هذه الصفحات القادمة من مجلة (حضرموت الثقافية) سنحاول أن نستجلي هذه الذاكرة التاريخية الزاخرة بكنوز المعرفة والأحداث والمواقف التي عرفتتها حضرموت ولم نزل تشغلنا في مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر ونعمل على رصدها ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.



في مكان اسمه (صقره)، وبعد أن ظهرت السيارات جُلبت إلى حضرموت، فكانت سيئون تعيش تطوراً حضارياً، والدليل على ذلك ما تشاهده - اليوم - في الفن العمراني، كبيت (بن قالة)، وبيت الحبشي، وبيوت الكاف في تريم، إلى جانب انتشار المكتبات واقتناء المخطوطات، كمكتبة الإمام الحبشي، وآل السقاف، وانتشرت ظاهرة الكتابة وتسجيل المخطوطات قبل ظهور الطباعة، وبعد ظهورها جلبوها أيضاً.

• حدثتني أن للوالد مؤلفاً عن الحركة التجارية والمصرفية؟

- نعم للوالد مؤلف عن المعاملات التجارية، فحضرموت كان - تقريباً - نصف سكانها يومئذ في جنوب شرق آسيا، وكانت لهم معاملات بنوا من خلالها المدارس والمساجد، وكل ذلك كان من السيولات النقدية التي كانت تأتي من شرق آسيا أيام الاستعمار الهولندي، فوالدي عمل كتاباً في هذا الموضوع عن كيفية تحويل العملات وصرفها وأسعار البضائع التي ترسل من جاوا إلى هنا، وهو كتاب خاص بالحركة التجارية والاقتصادية.

• في طفولتك الأولى حين بلغت الخامسة أو السادسة بالتأكيد كان الوالد يصحبك إلى بعض (المعاملات) كبداية للتعلم لديك والدراسة.

- في عام ١٣٣٦ هـ كان والدي يأخذنا إلى رباط الإمام علي بن محمد الحبشي، الذي توفي وخلفه فيه ابنه (محمد) وأبقى كل تراث الإمام، فتأثرت بهذا الموروث الروحي، وفي ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م ارتبطت بالسلطين: علي بن منصور وأولاده حسين وبدر وغيرهم.

• من الأساتذة الذين تعلمت عليهم القراءة والكتابة؟ هل تتذكر أحداً منهم؟

- نعم، أتذكر منهم الأديب علي أحمد باكثير في مدرسة النهضة، وكان خطاطاً، وكان شيخ باكثير في الخط، الأستاذ محمد عوض بأفضل من تريم،

الحبيب محمد بن علي بن حسين الحبشي ومولده، فنحن لنا صهارة مع هذا الإمام الكبير، فوالدي نشأ مع الحبيب الحبشي، فاغرم بالمخطوطات، وكذلك انضم إلى فرقة منشدة الإمام الحبشي المغني بكران باجمال، وهو من كبار المغنيين، وله تراث كبير في الأغاني الشعبية ويعدُّ مثلاً رائعاً للتواشيح والألحان القديمة، فوالدي متعدد المواهب، إضافة إلى موهبته في الشؤون التجارية، فأنا تشبَّهْتُ بوالدي والمثل السائر يقول: ومن يشابه أباه فما ظلم.

• بداية، نحن سعداء أن نكون معك أستاذنا العزيز المؤرخ جعفر محمد السقاف في هذه الغرفة التي تحمل عبق التاريخ وروح الاهتمام وعشق البحث في التاريخ والتراث الحضرمي، دعنا نطلق في حوارنا من البدايات، فأنت من مواليد عام ١٩١٨ م، فنريدك أن تحدثنا عن هذه البداية؟

- الحمد لله الذي تكرَّم علي بهذا اللقاء الذي تجربته معي، فما أسعدني أن يكون الحوار لمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، هذا المركز الذي جاء ليخدم تراث حضرموت وتاريخها وأمجادها وتوثيقها، فهذه

في عهد الدولة الكثيرة كانت هناك أطنان من الفضة والنحاس تحمي اقتصاد حضرموت

• الوالد هل غادر حضرموت، فانتقل إلى المهجر الإندونيسي، وكيف كانت رحلته إلى هناك؟

- في تلك الفترة التي عاش فيها الوالد كانت عصر ازدهار حضرموت، فالأقتصاد الحضرمي مزدهر، تصوّر أنه قد صُكَّت في داخل وادي حضرموت ثلاث عملات نقدية من الفضة والنحاس: عملة الكاف، وعملة ابن سهل، وعملة ابن عبدات، هناك أطنان من الفضة والنحاس تحمي اقتصاد حضرموت، الذي لا يحتاج إلى غطاء، فوالدي عاش في هذه الفترة التي كانت تأتي حضرموت السيولات النقدية من المهاجر في جنوب شرق آسيا والملابس الحريرية من شنغهاي والحلويات والمأكولات من جاوا وغيرها، عصر ازدهار اقتصادي نتج عنه ازدهار ثقافي وحضاري. فوالدي كان ميسور الحال، وكنا في ذلك الوقت قبل اختراع السيارات كانت سيئون مليئة بالخيول المطهّمة لدى الأسر، وكنا منها، وفي العيد يعملون مسابقات لهذه الخيول،

ميزة لهذا المركز لم يسبق إليه أحد من قبل، ولا شك أنه سيحالفه النجاح، خاصة ومشرفه هو الشيخ محمد بن سالم بن علي جابر ابن المدينة المستنيرة خشار، ورئيسه هو الأستاذ الدكتور عبدالله سعيد الجعدي الأكاديمي المحب لتاريخ حضرموت، وأحمد الله أنني - اليوم - أجري هذا اللقاء التوثيقي، تحت عنوان: (جعفر يتذكر)، ولأنه لا يوجد من يوثق هذا التاريخ إلا مثل هذا المركز، فأنا - كمؤثّق - سعيد جداً، فلقد بدأت حياتي مؤثّقاً في المحاكم الشرعية، وأعود اليوم لتذكر الماضي المجيد، وأشكر لكم تحمل أعباء السفر من المكلا والوصول إلى سيئون.

• نحن لنا الشرف أن نصل إليك، أستاذنا العزيز، الوالد محمد بن حسين السقاف، ماهي صفاته، وماهي الذكريات التي لم تزل عالقة في ذهنك عن هذا الوالد الكريم؟

- والدي كان مفرماً بالخط، وأول ما خط هو القرآن العظيم، ثم ديوان السيد



عملت مراسلاً لمحطتي عدن والـ (بي بي سي) بعد الحرب العالمية الثانية

ألقيت محاضرة عن ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا، كيف أن مهمته الحرب فقط، وعند انتهائها سلم الحكم لحزب العمال المعارض برئاسة ايتلي، وأقول للعرب أنتم يا عرب من استلم الحكم معاد سيبي، فتشرشل سلم الحكم لأيتلي من غير انتخابات؛ لأن مهمته انتهت، فهذا هو المجتمع الأوربي مجتمع الحرية والديمقراطية، وكان الزعيم أبوبكر بن شيخ الكاف معجباً بالإنجليز وتشرشل خاصة، وكان الزعيم يرعاني ويهتم بي؛ لأنني ممن يبرزون عظمة بريطانيا، التي لا تغيب عنها الشمس، والبريطانيون يمتازون بالبرودة وهذوء الأعصاب وضبط النفس، كان عندنا ضابط بريطاني اسمه (جونسون)، وهو مساعد المستشار، وكان يلعب معنا كرة القدم، فعندما نبهه السلطان جعفر والزعيم الكاف قائلين له: تلعب كرة القدم مع الأولاد، فكان رده: لأن جدي هو من اخترع كرة القدم، التي سيطرت على العالم. وقد كنت ألعب في الفريق (سنتر هاف)، وجونسون هو من وظفنا - فيما بعد - مراسلاً لمحطتي عدن والـ (بي بي سي) بعد الحرب العالمية الثانية، وفي هذه الفترة عملنا مباحثات في تريم ونشروها، ففي مباراة بحضور السلاطين وبوستيد والشيخ القدال وزير المعارف في السلطنة القعيطية لعبناها في تريم وكسبناها بإصابة، بعد المباراة عملوا حفلة احتج أهل تريم علينا بأن الهدف ليس صحيحاً وإنما جاء بخطأ من (اللفري) الحكم، وكنت أنا سكرتير النادي وجونسون الرئيس، فظن أنني سأرد بحدّة، فهمس لي قائلاً: لا تردّ بشدّة وإنما قل نحن جننا وعندنا روح رياضية

العالمية كلها، كتبته بخطي، فمثلاً نزول الجيش الأحمر الروسي والفيلق الأزرق الأسباني، وآخر اختراع القنبلة الذرية، ونهاية الحرب العالمية الثانية.

• **كيف كان تفاعل المجتمع في سيلون مع أحداث الحرب؟**

- كان متفاعلاً جداً، وقد تسببت الحرب في مجاعة، والجميع يتمنى نهايتها.

• **شهادتك للتاريخ، هل كان المجتمع يميل إلى الحلفاء أو يميل إلى المحور؟**

- كان الناس مختلفين، ولكن هتلر كسب الجماهير؛ لأنه قسسى على اليهود، فالبعض كان يردد عدو عدونا صديقنا، والآخر يرون أن هتلر تهوّر ويريد السيطرة على العالم الذي لا يمكن لأحد السيطرة عليه، ولهذا نجحت فكرة الحلفاء، حتى في الإذاعات فقد كانوا يسمعون إذاعة لندن ومذيعها يوسف خليل صباغ وآخرون يستمعون لإذاعة برلين ومذيعها العراقي المعروف يونس البحري، في ذلك الوقت - أيضاً - كان عبيد صالح بن عبدات قام بثورة ضد الإنجليز، فكان هو مع إذاعة برلين وينصح بعدم الانصياع لبريطانيا، وواجهته بريطانيا في الغرفة حتى قال الشاعر:

ردوش يا الغرفة كما برلين

مستر جرامس هو شبمرلين
فالحرب العالمية انعكست على الأوضاع في المنطقة وحتى على الشعراء والشعر الشعبي.

• **تجربتك الصحفية المبكرة ومحاولاتك القراءة والتحليل ليوميات الحرب، هل نمّت لديك حبّ الأطلاع والمعرفة والوعي السياسي؟**
- طبعاً، بعد انتهاء الحرب العالمية،

غير أن باكثير قد تفوّق على شيخه في الخط، فالأستاذ بافضل قد كتب بيتاً في السبورة على باكثير قال فيه:
علي من نوادر ذا الزمان

نحصنه بآيات المثاني
ومن أساتذتي أيضاً السيد علوي بن عبد الله السقاف، والشاعر صالح بن علي الحامد والمؤرخ ابن عبيد اللاه.

• **بعد مرحلة التعلم دخلت مرحلة العمل، حدثنا عن أول محطة في حياتك العملية؟**

- أول محطة عملية كانت لي في الصحافة عام ١٩٤٤م، فيومها كان في سيلون وخلال الحرب العالمية الثانية كنا نصدر ثلاث صحف بخط اليد، ولدينا نادي للشباب يرأسه حسين بن شيخ الحبشي، وأصدرنا صحيفة أسمينها (زهرة الشباب) ثم خلفه الصبان، وفي المجاعة غادر الصبان فتوليت رئاسته تحريرها، وكنت أكتب فيها دارسات أدبية ونقدية، إضافة إلى تغطية أحداث الحرب العالمية الثانية، كل جبهات القتال كتبنا عنها، حتى عندما نزل الحلفاء في (نورماندي) ومنتقمري في العلمين، ونغطي اجتماعات الرؤساء (ونستون تشرشل بريطانيا، وروزفلت أميركا، وستالين الاتحاد السوفيتي، وشان كاي شيك من الصين الشعبية) كان لدي صورهم واجتماعاتهم.

• **هل مصادر معلوماتكم كان من السماع للإذاعات في تلك الفترة؟**

- كانت فعلاً من المذيع، ولكن كانت الـ (بي بي سي) ترسل لنا، مثلاً: جبهة القتال في سيج فرد، وفي مجينو وستالنجراد، كلها خرائط عندي، وأنا في كل يوم جمعة أخرج إلى مركز (ابن عبيد اللاه)، ويأتي الزعيم أبوبكر بن شيخ الكاف، والآخرين فأعطيم أخبار الحرب في أسبوع، وأبسط قدامهم جبهات القتال، وأقول لهم مثلاً: رومل الآن في العلمين، ويوقل ومونتقمري، وغيرهم أشرح لهم يوميات الحرب، وعندي - الآن - أصغر مذكرة في العالم تحمل أخبار الحرب



- طبعاً، فالسلطان حسين استشار السيد محمد بن هاشم والسيد صالح بن علي الحامد في معاهدة الاستشارة، فقالا له: المستشار يقدم لك استشارته وأنت تقبلها أو لا تقبلها، فهي (أدفايز) خلاف الاستعمار في عدن (كولنيل)، وكانت أهون الشرين، فبريطانيا ساهمت في نزع السلاح من أبناء القبائل والسيد أبوبكر الكاف أيضاً ساهم في هذا الجانب، فترك أبناء القبائل السلاح وتعلموا في المدارس وصار منهم أطباء.

• أنت عملت مع السلطانين جعفر بن منصور وحسين بن علي!.

- أيام الحرب العالمية الثانية حصلت مجاعة فشكّلوا لجنة للإغاثة، مني ومن أولاد السيد أبوبكر الكاف، فبريطانيا جلبت مواد غذائية، وعملت مطاعم أربع سنوات أكل وشرب، وعندما انتهت الحرب وطويت المجاعة جاء مشروع آخر في حصر موت وهو إنعاشها زراعياً، فأنشأوا محطات التآجير واستجلبوا المكنائ الزراعية والمضخات من شركات بريطانية (الستر وبيتر) بدلاً من السناوة، فانتعشت الزراعة وصرنا نصدّر التمور والذرة والشعير والبر إلى المكلا.

• مرحلة السلطان حسين بن علي، كيف تصفه وتصفها؟.

- أزهى مرحلة في حياتي هي مرحلة السلطان حسين؛ لأنني كنت قد نصّجتُ واتخذني مستشاراً له، فعندما تولى الحكم غادرنا إلى المكلا للسلام على السلطان صالح بن غالب، وكنت الناطق باسمه، وألقي كلمات التحية والترحيب نيابة عنه، وفي زمن السلطان حسين تطوّرت الدولة وعملوا مؤتمرات النواب والقوالم للسلطنتين، للاتفاق على كيفية تطوير البلد ويتفاهمون لحلّ المشكلات، في مؤتمر سنوي، تارة في المكلا وتارة في سينون، وكنت أحضر هذه المؤتمرات نيابة عن السلطان، وهذه التجربة جاءت بها من نظام الإدارة الإقليمية في السودان، وعمل فيها الشيخ قidal سعيد القidal وأمين عبدالمجيد، ثم تم

• بحكم المعرفة، ما هي سمات كل واحد منهم؟.

- صفات السلطان منصور أنّه لا يوجد سلطان ولا خليفة تولى الحكم خمسين إلا هو، وكان يراعاه الحبيب علي الحبشي والعلماء وكان محافظاً جداً، حتى إنه بنى مسجداً في داخل قصره، وكان متعلقاً بالعلم والعلماء وصلاحي البلاد، فزمنه كان زمن الاستقرار، ولا يوجد قلاقل إلا من الموالية من جنوده الذين يقومون ببعض الأفعال عندما يشع عليهم الزاد، ولكن آل الكاف كانوا يغطّون الميزانية لدى الدولة الكثيرة.

عملنا على صياغة الدستور والمجلس التشريعي وقانون الانتخابات في الدولة الكثيرة

بعده جاء السلطان علي بن منصور فتطوّرت في عهده الدولة؛ إذ كان رجلاً مستثيراً يأنس بالعلماء كمحمد الشاطري وصالح بن علي الحامد، فظهرت في عهده المدارس، وفي عهده رفض معاهدة الحماية البريطانية، إلى أن توفي، ويقال إن بريطانيا دسّت له السم، وكان رجلاً يسهر الليل في خدمة الرعية، وله اهتمام بالشعر فله ديوان عبدالصمد باكثير. وقد استمر في الحكم عشر سنين.

جاء بعده أخوه جعفر بن منصور، وهو شخصية دينية أشبه بالخليفة عمر بن عبدالعزيز، كان يحضر مجالس العلم كلها، واستمر حكمه عشر سنين. ثم الأخير حسين بن علي بن منصور، الذي اضطر إلى إبرام معاهدة الحماية مع بريطانيا في ١٣٦٠هـ.

• معاهدة الحماية هل كانت بداية لشعور السلطانيين الكثري والقعيطي بضرورة التكتل الحضرمي، وكانت عاملاً من عوامل التقارب بين السلطنتين؟.

وهي فيها غالب وغلوب، تأمل كيف هي البرودة البريطانية؟!

• هذه المحطة العملية الأولى، إذا أردنا أن نعرف أين عملت لأول مرة، غير الهوايات ومراسلة الصحف والمحطات؟.

- أول مجال عمل كان سنة ١٩٤٧م - ١٣٦٦هـ، بالضبط تم تعيينني مفتشاً للمحاكم الشرعية وضابط تسجيل للوثائق في الدولة الكثيرة، ومن هذا التاريخ وأنا متولّي الوظيفة حتى عام ١٩٨٤م، فخطّيت بقلمني آلاف الوثائق، وكنت أذهب إلى لواني تريم والحوطة ننظّم العمل في المحاكم هناك، فكل

بيت في الوادي عنده وثيقة بخط جعفر السقاف وفيها إمضاؤه، وثيقة شرعية: شراء، أو توكيل، أو وصية، أو إثبات وفاة، أو رهن شرعي، وعندما تطوّرت الأمور في الدولة الكثيرة وعملوا دستوراً عيّنتُ سكرتير لجنة الدستور، فعملنا على صياغة الدستور والمجلس التشريعي وقانون الانتخابات، كل هذه الفترة لوضع الأساس التشريعي للدولة.

• في فترة الأربعينيات، من من السلاطين الذين تتذكركهم، قبل عملك في السلطنة أو بعده؟.

- أتذكر أربعة سلاطين، أولهم السلطان منصور هذا سنة ١٣٤٧هـ، هاجر معي والدي للحج مع الحبيب محمد بن هادي والحبيب أبوبكر حسين الكاف من تريم والشيخ محمد بن عوض بافضل وخمسة آخرين، فانا أتذكره عندما جاء يودع السادة وغادر مع والدي والبقية على ظهور الجمال إلى المكلا التي يقطعونها في أسبوع، ثم بعده علي بن منصور، ثم جعفر بن منصور، ثم آخرهم حسين بن علي بن منصور، الذي عاصرته كثيراً.



استقدام المعلمين السودانيين، فكانت هذه الفترة أزهى فترة، التي فتحت فيها كذلك المدارس الوسطى، وفيها عملت مجلة العربي الكويتية استطلاعات في وادي حزموت، في سينون وتريم وشبام، وفيها صحبتُ بعثة المجلة من سليم زبال وأوسكار متري، وصوري معهم في الاستطلاعات بالمجلة، وأنا من دأهم على كل هذه المواقع والموضوعات، وفي الساحل لم يعملوا استطلاعاً إلا عن المكلا فقط.

• ذكرياتك مع علي أحمد باكثير هذه الشخصية الحضرية والعربية والإسلامية كيف تستعيدها اليوم؟

- في تلك الفترة جاء إلينا زعيم تونسسي هو علال الفاسي، واحتفل به علي باكثير بحضور محمد بن شيخ المساوي وعلي بن صالح الحامد وعيدورس بن سالم وعبد القادر بن محمد الحبشي وحسين بن شيخ الحبشي وأنا كنت صغيراً، فقال باكثير سنعمل حفلاً كبيراً ولا يوجد بيت هنا كبير إلا بيت عبد الله بن أحمد بانقيل، ووضع الفاسي مشروعا لحزموت؛ لأنها مزدهرة، ولكن لماذا تكون حزموت دولتين؟! لماذا لا تكون دولة واحدة؟! قدم المشروع وتبناه علي باكثير، وشكلوا وفداً يذهب إلى إندونيسيا فيه عبد الرحمن بن شيخ الكاف ولدينا وثائقه، واتصلوا بالسلطان صالح وهو شخصية مستنيرة وافق على أن تكون حزموت دولة واحدة، لها برلمان من أعيان السلطنتين، ولكن التدخلات القبلية أفشلت هذا التوجه.

• مرحلة بدء العمل في المحاكم رافقها نشاط ثقافي واجتماعي ورياضي لك؟

- نعم، عندنا تشكّل الجمعيات التعاونية، الصحية والزراعية والتسويقية، وعُيّن مسجلاً لهذه الجمعيات، فازدهرت الحياة الاقتصادية، فالموظفون في الجمعيات يستقطعون مبالغ من رواتبهم لتشغيل الجمعيات التي تلتزم لهم بتوفير المأكولات، فأنا كان مرتبي (٦٠) روبية، أصرف منها (٤٠)

(٢٠) أوفرها شهرياً، وهذا التوفير كما علمني صالح بن علي الحامد كنت أقوم به بزيارات إلى دول العالم، العراق ومصر وسوريا، فكل سنة كنا نقضي الإجازة في الخارج، ونأخذ معنا بعض البضائع من عدن (راديو فلبس، وقماش صوف

إنجليزي) ونبيعه في هذه الدول فنرحب ٢٠ ٪ فنستعيد ما خسره في الرحلة.

• هذا النشاط في الجمعيات والأندية قد أكسبك خبرة في التعامل مع الناس، ومع الواقع وبدأت تُدرك أهمية المخطوطة والتوثيق، فكل ما هو مكتوب هو حجة على من تطاول على التاريخ؟

- في الحرب العالمية الثانية - وربّ ضارة نافعة - في السنوات الأخيرة منها صارت مجاعة في البلد، فكان الناس يبيعون المخطوطات من أجل لقمة العيش، فكنت أنا ثالث ثلاثة يشتررون المخطوطات، هنا في سينون، الشخص الأول هو عبد الرحمن بن شيخ الكاف والثاني صالح بن علي الحامد والثالث أنا وإخوتي، كنا نشترى المخطوطات، وكان عندنا ناس بائعو مخطوطات، ومنهم واحد اسمه أحمد بن عبد الرحمن والثاني سالم بن حسن، كل يوم يأتيان بالمخطوطات محمولة على أكتافهما، فنشتري منهم هذه المخطوطات، إضافة إلى مخطوطات ورثتها عن والدي، فاقترنت مخطوطات نادرة، منها مخطوطة عن فرقة المطرفية الزيدية التي في الشمال، فهم يقولون إن الأشياء عندما تستحيل هل هي بقدرة الله أو إنها تستحيل بطبيعتها، وهم يرون أنها تستحيل بطبيعتها، وهذه الفرقة أبادهم عبد الله بن حمزة، وكتبهم في القرن السادس الميلادي في الشمال، ولحسن

الحظ، بقي هذا الخط عندي، وهو الوحيد على مستوى العالم الذي يحتفظ بهذه الأفكار لهذه الفرقة الزيدية، وعندي مخطوطة من أربعة مجلدات عن الأنساب بخط الحبيب عبد الرحمن المشهور من تريم، وهو تحفة فنية

عملت مستشاراً للسلطان حسين الكثيري، وكنت الناطق باسمه وألقي الكلمات نيابة عنه

تشكيلية رائعة، توجد منها أربع نسخ، واحدة في مكتبة الحبيب علي الحبشي، ونسخة عندي اشتراها والدي بعشرة آلاف ريال فرانصة، وهي من أنفس المخطوطات؛ لأنه يحمل أنساب العلويين على مستوى العالم، يتتبع نسبهم حتى أبينا آدم.

• هل هذه الاهتمامات حقزت إلى عالم الوثائق، فمتى بدأت الكتابة والتأليف؟

- بحكم عملي في المحاكم الشرعية لكتابة الوثائق ذات الفاعل القانوني، البيع والشراء والوكالة وغيره، وقد نصحتني الشاعر المؤرخ صالح بن علي الحامد وقال لي: أنت الآن تكتب الوثائق، عليك بتجميع الوثائق التي هي ليست ذات فاعل قانوني، التي مرت عليها ثلاثمائة وخمسمائة سنة فصارت مراجع، فلما أرشدنا الحامد، فكلما وجدت وثيقة في المحاكم انتهى مفعولها القانوني وأصبحت مرجعاً أحفظها، فعندي وثيقة الآن في حكم سبعة أساطيل كانت عند السادة العلويين في إندونيسيا وسنغافورا، هذه الوثيقة أخذتها وكتبتها عنها مقالاً في صحيفة (المدينة المنورة) فاطلع عليه سارجنت البريطاني فترجمه إلى اللغة الإنجليزية لجامعة أوكسفورد، فجاءتني رسالة شكر من الجامعة لامتلاكي هذه الوثيقة النادرة، وقد طلبني - كذلك - الأستاذ جمعة الماجد في دبي وطلب مني نسخة منها، والوثيقة



السيد جعفر السقاف مع المستشرق البريطاني سارجينت

السيد محمد بن شيخ المساوي وسكرتارية محمد بن هاشم، وهذه جميعها موثقة - اليوم - عند حفيد الكاف علي أنيس.

• هذه الحيوية عند السيد الكاف، قابلها رغبة لدى السلطات البريطانية، ورغبة أكثر عمقاً عند السلطانين صالح بن غالب القيعطي وجعفر الكثيري، وجاء دور هؤلاء في إنجاز السلام الاجتماعي وتحقيق الصلح لثلاث سنوات: ٣٧ - ١٩٤٠م.

- هذا الحدث من أعظم الحوادث في تاريخ حضرموت، فهي حركة إصلاحية عظيمة، وأسهم هؤلاء في إنجازه والعمل بقوة لإخراجه إلى العلن، وتكاتفوا من أجل مصلحة حضرموت، وتمدين السلاح على الرغم من كثير من الاعتراضات والرفض الذي قوبل به هذا الإجراء غير أن الإصرار والعزيمة من قبل هذه الأطراف وضع حداً لهذه الأوزار فخرجت حضرموت بهذا الصلح العظيم.

• على ماذا احتوى برنامج الاحتفال الختامي لتوقيع الصلح؟

- عن الدولة القيعطية ألقى الكلمة ممثلها الأمير علي بن صلاح القيعطي، وعن الدولة الكثيرية الأمير علي بن منصور الكثيري، والسيد أبوبكر بن شيخ الكاف بصفته هو الراعي للسلام، ثم انجرامس الذي لبس لباساً عربياً في هذا الاحتفال أمام قصر الكثيري بسينون.

انجرامس) ... من هي الشخصيات الحقيقية المحركة لهذا الصلح، وكيف نجح هذا الصلح في ظل التداعيات والصراعات القبيلية والتخلف الذي موجود، من هي أعلام هذه المرحلة؟

- تلك الحقبة نسميها فترة الصراع القبلي والخلاف العشائري في حضرموت، فكنا إذا أردت الذهاب إلى تريم لابد أن تأخذ لك (خفارة) واحداً من القبائل المسلحة تعطيه ليؤمن لك الطريق،

بأختام السلاطين والقضاة وبخط المؤرخ سالم بن حميد صاحب (العدة المفيدة)، فأنا بحكم عملي في المحاكم أفادني في تجميع هذه الوثائق.

• تتلمذت على يد من في هذه المجالات؟

- تعلمت على يد (بن عبيد الله) وصالح بن علي الحامد ومحمد بن شيخ المساوي وعمر بن أحمد السقاف ومحمد بن هادي صاحب الزاوية التي كنا نقرأ فيها موسوعات الكتب، كما أنني في عملي الإشرافي بالمحاكم كان لابد من أن أكتب مراجع ليست مطبوعة ولكنها مخطوطة فقط في معاملات تشريعية لا يعمل بها إلا في حضرموت، فالحضارم أذكاء فعندما اشتغلوا بالتجارة وملكوا الأساطيل في زمن عدم وجود البنوك، كيف اشتغلوا؟ اخترعوا بيع العهدة وهي معاملة بنكية، أجازة الحضارم وأخذه من مذهب الإمام مالك (بيع الوفاء)، وبعد أن جاءت البنوك تركوا هذا البيع، فصارت البنوك هي البديلة له، والحضارم قبل خمسمائة سنة عملوا به، فكانت الضرورة أم الاختراع وذلكاء الحضارم. فكل الحضارم الذين سافروا إلى

في الحـرب العالمية الثانية كان الناس يبيعون المخطوطات من أجل لقمة العيش، وكنت أنا ثالث لائحة يشتررون المخطوطات

السعودية: بقشان وبن لادن وباشب وبن محفوظ وغيرهم رهنوا أموالهم وذهبوا إلى السفر وبعد أن فتح الله عليهم في المهجر فكوا الرهن.

• نأتي إلى الأربعينيات والخمسينيات فهي حقبة ثرية، فعلى رغم تداعيات الحرب العالمية الثانية غير أن الحضارمة كانوا حريصين على تأسيس حياة آمنة ومستقرة في وطنهم، فبدأت فكرة السلام الاجتماعي في حضرموت (صلح

ففكر الزعيم أبوبكر الكاف وقال لماذا نأخذ (خفارة) إذا أردنا الذهاب إلى عينات أو زيارة النبي هود أو أي منطقة في حضرموت، لماذا لا ننزع السلاح عن القبائل ونعمل صلحاً فيما بينهم، ففعلاً استعان ببريطانيا والمعاهدة ونزع السلاح، فبعد أن كانوا يتقاتلون فيما بينهم تعلموا فصار منهم المدرسون والأطباء، فصارت القبائل هي التي تذهب إلى قصر (بنقالة) لتتحاكم فيما يطرأ بينها، لأن الكاف فتح فيه محكمة برئاسة



• **الصلح كان عاملاً مهماً للقضاء على مشكلة الثأر في حضرموت، كيف تمت معالجة هذه المشكلة والقضاء عليها؟**

- القبائل بعد الصلح اتجهت إلى تعليم أبنائها، فظهر شباب جديد متفتح ومتعلم ينبذ القبليّة والثارات، فصاروا يأتون بأمثلة من المدارس والمناهج بدلاً من أمثلة أجدادهم القبليّة، ويتذوقون أدب شكسبير (روميو وجوليت)، فهذه الثقافة الجديدة طغت

• **والكثيرة، فهل كانوا يميلون إلى الحرية والديمقراطية والتطوير؟**

- سلاطين الدولتين يعرفون كل كبيرة وصغيرة من أحوال البلاد وأحوال الشعب، ولهذا فالسلطان حسين بن علي الكثيري يومياً يخرج من قصره ويجلس في الساحة، ويعلن أي واحد عنده قضية ضد موظف ظلمه أو جمارك زادوا عليه أو إخلال بالأمن أو ما إلى ذلك يتقدم إليه، فيقوم بالفصل في كل

اتجهت قبائل حضرموت بعد صلح انجرامس إلى تعليم أبنائها الذين صاروا يتذوقون أدب شكسبير (روميو وجوليت)

على الثقافة القديمة القبليّة التي تلاشت، حتى الخناجر التي كانت القبائل تستعملها قد تركوها، فظهرت جلياً القوة الروحية والنفسيّة لهذا السلام، الذي تغلغل في المجتمع الحضرمي، ولأن الشخصية الحضرميّة قابلة للتطور.

• **كيف تصف مرحلة الصحافة الورقية ودورها في الوعي؟**

- كانت الصحافة تُرشّد السلاطين إلى مزيد من الحرية والديمقراطية، فكانت البلاد لا يوجد بها مجالس بلدية فكتبنا نطالب بها فتحققت، وطالبنا بالدساتير فتشكّلت لجان لإعداد الدستور، وكنت في لجنة صياغة الدستور المقترح من العلماء والتجار وغيرهم، ثم بعد ذلك قانون الانتخابات، ثم مذكرة تفسيرية للقانون، قدّم كل ذلك لمجلس الدولة الاستشاري (شبه برلمان) لإقراره، والمجلس تقدّم إليه موازنة الدولة وقضايا المواطنين وكيفية تطوير الدولتين والزراعة والتجارة، فكثير من القضايا التي تناولها الصحافة تحققت؛ إذ الصحافة رئة الشعوب.

• **بحكم الخبرة الكبيرة وشهادتك على سلاطين الدولتين القعيطية**

بأنفسهم، وهم الأكثرية وكانوا معجبين برعاية عبدالناصر، وظلّ السلطان حسين غير قادر على اتخاذ موقف على الرغم من قُـدوم وفد من الجمعية الكثيرة بإندونيسيا لدعم السلطنة في حضرموت، ولكن الأحداث كان لها اتجاه آخر.

• **هل تتذكر اللحظات الأخيرة في عمر السلطنة الكثيرة في الثاني من أكتوبر ١٩٦٧م، وأين كنّت حينئذ؟**

- نعم، أتذكر هذه اللحظات، الجبهة القومية عملوا مظاهرة، وأحرقوا بعض السيارات الخاصة بالدولة، ثم قدم فيصل العطّاس وعلي العامري وسالم تومة ومحمود صقران، فقال لهم السلاطين نحن سوف نسلّمكم الحكم من غير أي مظاهرات ولا قلاقل بشرط أن الحماية لنا ولأملأنا الخاصة، وكتبوا اتفاقية بذلك أنا حضرتها وقّع عن الدولة الكثيرة الأمير أحمد بن جعفر والأمير كمال لأن السلطان حسين كان قد عاد إلى السعودية مع السلطان غالب، ولكن الجبهة القومية لم تلتزم بهذا الاتفاق. في البداية تولّى السلطة الرئيس قحطان الشعبي وجاء إلى سيئون والتقينا به، وقد شكّل حكومة من المعتدلين

المواضيع، حتى مرّة جاء سعيد بن صالح بن محفوظ من السعودية وكيل البنك الأهلي في السعودية ووجد السلطان حسين جالساً في العُصبي حق القصر، فاندesh واستغرب لأنه السلطان يجلس يومياً في هذا الموضع لحلّ قضايا الناس، فقال: لو جلس في الشهر مرّة لكفى، ومثل ذلك كان يفعل سلاطين القعيطي.

كان الأخوة في الجبهة القومية في سيئون يصنفونني بأنني (الكنوت) ولكن الخبراء الروس اهتموا بي لأنني أعرف تفاصيل المنطقة

مثل سيف الضالعي وعبدالله خليفة وغيرهم، ولكن قُـضى عليه جناح عبدالفتاح المتطرف، فدخلت اتجاهات في الجبهة القومية عصفت بها، وفي تلك الفترة كان الأخوة في الجبهة القومية بـسيئون يصنّفونني (كنوت)، ولكن جاء خبراء روس كبطرس قرينفتش وأنس خلدوف بطائرة هيلوكوبتر معهم مشروع سدّ عند النبي هود، وبحثوا عني

• **في الستينيات وبداية المدّ الثوري، وفي الأشهر الأخيرة من عمر السلطنتين، كيف تابعت هذا المدّ والوعي الثوري كشاب في تلك الفترة؟**

- الذي أثر على الناس في تلك الفترة هو صوت أحمد سعيد في إذاعة صوت العرب من القاهرة، فكان يذيع برامج ضد السلاطين وبريطانيا، فاستجاب الناس في تلك الفترة، والشباب كانوا مغترّين



وعزالدين إسماعيل من مصر، وفي مؤتمر الجزائر فقد كان مختصراً في يومين.

• مرحلة الثمانينيات، وبداية إصداراتك؟

- أول إصدار لي كان في عام ١٩٧٨م (لمحات عن الأغاني والرقصات الشعبية في حضرموت)، فصارت الوفود التي تذهب إلى الخارج ترجع إلى الكتاب في مجال الرقصات والفولكلور، فمن الظواهر الإيجابية لفترة الجبهة القومية انتشار المدارس بكثيرة، واستقدموا وفوداً لترميم الوثائق، من مصر والعراق، فالثقافة انتعشت بشكل كبير وتعددت المهرجانات والمؤتمرات والأسابيع الثقافية، ودعوة الوفود العربية لزيارة البلد والتعرف على آثاره وفنونه.

• إذا أردنا التحدث عن علاقاتك مع

المؤرخين محمد عبدالقادر بامطرف وعبدالقادر محمد الصبان وسعيد

عوض باوزير وصالح بن علي الحامد ومحمد أحمد الشاطري؟

- هؤلاء نعدّهم رُؤاداً، وأستاذي محمد بامطرف كان متمكناً من اللغة الإنجليزية، وعنده كتب دائرة المعارف البريطانية، وقد عاش الحياة الأوربية القديمة والحديثة، ونقل إلينا الأدب الإنجليزي والكثير من الأحداث، فهو أستاذنا، فله خمسة مجلدات عن الأدب الشعبي لم تطبع بعد، وقد أقام عندنا (١٥) سنة في سيئون، وكُنّا نقدّم ونحن شباب مسرحياتٍ مثلت فيها فتى العرب، فكان يُقرضني الكثير من المديح في رسائلٍ محتفظاً بها حتى اليوم، وكان يسألني في كثير من القضايا - تواضعاً - منه، ولا يقطع برأي قبل أن يستوثق منه ويحلّله بشكل سليم. والصبان اهتم بالعوادات والتقاليد واتّجه إليها أكثر من التاريخ، وله بعض الدراسات الأدبية، وكُنّا نصدر صحيفة زهرة الشباب معاً.

• في منتصف السبعينيات أسس

الأستاذ عبد الرحمن عبد الكريم الملاحى مكتب وزارة الثقافة في حضرموت؟

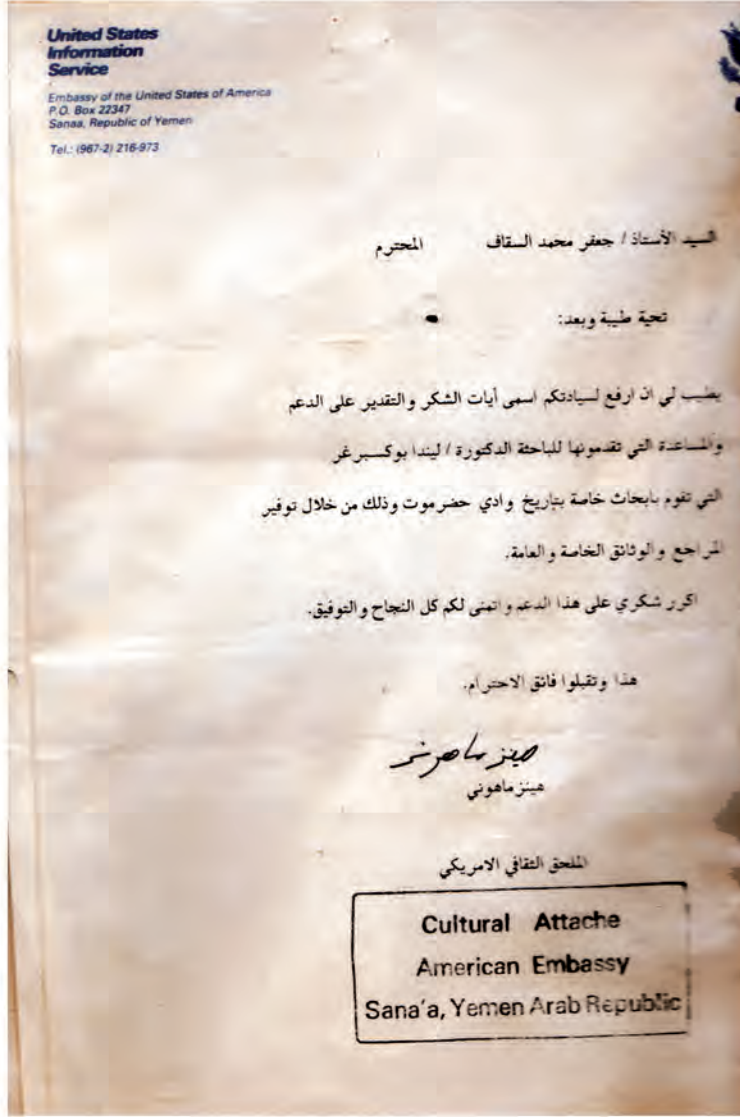
لأنني أعرف تفاصيل المنطقة، وكنت أقوم بشرح الأمكنة إلى أن وصلنا سد الخلفة، ولكن للأسف لم يتم إنجاز المشروع بسبب تداعي الصراعات السياسية بين تيارى سالمين وعبدالفتاح.

• حادثة السحل في مدينة شبام هل تتذكرها؟

- حضرتها بنفسى، هؤلاء نقلهم صالح منصر السبيلي من سجن المكلا، تحت حجة ضيق السجن وهم من سيئون، كما أخبرني صالح سعيد باعامر، وقد كان سكرتير الدائرة الأيدلوجية في الجبهة القومية، بأنهم قد عملوا محضراً بهذا الأمر، وفي شبام أقيمت لهم محاكمة صوريّة حضرها السبيلي وأحمد بن دغر ومحفوظ بشير ونصر يادين وأخوه وواحد من آل بن مبارك من شبام كلهم هؤلاء حضروا السحل.

• في السبعينيات برزت كقائمة أدبية وبحوثية مؤثرة في المشهد في كل الجنوب؟

- في هذه الفترة كنّا قد نُقلنا إلى عدن وعملت مع الأستاذ عبداللّه محيرز في مركز الأبحاث الثقافية في الجمهورية مشرفاً على المخطوطات والوثائق، وكان من الأساتذة - أيضاً - عبداللّه عبدالكريم الملاحي وحسين سالم باصديق، وكنت مندوباً للدولة في المؤتمر الدولي للوثائقي الأول في طرابلس التابع للمجلس الدولي للوثائق في العام ١٩٧٥م لمدة (١٢) يوماً حضره (٢٥) دولة عربية ودولية، والتقيت فيه بالعقيد معمر القذافي، وسألني من أي الأحزاب أنت؟، فقلت من حزب العلماء والمثقفين، فقال لي: مفهوم! أين علي باذيب وأين علي عقيل بن يحيى، خافوا أن أنتقدهم فأرسلوك، وابتسم، وقام باستضافتنا في قصره في مدينة بنغازي، وقد ألّفْتُ كتاباً بعد ذلك عن الوثائق، وقد سنحت لي الفرص المتعددة بزيارة عددٍ من الدول العربية كليبيا والعراق وسوريا، وهناك تعرّفت على إبراهيم سليم من السودان،



• علاقتك بالتراث الشعبي، واهتمامك
بـ هذا التراث، كيف تنظر إلى تراث
حـضرموت - اليوم - وهل قُدمَ إلى
العالم كما يجب؟

- ممّا يؤسّفُ له أنّ تراث حـضرموت
يحاولون التعتيم عليه، لأن الحضارة
بدأت من حضرموت، فقد أشار دكتور
عراقي اسمه (نزار) وكذلك الشيخ محمد
متولي شعراوي إلى ضرورة أن نهتم
نحن المؤرخين الحضارم بهذا التاريخ.

• في ختام هذا الحوار لا يسعنا إلّا أن
نشكرك جزيلاً الشكر على حسن
الضيافة وسعة الصدر أستاذنا جعفر
السقاف.

- شكراً لكم أنتم في مركز حضرموت
للدراستات التاريخية لوصولكم إلى
سينئون لإجراء هذا الحديث وتوثيقه.

- أنا كنت مراسلاً لصحيفة الرائد في
الوادي، فعندما جاءت شركة (إبان
أمريكان) للتنقيب عن النفط كنت أزود
الرائد بالأخبار، وكذلك أكتب أخبار
الحوادث في حضرموت، عن الأمطار أو
تغير في الجو، لأن حسين محمد البار هو
زميلنا، وهو صحفي وأديب وفنان يعزف
على العود ويغني وصوته جميل، وشكّل
ثنائياً مع محمد جمعة خان الذي كان
يستلهم فنّه من البار، ومحمد جمعة كان
محترفاً يطوف ويجول من أجل الجديد،
وقد أتى إلى سينئون كثيراً من أجل
الألحان والكلمات الجميلة، وأيضاً أبوبكر
سالم بلفقيه هو حامل لواء الفن، ويتمتع
بقوة الصوت ونعومة الحنجرة وتعدّد
الطبقات الصوتية، وقد حازها كلها
ويتكيّف مع الكلمات.

- أسعدني الحظ أنني ارتبطت
بالأستاذين عبد الرحمن وعبد الله أبناء
عبد الكريم الملاحي ارتباطاً أسرياً
وثقافياً، وسعيد أن أتحدّث عنهما،
فالحديث عنهما يطيب ويحلو، فلهم دور
كبير في الثقافة والتراث والفنون في
حضرموت. والأستاذ عبد الرحمن كاتب
مسرحي من أروع ما يكون، وعندما عُيّن
مديراً للثقافة في حضرموت كنّت نائباً له
في الوادي، وكُنّا نتبادل الزيارات، وقد
ذهبنا في رحلة إلى بادية المشقاص
بمعية الفنان أحمد بن غودل لمدة شهر
إلى مدن بدش وشخاوي إلى الحدود،
ومسحناً هناك كل تراث المشقاص
والألحان، نحن سَجَلْنَا من ناحية تاريخية
وابن غودل الجوانب اللحنية، ورحلنا إلى
العراق معاً في مواسم ثقافية متعدّدة
هناك، والأستاذ بامطرف عندما كتب
(الجامع) زوّدته بالكثير من المراجع التي
أثبتها لي مع علوّ قدره غير أنّه اعتبرني
مرجعاً له.

• شخصيات التصقّت بها في الوادي،
مثل حداد بن حسن الكاف؟.

- ارتبطت به منذ نعومة أظفاري، فهو
يأتي إلى سينئون من تريم؛ لأن سينئون
فيها حرية للسهرات، وهو يعزف على
الرباب، وكتب عنه دراسة، ولأنه من
أسرة ثرية فقاموسه الشعري مليء
بالفنون الجميلة، كشراب الشاي، وغير
ذلك.

• أول شهادة حصلت عليها؟.

- من الحزب الاشتراكي، عن كتابي
(الرقصات الشعبية)، وقد كرّمت مع
الشاعر محمد سعيد جرادة والفنان
محمد مرشد ناجي.

• الشاعر حسين أبوبكر المحضار كيف
تصفه اليوم؟.

- الشاعر المحضار في الشعر الشعبي هو
أمير الشعراء، وفي الفصحح الشاعر صالح
بن علي الحامد.

• في منتصف الخمسينيات ظهرت
الصحافة الحضرية، كالطليعة
والرائد، بالتأكيد كنّت مساهماً فيها؟.



د. سعيد الجريري

أن تشعر بأنوثتك

جديدة كأنها طالعة للتو من النهر، خفيفة طليقة، بلا تاريخ، بلا خرافة، بلا وهم، بلا قناع، بلا شيزوفرينيا، بلا جنائية عمد على طفلة جميلة أضاء وجهها لوحة يحف بها ملائكة، فاستدرك أحدهم، فغمس ريشته في العسل مضيفاً لمسته الأخيرة على مقلتيها.

أن تشعر بأنوثتك رحلتك الأولى باتجاه شاطئ منسي، لكن محفوف بالأساطير والدهشة، حيث تشرق عليك الشمس لأول مرة، وتسترخي على قدميك بكسل لذيق أول موجة تبلك بأول همسة غير معنونة عن طفلة نسيتهها سفينة الهاربين، فلم تذرف دمعاً واحدة، ثم تلاشت خطاها خلف أول شجرة في الأفق. على ذلك الشاطئ المنسي يبدأ تاريخ ليس كالتاريخ. إنه رديف الكلمة الأولى قبل أن يعث بها اللسان، واستكنت في قاع لا تحيط به الصفات.

(٥)

هل في شعور كهذا، أو في حديث كهذا عنه، خدش لذكورية تاريخية، تناسلت فصول شدتها في فحولة أسطورية، فشكلتا مصدات نفسية عن تقبل تعبير كهذا؟ ربما، إنما لا غرابة، فمفاعيل النرجسية الذكورية، مازالت ترى في الأنثى أو المؤنث ظلاً باهتاً لها، وتحافظ على مسافة فاصلة بينهما مختلفين متضادين، خفضاً ورفعاً، متناسية أنهما نصفاً التفاحة التائه أحدهما عن الآخر، منذ حكاية الغواية الأولى، قبل فاعلية التناص البشري.

التوازي بينهما، من صخب إلى همس، ومن أغراض إلى ثيمات كثيراً ما تحتفي بالمهمش واليومي والمنسي والمقصي، وفق زاوية نظر ثقافية، تقترب مما هو إنساني أو إنسانوي، يتجاوز مكعبات التجنيس المألوف.

(٣)

شعورك بأنوثتك ليس انسراباً (شاذاً)، ولكنه انغماس طفولي في لحظتك الأولى قبل أن تتوالى عليها عوامل التعرية الثقافية والاجتماعية، فتوقظ فيك الوحش الغافي، لينقض على غزاة تركض، في فضاء لا يحد. تلك الغزاة الجميلة مأزقها جمالها، حتى لكان الجمال خطينة، ولأنها جميلة فثمة من يترصدها خلف أكمة مباغتة، وإذ تلوذ بالفرار مجفلةً تتناهى إليها دمدومات قبيحة تسد أمامها كل أفق. فإن تشعر بأنوثتك كأن ترى كل درب بـيانو ثموسقه خطوات الغزاة، لفتاتها، حركاتها، سكناها، وأنت على رملة الغيم تحسو خطاها، لا يحدثك هاجس نافر عن حفلة آثمة مثل ليل الشواء.

(٤)

أن تشعر بأنوثتك أن تعيد قراءة ذاتك، باحثاً عن رقتك المجني عليها بوصايا كيدية عابرة للتاريخ، تهبط بك إلى هوة سحيقة ثم تعليق خارج الجاذبية، وفق قانون بانس يعلي ويخفض، يقصي ويُدني، بانتقائية مقدسة، كأن محترفيها يعمون، إذ يرون. أن تشعر بأنوثتك خلق جديد لذات أخرى

(١)

أن تشعر بأنوثتك تلك هي اللحظة التي تعلق فيها إنسانيتك درجات، ونادراً ما يشعر الرجل بأنوثته الكامنة، تلك التي تجرّده من شوائب ذكوريته وأعيائها المتركمة على إحساسه وتفكيره وطبيعته رؤيته للعالم، والتعامل معه.

أن تشعر بأنوثتك لا يعني أن تميل إلى ميوعة جسدية أو نفسية شائهة، وإنما أن تشعر بأنك إنسان متسام، يدرك ما حوله بعينين تشعان جمالاً، وبقلب يفيض ورداً، وبصوت يهامس الكون كطفل يخشى أن يوقظه من نعاس حالم، هناك حيث ترقى إلى اكتمالاتك ذروة ذروة.

(٢)

أن تشعر بأنوثتك يعني أن تستلذ مذاق ضعفك الإنساني، من دون أن يداخلك إحساس بقلّة الثقة، فأنت في ذروة إحساسك بالضعف أقوى من أي صورة كرتونية أو نمطية للقوة، كأن تربو فيك مفاعيل الفحولة كقيمة مضادة للأنوثة، لم يكن مفاجئاً أن تكون سمة الشعراء الكبار في الماضي، حيث لا مكان لوسم شاعرة ما بالفحولة مثلاً يوسم نظيرها الشاعر بالفحل. وتلك قيمة ترسبت في قاع تاريخي متعالية في المخيال الثقافي، ونظر لها الفحول حتى قال الفرزدق: "إذا صاحبت الدجاجة صياح الديك فاذبحوها". وعلى نسق متواز تتجلى في الأدب مثلاً ثنائية ملتبسة: الشعر# القصيدة، حيث يمتد

محمد سعيد القدال

باحثاً ومترجماً في الشأن الحضرمي



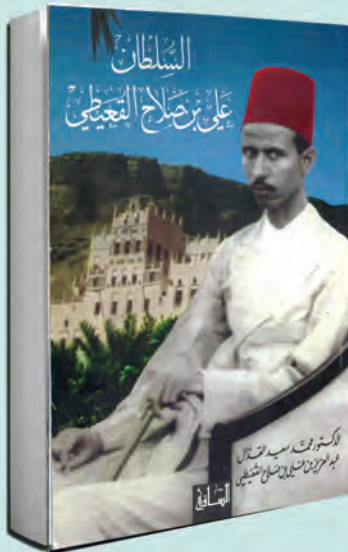
الدكتور محمد سعيد القدال أحد الأمثلة البارزة على العلاقة الثقافية التي ربطت بين حضرموت والجنوب عموماً وبين القطر العربي السوداني الشقيق، بل إن والده الشيخ القدال سعيد القدال هو الذي تولى قيادة حركة تطوير التعليم في حضرموت وعملية تحويله من التعليم الأهلي الذي كان سائداً في البلاد إلى التعليم الحكومي المبني على المناهج والأساليب الحديثة، وهي الحركة التي كانت من بين خطوات تحديث المجتمع الحضرمي التي قام بها السلطان صالح بن غالب القعيطي واستعان فيها بسلطة الحماية البريطانية ممثلة في دار المستشار، وبالدات السيد هارولد إنجرامن، الذي كان أول مستشار مقيم للسلطنتين القعيطية والكثيرية بعد توقيع معاهدتي الاستشارة معهما في عامي ١٩٣٧ و ١٩٣٩ على التوالي.

مولن (حضرموت) إزاحة النقاب عن بعض غموضها) التي قام بها، حيث قال في معرض حديثه عن الأسباب التي دعت به إلى القيام بترجمة هذا الكتاب: "...وأخيراً، لعلني بهذه الترجمة أدفع بعضاً من دين حضرموت عليّ، منذ أن احتضنتني يافعا عام ١٩٤٠ حتى استضافتني للعمل بها عام ١٩٩٣". وهناك نبذة عن سيرته العلمية وإنتاجه نشرت في نهاية كتاب (السلطان علي بن صلاح القعيطي) إلى جانب سيرة الأستاذ عبد العزيز علي بن صلاح القعيطي، وورد في رأس هذه النبذة أنه من مواليد عام ١٩٣٥م في السودان. ومعنى ذلك أنه جاء إلى حضرموت وعمره خمس سنوات. وهذا التحديد لتاريخ الميلاد ينسجم مع ما سيأتي لاحقاً على لسانه عن فترة انتظامه في

عاش محمد سعيد القدال جزءاً من طفولته وصباه في حضرموت بحكم وجود أسرته فيها. وعلى الرغم من عدم وجود معلومات كافية بين أيدينا عن هذه الفترة المبكرة من حياته إلا أن هناك بعض الشواهد على ما ذكرناه، منها الصورة التي نشرها الأستاذ سالم عوض باوزير في كتاب سيرته الذاتية المعنون (محطات على الطريق) ويظهر فيها مجموعة من التلاميذ بالزي المدرسي الحضرمي وعلق عليها المؤلف بهذه الكلمات: "بعض من زملاء الدراسة بالمدرسة الوسطى يتوسطهم نجل الشيخ القدال، الدكتور (حالياً)، محمد سعيد القدال ومنهم... إلخ". ومنها ما ذكره الدكتور القدال نفسه في مقدمة الترجمة العربية لكتاب المستشرق الهولندي دانيال فان در



نجيب سعيد باوزير



والذي في غيل باوزير منذ الستينيات، وقد عثرت بين مخلفات والدي على نسخة من ديوان الشاعر محمود درويش (عاشق من فلسطين)، طبعة دار الآداب، مهداة إليه من الدكتور عكاشة بتاريخ فبراير ١٩٧٢، وكنت حينها مغترباً في الخارج للدراسة. كان أول المتحدثين في تلك الندوة العدنية الدكتور صالح علي باصرة وقد تناول في مداخلته عدداً من الأفكار أظنها هي التي بلورها وصاغها بعد ذلك في بحث بعنوان (سعيد عوض باوزير، ١٩١٥-١٩٧٨م، أعماله ومنهجه في تدوين التاريخ) نشرناه في العدد الأول من مجلة (الفكر) ثم نشره صاحبه لاحقاً ضمن فصول كتابه (دراسات في تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر). كان الدكتور القدال قد قدم لتوه من السودان في ذلك العام ١٩٩٣ الذي عقدت فيه الندوة حتى إن تعريفه ورد عند نشر الندوة بأنه من جامعة الخرطوم. وقد جاء من ضمن حديث الدكتور القدال عن المؤرخ باوزير ما يلي: "تعود معرفتي بالأستاذ سعيد إلى عام ٤٦ - ٤٧م عندما كنت طالباً في مدرسة غيل باوزير الوسطى وكان خالي عوض عثمان معلماً في هذه المدرسة وكان صديقاً حميماً له وأخذني عنده في بعض المرات وكان معجباً به، وانطبعت في ذهني صورة منذ عام ٤٦م عن الأستاذ سعيد أنه رجل مفكر..."

وبحكم تخصصه في التاريخ ونظراً لوجوده في حضرموت لا بد أن الدكتور القدال قد درس بعمق كتب المؤرخ باوزير الثلاثة عن تاريخ حضرموت والجزيرة العربية، ثم إن حاجته لدراسة هذه الكتب كانت أكثر وضوحاً بعد أن ربطته علاقة من الصداقة والتعاون العلمي والثقافي بالسفير الأستاذ عبدالعزيز بن علي بن صلاح القعيطي الذي كان المؤرخ سعيد عوض باوزير قد ارتبط بوالده السلطان علي بن صلاح وعمل معه لسنوات، وكان هناك تأثير وتأثير متبادل بين الرجلين. وقد أثمرت

المدرسة الوسطى بغيل باوزير وتعرفه إلى الشيخ سعيد عوض باوزير؛ ولذلك لا داعي للتدقيق حول معنى كلمة (يافع) في النص المنقول عنه قبل قليل، ففي الأمر سعة عندما يرسل الكاتب المتفنن قلمه ويختار كلمات بعينها يرى فيها جرساً جميلاً دون أن يأبه لمعناها المعجمي الحرفي.

على أن هذا المقال لا يهدف إلى النبش في سيرة هذه الشخصية الأكاديمية المتخصصة في التاريخ بقدر ما يحاول التوقف عند بعض الذكريات التي ربطتني به. وأشير بادئ ذي بدء إلى تلك الندوة التي عقدت في عدن بمناسبة الذكرى الخامسة عشرة، ٢٥ أكتوبر ١٩٩٣م، لرحيل المؤرخ سعيد عوض باوزير، وكان مكان انعقادها منتدى الأستاذ (الدكتور بعد ذلك) أحمد صالح رابضة. بعد حوالي سنتين من عقد هذه الندوة، أنشأنا جمعية تحمل اسم (جمعية أصدقاء المؤرخ سعيد عوض باوزير الثقافية)، وأصدرنا مجلة (الفكر) إحياءً لذكرى مجلة (الفكر) القديمة التي أصدرها عن دار الطليعة بالمكلا الصحفي الأستاذ أحمد عوض باوزير في ستينيات القرن الماضي ولم يصدر منها إلا أربعة أعداد فقط. كان العدد الرابع من هذه النسخة الجديدة التي أصدرناها من مجلة (الفكر) عدداً متميزاً بما احتوى عليه من موضوعات غنية وجذابة، وقد نشرنا فيه جزءاً من تلك الندوة العدنية بعد أن فرغتها من شريط تسجيل أرسله لي أحد الإخوة من عدن ولعله الأستاذ عبد الله سالم باوزير صديق الدكتور رابضة وكان أحد المشاركين في الندوة، وكان الشاعر محمد عوض باوزير حاضراً فيها أيضاً.

كان الدكتور محمد سعيد القدال مشاركاً في تلك الندوة إلى جانب عدد من الأكاديميين العرب والمحليين من بينهم الفلسطيني، أستاذ في إحدى المراحل التعليمية، الدكتور محمد عبد الكريم عكاشة الذي عاصر وجود



علاقة الدكتور القدال بالأستاذ عبدالعزيز كتابين مهمين أولهما (السلطان علي بن صلاح القعيطي) والآخر (إحلال السلام في حضرموت). ومن أجل هذه المهمة، أقصد مهمة بحث هذه المواضيع وكتابتها لغرض النشر في كتب، احتاج الدكتور القدال - أو ربما كلفه الأستاذ القعيطي - أن يزورني في بيتي بغيل باوزير لكي يطلع على بعض الأوراق والرسائل التي خلفها والذي رحمه الله والتي تخص فترة وجوده في القطن وعمله مع السلطان علي رحمه الله، وقد استقبلته في البيت في الغرفة التي كنا نتخذها مقرا لجمعية المؤرخ سعيد عوض باوزير يضم أيضا مكتبة صغيرة خاصة بالجمعية، وهو نفس المكان الذي استقبلت فيه عددا من الزوار الآخرين، ومن بين الذين زاروني لغرض مشابه لغرض الدكتور القدال الباحثة الألمانية ألريكة فريتاج حيث اطلعت على سيرة والدي عن مرحلة شبابه التي كتبها بنفسه، وكانت ما تزال مخطوطة، وهي التي نشرتها فيما بعد ضمن كتاب (حياة جديدة).

وأذكر أن الدكتور القدال في أجواء تلك الفترة التي زارني فيها أهداني كتابين له، أحدهما ترجمته لكتاب المستشرق والدبلوماسي الهولندي دانيال فان در مولن (حضرموت إزاحة النقاب عن بعض غموضها)، وتاريخ إهدائه فبراير ١٩٩٩، والآخر كتاب من تأليفه بعنوان (معالم في تاريخ الحزب الشيوعي السوداني)، وتاريخ إهدائه مايو ١٩٩٩. وربما لولا هذا التوثيق في تاريخ إهداء الكتابين لما استطعت تذكر زمن تلك الزيارة المهمة قياسا إلى شخصية الزائر وإلى الغرض منها، وهذا عيب وضعف في الحس التوثيقي أعترف به وربما يشترك معي فيه الكثيرون. أقول هذا لكي أستنتج منه أسبقية لقاء آخر جمعني بالدكتور محمد سعيد القدال وكان في المكلا. ولم يكن ذاك لقاءً واحدا بل كان لقاءات متكررة لا أستطيع

أن أتذكر عددها، حيث كنت أتردد عليه في مقر سكنه في العمارة التي كان يطلق عليها عمارة (اليمدا) المطلة على الشارع الرئيسي القديم في المكلا. لا أدري ما الذي ساق أحدهما إلى الآخر ولا كيف تم ذلك، ولكن لا بد أن عشقي للترجمة كان أحد الأسباب التي فعلت فعلها في هذا الأمر. تناقشنا في تلك اللقاءات حول بعض المصطلحات والتسميات المتعلقة بغيل باوزير وبالذات زراعة التبناك فيها مما ورد في كتاب فان در مولن وربما كلفني أن أتأكد

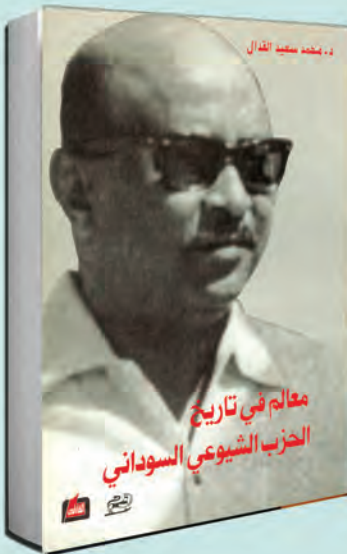


الشيخ القدال سعيد القدال

له من بعض التسميات، مثل (التبناك الحمي). كما دار بيننا حديث حول كلمة guano وهي فضلات الطيور - ولا سيما طيور البحر - التي تستعمل سمادا للتبناك وغيره من المزروعات، وقد صادفتني هذه الكلمة بعد ذلك عند ترجمتي لكتاب دورين إنجرامز عن حياته في حضرموت. وفي أثناء وجودي معه ذات مرة حدثني عن تحييره في ترجمة عنوان الكتاب وهو بالإنجليزية: Hadhramaut Some Mysteries Unveiled، فاقترحت عليه أن تكون الترجمة: (حضرموت إزاحة النقاب عن بعض أسرارها)، وأظن أنه كان يفكر في كلمة (الخمار)، ولكنني رأيت من الأفضل اللجوء إلى هذا التركيب الشائع، وهو ما اقتنع به، ولكن الكتاب صدر بعد ذلك مع تغيير كلمة (أسرارها) في العنوان إلى (غموضها)؛ هذه واقعة أروها كما حدثت

لا أدعي لنفسي فيها فضلا ولست في حاجة إلى ذلك، كما إنها لا تنتقص من قامة الرجل ومكانته العلمية الراسخة. وقد استأذنت الدكتور القدال أن أنشر هذا الجزء من الكتاب، الذي يتحدث عن غيل باوزير وشحير وزراعة التبناك وقصر السلطان (الحصن) وحديقة السلطان (الباغ) وما إلى ذلك، في مجلة (الفكر) فلم ير بأسا في ذلك، ونشر فعلا في العدد الخامس (١٩٩٧م) من المجلة تحت عنوان: غيل باوزير في عيون مستشرق هولندي ١٩٣٢م. وقد ترجم الدكتور القدال كتابا آخر لنفس المؤلف الهولندي هو كتاب (رحلة من عدن إلى حضرموت)، ومشى كاتب هذه السطور على خطاه بترجمة كتاب ثالث لفان در مولن عن الجزيرة العربية كلها هذه المرة ومن ضمنها حضرموت، هو كتاب (وجوه في بلاد العرب).

عدا الكتابين اللذين تعاون فيهما مع الأستاذ عبدالعزيز القعيطي وأشرت إليهما سابقا، لا أظن أن الدكتور القدال ألف شيئا مرتبطا بتاريخ حضرموت إلا كتابه عن سيرة والده الذي صدر بعنوان (الشيخ القدال باشا معلم سوداني في حضرموت)، ولا يهدف هذا المقال كما قد يوحي عنوانه إلى التعمق في تأليف الدكتور القدال وترجماته في الشأن الحضرمي، فهذا يحتاج إلى جهد وحيز أكبر ليس هذا مكانه، وإنما أردت به أن أوثق جانباً من الحراك الثقافي في بلادي، الذي شاءت الظروف أن تضعني في قلبه أحيانا بشكل أو بآخر. ولكنني أود، في ختام هذا المقال، أن أعبر عن إعجابي بأسلوب الدكتور القدال وموهبته في الكتابة. إنه واحد من الذين يكتبون السهل الممتع والممتع، وليس هذا متيسرا إلا للقلة من أهل القلم والفكر خاصة من أولئك الذين ينتمون إلى تخصصات ليس لها ارتباط مباشر بالأدب ولكنهم يعرفون أهمية الجمال والذوق في الكتابة، أيا كان نوعها ومجالها. فترجماته سلسلة تخلو



الوقت نفسه على جمال الأسلوب عند القدال الذي أشرت إليه، مع إنه نموذج عشوائي بالنسبة لهذه النقطة:

"ما كان لي أن أقوم بهذه الدراسة عن الشيخ القدال لمجرد أنه والدي، فليس في حياة كل والد ما يستدعي الدراسة: كما إن هذه الدراسة لا تعلي من قدر والدي بالنسبة للآباء الآخرين. إن دور الآباء أعمق من مجرد الدراسة وأكثر سموا، فالآباء يتولون تربية أبنائهم، ويحافظون بذلك الدور على تدفق تيار الحياة. هذا هو دورهم الأهم والأبقى، ويندغم إنجازهم الأبوي مع إنجاز الآباء الآخرين، فتظل جذوة الحياة متقدة. وإذا برزت في حياة أحد الآباء جوانب تستحق الدراسة، فإن تلك الجوانب تقع خارج مهمتهم الأبوية. والآباء في الغالب محل تقدير أبنائهم سواء كُتب عنهم أو لم يُكتب عنهم، فالخيوط التي تشدهم أقوى من كل ذلك."

"ولكنني قمت بهذه الدراسة عن الشيخ القدال لأنه والدي، فقد كانت له في حياته إنجازات تستوجب الكتابة، وأبناؤه أحق من يكتب عنه إذا كان لهم في الكتابة شأن. وكانت تطرق أذاننا أصوات تثني عليه وتشيد به خلال حياته وبعد وفاته..."

"... وبدأت منذ عام ١٩٨٥ أجمع ما يقع في يدي من وثائق، ثم أخذت أسعى إلى بعضها سعياً. ثم تشاء الظروف أن أذهب إلى العمل في كلية التربية بالمكلا: حضرموت، وهي المسرح الذي شهد أهم سنوات سيرته. واعتبرت أن تلك الصدفة هيأتها نوايا الشيخ القدال، فأنفتحت المجال أمام هذه الدراسة."

رحم الله المؤرخ الأديب الدكتور محمد سعيد القدال وتحية وسلاماً له في الخالدين بما خلفوا بعدهم من ثمرات المعرفة والفكر.

غيل باوزير

٢١ أكتوبر ٢٠١٧م

من العجمة التي تجدها عند كثير من المترجمين على الرغم من أنه لم يكن متخصصاً في هذا الباب، أما مؤلفاته التي وضعها بنفسه فحدث ولا حرج عما فيها من جمال الأسلوب ومن الأناقة في اختيار الألفاظ والعبارات دون أن تحس في ذلك بتكلف أو تعمل. وأجزم أن الدكتور القدال كان واعياً تماماً بأهمية الموهبة أو (المقدرة) الكتابية عند المشتغلين بالبحث والتأليف كما إنه كان يعرف مكانه منها ويعتد بذلك. وسأدلل على هذا الكلام باقتباسين: أولهما مما ورد على لسانه في معرض حديثه عن والدي في الندوة أنفة الذكر، وثانيهما من مقدمته لكتاب (الشيخ القدال باشا معلم سوداني في حضرموت).

قال عن المؤرخ باوزير: "الحديث عن الأستاذ سعيد كمؤرخ يذكرني أيضاً بمؤرخ عندنا في السودان اسمه محمد عبدالرحيم، لأن الاثنين هما من الشخصيات الطليعية التي بدأت بمبادرات فردية شخصية وبدون تدريب أكاديمي ولكنهم بحسهم التاريخي والوطني وبتقافتهم وبما عندهم من مقدرة كتابية معينة خاضوا ميدان كتابة التاريخ. وهذا النوع من التاريخ له تجليات مختلفة ويصبح تراثاً ومنطلقاً لدراسات أكاديمية فيما بعد." وأظن أن الدكتور القدال نفسه هو من اقترح علي ذات مرة أن أقوم بتحقيق كتب والدي التاريخية، وأنه يمكنني أن أخذ عليها درجة علمية، وقد فعلت والحمد لله - ولكن بطريقتي الخاصة - (فخدمت) كتب والدي التاريخية الثلاثة المعروفة، وها هو آخرها - وإن كان هو أول ما نشر والدي من كتب - (معاليم تاريخ الجزيرة العربية)، يصدر الآن في طبعة منقحة ممتازة بالتعاون بين (مكتبة الصالحية للنشر والتوزيع) و(مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر).

وقال الدكتور القدال مفتتحاً تقديمه للكتاب الذي بحث فيه سيرة والده، وهو ما أختتم به هذا المقال، وأدلل به في



قراءة في كتاب "رحلة جاوا الجميلة وقصة دخول الإسلام إلى شرق آسيا"



الكتاب الذي أنا بصدد عرض أهم محتوياته للقارئ الكريم، يدخل ضمن مؤلفات أدب المذكرات أو الرحلات، فهو عبارة عن تسجيل لذكريات رحلة قام بها المؤلف الأديب والمؤرخ والفقيه والسياسي والشاعر السيد صالح بن علي الحامد إلى بلاد جاوا... ويبين المؤلف في المقدمة الطويلة للكتاب أنه قد زار جزيرة جاوا ثلاث مرات: الأولى كانت عام ١٣٤٦، والثانية عام ١٣٥٠، والثالثة كانت عام ١٣٥٤ هجرية. ويستطرد السيد الحامد في حديث المقدمة ذاكراً للأسباب التي دعت له لتأليف هذا الكتاب قائلاً:

(وقد عن لي عند هذه الزيارة الأخيرة أن أكتب ما تيسر لي كتابته عن هذه الجزيرة الجميلة وتاريخها وسكانها وهجرة العرب إليها وتطورهم، ووصف ما يمكنني وصفه من محاسن هذه الجزيرة وعجائبها ومتنزهاتها تعريفاً لقراء العربية بهذه البلاد، وإطلاعاً لمن عسى أن يجهل الكثير عن هذه الجزيرة، وأحوال أبناء الضاد بها، وليكون ما أكتبه سجلاً لذكرياتي عنها...) ص ٩.

الأدبية في الكتابة، ونجد فيه كذلك معلومات المؤرخ، وخبرة الجغرافي، ومعرفة وإطلاع المثقف بالسياسة وأحوالها، كما نجد فيه تراجم شخصية لعدد من العلماء والفقهاء والتجار الحضارمة، من الذين برزوا وتميزوا، وكانت لهم بصمات في تلك البقاع الملاوية، ونقرأ فيه أيضاً مجموعة من القصائد "المناسباتية"، التي صاغها المؤلف في أثناء تجواله في مدن تلك الجزر الخلابة.

يمكن تقسيم محتويات الكتاب على قسمين رئيسيين: الأول؛ ضم مقدمة طويلة كتبها المؤلف نفسه، وغطت مساحة ٤٤ صفحة من صفحات الكتاب البالغة ٢١٧ صفحة، تضمنت المقدمة الطويلة حديث المؤرخ والجغرافي

الحامد، وهي حياة أثرت إيجابياً فيما أبدعه من أدب وشعر ونثر، وتأكيداً لهذه التأثيرات كتب الأستاذ عبد القادر محمد الصبان في كتابه "الحركة الأدبية في حضرموت" عن العوامل التي أثرت في شعر الحامد وأدبه وعدد منها:

١- الحياة الخاصة الهادئة..
٢- هجرة الحامد إلى أندونيسيا واستمتاعه بالمناظر الخلابة وجمال الطبيعة وعيشته المترفة نسبياً (ص ٥٨).

وفي ظني أن الكتاب يُعَدُّ أيضاً نموذجاً فريداً، يعطينا مجمل الجوانب الإبداعية والعلمية التي كتب فيها وأبدع المؤلف السيد صالح الحامد؛ إذ نجد فيه لغة الأديب الشاعر وأساليبه



عمر عبدالله حمدون

omar 2810@gmail.com

الكتاب صدر في طبعته الأولى عام ١٤٢٣ هجرية، الموافق عام ٢٠٠٢ م عن دار تريم للدراسات والنشر بحضرموت، وهو كتاب فيما احتواه من معلومات يكشف للقارئ جانباً مهماً من حياة الكاتب الشخصية، ذلك الجانب هو الحياة الخاصة والهائلة التي عاشها السيد صالح بن علي



51

العدد (6)
أكتوبر
ديسمبر
2017م

مرافق له في رحلته، أو لأنك تشاهد فيلماً سينمائياً أمامك، من خلال ما يرسمه قلمه بالكلمات من مناظر أو حركات أو مواقف .. نقرأ مثلاً ساعة وقوفه على الباخرة قبيل تحرُّكها، ثم كيف يصف منظر البحر حين بدأت السفينة بالتحرك: (وقفتُ على سياجها ناظراً إلى صفحة البحر فإذا هي بدت خلف الباخرة تتكسر وتبيضُ من الرغوة حتى كأنها صفحة زبرجد أصابها تهشم من صدمة، وأدركت أن الباخرة تحركت ...) ص ١٠ .

ثم نقرأ كيف يصف منظر مجموعة من الأصدقاء على الشاطئ وهم يودعون وهو على ظهر السفينة: (فنظرتُ فإذا الرصيف وعليه بعض المودعين يبتعد فكانما يجري بهم هارباً منا على كل عكس الواقع ...) ص ١٠ . كما نقرأ في المقدمة أيضاً وصف المنظر الطبيعي والباخرة تبحر بهم عباب البحر: (وكان المنظر رهيباً رائعاً كانت الشمس قد مالت إلى الغروب لولا أن حالت دونها طبقات السحب ذات الألوان ... إلخ) .

وخلاصة القول في هذا الجانب إنه لا يكاد يخلو أي سطر من سطور مقدمة الكتاب من ذلك الوصف المشبّع بالصور البيانية الجميلة والمتحركة، لدرجة أن القارئ - كما أشرت - كأنه مرافق لصاحب الرحلة منذ ساعة انطلاقها.

وإذا كنّا قد تعرفنا في الأسطر السابقة على جزئية بسيطة جداً ممّا جاء في المقدمة من أسلوب أدبي وبلاغي، عكس جانباً أدبياً لدى مؤلف الكتاب كونه ليس مجرد كاتب، بل أديب أيضاً فإننا في الأسطر الآتية سنتعرف على جانب آخر من جوانب شخصية السيد صالح بن علي الحامد، وأعني بذلك أنه مؤرخ أيضاً، ولعلّ أبرز ما كتبه في مجال التاريخ هو كتابه

كانت أفراراً أو كانت أتراراً، هذه اليوميات التفصيلية غطّت الصفحات من صفحة ٤٤ حتى صفحة ٢١٧ نهاية الكتاب، كما ضمّ الكتاب في صفحاته الثلاث الأخيرة عدداً من الصور التذكارية التي التقطت في أثناء الرحلة.

وقد بَدَرَ إلى الذهن سؤال في أثناء تنقّلي بين صفحات الكتاب حين سحرتني لغة الكتابة الوصفية .. السؤال يقول: هل يستطيع الشاعر حـيـن يكتـب نثراً أن ينفصل عن شاعريته وعن خيال الشاعر؟!



صالح بن علي الحامد

ولم تمكث بي الحيرة طويلاً للإجابة عن هذا السؤال؛ إذ وجدتُ فيما صاغه الكاتب من أسلوب، وما انتقاه من كلمات حين كان يصف مشاهداته كلها، تكشف عن أن المؤلف الأستاذ الحامد هنا في كتابة هذا يكتب نثراً بخيال شاعر وقلم أديب، وبالتالي من الاستحالة - في ظني - أن يتخلّى الشاعر عن ذاته الشاعرة وخياله المبدع حين يكتب النثر.

في هذا الكتاب نلمس لغة الشعر وخيال الشاعر منذ البدايات الأولى لصفحاته حين يذكر المؤلف تفاصيل سير رحلته الثالثة إلى جاوا، فيجعلك - أيها القارئ للكتاب - تبصر المشاهد التي يصفها على حقيقتها كأنك

والأديب عن هذه الجزر، ومنها جزيرة جاوا، وعلاقة الحضارة بها، معرّفاً بمكانة هذه الجزر في العالم، وما آتاها الله من حسن الموقع وخصوبة التربة وجمال المنظر حتى أصبحت كما قال: (من أهم بقاع الدنيا وأشهرها، وذلك راجع لجمالها ولخصوبتها وكثرة ما تنتج من المواد الضرورية) .

في المقدمة يتحدث المؤلف أيضاً عن تاريخ دخول الإسلام إلى هذه الجزر، وقد جعل المؤلف عنواناً فرعياً للكتاب وهو قصة دخول الإسلام إلى شرق آسيا، وهنا يوضح السيد الحامد رؤيته كمؤرخ، لما حدث من إخفاء المعلومات أو من تشويه متعمّد لتاريخ دخول الإسلام إلى هذه البقاع، وما سأعرض له في هذه القراءة للكتاب يتعلق في الغالب الأعم بما جاء في المقدمة الطويلة للكتاب.

أما القسم الثاني من الكتاب فهو عبارة عن تدوين شخصي ليوميات المؤلف بشكل تفصيلي دقيق، ابتداءً بيوم انطلاق الرحلة في ١٩ أكتوبر ١٩٣٥ م، مروراً بتسجيل أدق تفاصيل الرحلة ذاكرًا اليوم والتاريخ وزمن التحرك وساعة الوصول والأشخاص الذين التقى بهم، وانتهاءً بالحديث عن عودته إلى حيث انطلاقته في البداية.

وفي تدوينه لأيامه في جاوا في هذا الجزء من الكتاب نجد تعريفاً بشخصيات حضرية أغلبها علوية، وما قام به هؤلاء من جهود دعوية وتعليمية وحتى تجارية أيضاً .. كما نجد تسجيلاً لانطباعات المؤلف من خلال مشاهداته وزياراته للمدن المختلفة، معرّفاً بها، وما تنتج من مواد خام وغيرها من صادرات، كما يتضمن هذا القسم من الكتاب القصائد الشعرية التي قالها في المناسبات التي يدعى إليها، سواء



السيد صالح الحامد فلم يعين من هم هؤلاء بالتحديد الذين قاموا بهذا العمل بقوله: (أيد خفية) التي تحاول جردها إخفاء دور الحضارمة وجهدهم في نشر الدعوة الإسلامية في تلك المناطق الملاوية..!

وهنا يبرز سؤال بشكل طبيعي: لماذا تُستهدف بعض الحقائق التاريخية ذات العلاقة بحضرموت وأبنائها بالتشويه والإخفاء وبطريقة مقصودة أو متعمدة؟!

إن الاجتهاد في الإجابة عن هذا السؤال يتطلب بحثاً آخر ليس هنا مكانه، كما أنه بحث آخر، لا أدعي أنني بقدراتي المتواضعة في جانب المعلومة التاريخية، أقول لا أدعي بأنني مؤهل للخوض فيه قدر ما هو بحث له ناسه ورجاله من باحثين ومختصين في التاريخ وبالأخص تاريخ حضرموت...!!

نعود إلى ما كتبه السيد صالح الحامد في كتابه هذا عن دخول الإسلام إلى هذه الجزر، فبعد أن ذكر ذلك الغموض وتلك الأيدي الخفية استطراد قائلاً: (المعروف أن دخول الإسلام إلى جزر الهند الشرقية كان على أيدي العرب (... ص ١٧).

تشويه حقائق ذات صلة بحضرموت وتاريخها وتراثها الفكري والعقائدي بشكل خاص، من بعض حالات الإخفاء تلك، ما ذكره المؤرخ السيد علوي بن طاهر الحداد حين قال في كتابه جني الشـماريخ: (إن الأخلاف وجدوا في سيرة الأسلاف ما يُنكرُونه عليهم اليوم فعمدوا إلى إخفائها وإفنائها).

فالتشابه بين الحالتين يتمثل في قيام بعض الأيدي بإخفاء حقائق تاريخية لها علاقة بحضرموت وأهلها وتاريخها، وهو إخفاء أو تشويه يتم بتعمد وبقصد.

أما أوجه الاختلاف - في رأيي - بين حـالتي الإخفاء فتكمن في أمرين: الأول: إن ما ذكره السيد صالح الحامد في كتابه هذا يتعلق بعملية إخفاء لحقائق لها ارتباط بالحضارمة وتاريخهم خارج حدود بلادهم - حضرموت - أما ما ذكره السيد علوي بن طاهر الحداد فهو أمر يتعلق بإخفاء حقائق ذات صلة بتاريخ حضرموت وتم الإخفاء في داخل حضرموت من قبل من ينتمي إليها "الأخلاف".

الأمر الثاني؛ من أوجه الاختلاف هو أن السيد الحداد جعل "الأخلاف" هم المتهمين بالإخفاء أو التشويه.. أما

المسمى "تاريخ حضرموت"، الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٩٦٨م، والثانية منه صدرت في العام ٢٠٠٢م.

ما يهمنا في هذا الجانب من شخصية المؤلف هو حديثه في مقدمة الكتاب عن تاريخ دخول الإسلام إلى جزر الهند الشرقية - أندونيسيا وماليزيا وجاوه وما جاورها - فقد بدأ كلامه بالقول: (يخفى على كثير من الباحثين كيف ومتى دخل الإسلام إلى جزر الهند الشرقية، ونحن نعترف بأن الغموض كان سائداً على ذلك، غير أنه لم يكن طبيعياً ولكن هناك أيد خفية تثير الغبار حول هذا الأمر محاولة جردها إخفاءه وتجهدهم أن تلقي أمام الأعين ستاراً كثيفاً دون الحقيقة في هذا الشأن، ذلك بإنشاء الدروس وانتحال الروايات التي تبعث على الارتباك في كل ما يروى عن دخول الإسلام إلى هذه الجزر، كل ذلك علماً توفق إلى ستر الحقيقة وأن تسدل على ما تقتضيه الوثائق المحفوظة والآثار المعروفة ذيل العفاء ولكن هيهات) ص ١٧.

وفي ما قاله السيد الحامد في الفقرة السابقة يذكرنا بحالة مشابهة لها من حيث قيام بعض الأيدي بإخفاء أو



وبتاريخهم، ولكن القارئ أو الباحث المهتم بالمعلومة التاريخية ومصادرها يهمل جداً المرجع التوثيقي، خاصة وأن الكتاب لم يتناول مذكرات رحلة قام بها المؤلف فحسب، بل وأيضاً تضمن بحثاً تاريخياً عن دخول الإسلام إلى الجزر الملاوية ... بل إن العنوان الفرعي للكتاب " قصة دخول الإسلام إلى شرق آسيا " يؤكد هذا الجانب البحثي الذي تضمنه الكتاب. من هنا يمكن القول بكل ثقة إن هذا الكتاب يعد مصدراً من المصادر التي يعتمد عليها في معرفة دخول الدين الإسلامي وانتشاره في تلك الجزر، إضافة إلى ذلك يمكن القول أيضاً إنه يعد مرجعاً موثقاً به لمعرفة أحوال وأوضاع العرب عموماً ومنهم الحضارة بشكل خاص في جزر الهند الشرقية في الفترة الزمنية التي ترد فيها المؤلف على تلك الجزر، وتأثيراتهم في واقع البلدان الملاوية وما وصلوا إليه من مكانة اجتماعية وتجارية وسياسية فيها.

أخيراً أقول: ليس في النية إعطاء القارئ الكريم تلخيصاً شاملاً للكتاب، قدر ما أهدف إلى إعطاء لمحة تعريفية موجزة بالكتاب، وأهم محتوياته لافتاً الانتباه إلى أهميته كمرجع يرجع إليه الباحث والمختص والمهتم بتاريخ الحضارة وهجرتهم إلى جنوب شرق آسيا وتأثيراتهم وأحوالهم في تلك البقاع الملاوية.

أمل أنني قد وفقت لما هدفت إليه من هذه القراءة للكتاب وعرضها للقارئ العزيز .. كما لا يسعني في الأخير إلا تقديم جزيل الشكر وكل التقدير لأخي العزيز الأستاذ غالب بن صالح الحامد ابن الفقييد مؤلف الكتاب، الذي خصني بنسخة منه فجزاه الله كل خير.

عبد الملك بن علوي عم الفقيه المقدم في أواخر القرن السادس الهجري من قسّم عند ثورة الخوارج وهجومهم على تريم بحضرموت في تلك الآونة وقصد الهند هو وجماعة من السادة العلويين وانتشرت ذريته هناك، ثم يذكر أن من هؤلاء الأبناء من فر منهم إلى جاوا ومنهم من نزل غيرها بعد أن ثارت الفتن ببلاد الهند) ص ٢٠.

خلاصة القول إن هؤلاء العلويين القادمين من الهند هم الذين نشروا الإسلام في جزر الهند الشرقية - الملايو -. ويدل السيد الحامد على ذلك بقوله: (إن هجرتهم قائمة على الدعوة التبشيرية بالإسلام، وهي هجرة لم يكن مبدؤها من أوطانهم وإنما كانت من مهجرهم الأول وهو الهند).

هكذا يورد المؤلف معلومة ربما لم تكن معروفة على نطاق واسع من أن من نشر الإسلام في البقاع الملاوية هم الحضارة الذين قدموا من الهند، وليس الذين وفدوا إليها مباشرة من حضرموت.

وعلى الرغم من قيمة المعلومات التي يوردها المؤلف السيد صالح الحامد عن السادة آل عظمت خان، وخروج جدهم عم الفقيه المقدم من حضرموت إلى الهند ... ومن ثم نشرهم للإسلام في جزر جنوب شرق آسيا ... أقول على الرغم من ذلك فإن السيد الحامد لم يشير في هامش الكتاب إلى أي مرجع أو مصدر تاريخي "مطبوع أو مخطوط" يستند إليه في إعطاء هذه المعلومة، واكتفى بالقول: (فالمعروف أن أولئك العرب ... هم السادة آل عظمت خان ... إلخ) ص ٢٠.

نعم ... ما أورده المؤلف من معلومات في هذا الجانب قد تكون معروفة لديه كونه علويّاً - سيّداً - وأولئك هم سادة أيضاً، ومن هنا فهو الأعرف بهم

ويدل على ذلك مستنداً إلى ما كتبه الأمير شكيب أرسلان في تعليقاته على حاضر العالم الإسلامي نقلًا عن علماء هولندا - الدولة المستعمرة للمنطقة آنذاك - وغيرهم من مؤرخين أوروبيين ووطنيين، وأيضاً ما ذكره الرحالة الإيطالي ماركو بولو الذي أمضى في شاطئ سومطره الشمالي مدة من الزمن نقلًا عن السكان من أنهم قد اعتنقوا الإسلام بواسطة التجار العرب، ويتوسع السيد الحامد في تبيان كيفية اعتناق بعض أمراء وسلّاطين تلك المقاطعات للإسلام عن طريق (مبشرين إسلاميين انتهزوا الفرصة للدعوة إلى هذا الدين بالتي هي أحسن) ص ١٨.

ثم يتساءل المؤلف الحامد قائلاً: (من هم أولئك العرب؟ وإلى أي أصل وبلد ينسبون؟ وفي أي عصر ابتدأ هذا الدين الأقدس يسري بنوره في تلك الأصقاع؟).

وقبل أن يجيب عن أسئلته هذه أوضح: أولاً؛ إن المؤرخين ذكروا أن الإسلام قد دخل سومطره من عهد قديم أي منذ حوالي القرن السابع الهجري ثم علق على ما أورده العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي في تاريخه المسمى "نخبة الدهر في عجائب البر والبحر" من أن العلويين الفارين من الأمويين والحجاج قد استوطنوا بالجزيرة المعروفة بهم، وكان تعليق المؤلف الحامد أنه نفى أن يكون هؤلاء العلويون قد فروا من بني أمية أو الحجاج، بعد ذلك يعود إلى الإجابة عن أسئلته المطروحة بالقول: (إن أولئك العرب الطامحين الذين أدخلوا الإسلام إلى جاوا وما حولها هم السادة آل عظمت خان العلويون والحضرميو الأصل، خرج جدهم

التجار الحضارمة في الأرخبيل الإيجي



الأرخبيل الإيجي

بحر (ذراع) من البحر المتوسط بين اليونان وآسيا الصغرى ويربطه الدردنيل ببحر مرمرة واسمه القديم (أرخبيلاجوا)، وبحر إيجة عبارة عن مجموعة من الجزر ومنها جزيرة ديلوس^(٦)، التي وصل إليها التجار الحضارمة والمعيونيون . وتشير الشواهد على وجود صلات ملاحية للتجار الحضارمة والمعينيين مع بحر إيجة ، أما ديلوس فهي من أهم الجزر الإيجية قديماً ، ووفقاً للأساطير الإغريقية كانت مسقط رأس (أبولون) و (أرتميس) ، و أبولون هو إله النور والموسيقى والشعر والنبوءات عند اليونان ، ولد هو وشقيقه أرتميس بديلوس ، وفيها أيضاً معبده و هو من أهم معابد اليونان^(٧) .

وقد تمتعت جزيرة ديلوس بأهمية تجارية وسياسية كبرى في العصور القديمة، وكانت بها خزنة حلف ديلوس إلى أن نقلت إلى أثينا (٤٥٤ ق م)، وفيما بعد كانت بها سوق رائجة لتجارة العبيد، وفي (٨٨ ق م) هدمها ميثريدياتس السادس (١٣١ - ٦٩ ق م) ملك بونثوس القديمة^(٨) . ولم تقم لها بعد ذلك قائمة ، ونظراً لهذه الأهمية التي

ذات الأهمية العظيمة في الطقوس الدينية ، وكانت عاصمتها شبوة مركزاً لتجميع هذه المواد العطرية وتصديرها إلى العديد من معابد دول العالم القديم ، وخاصة عالم البحر المتوسط ، ونظراً لأهمية هذه المواد كونها محاصيل نقدية ومقدسة احتلت مكان الصدارة في الكتابات الكلاسيكية منذ القرن الخامس ق.م^(٩) . أما النقوش العربية الجنوبية (نقوش المسند) فقد ترددت فيها لفظة حضرموت كثيراً ، ويقصد بذلك أرض حضرموت القبيلة أو أرض مملكة حضرموت^(٤) .

وهكذا ظلت حضرموت دولة ذات شأن عظيم حتى دخلت في حروب ضارية مع سبأ وحمير أفقدتها تدريجياً تلك المكانة المهمة حتى أصبحت كلها في ضمن نفوذ مملكة حمير في النصف الأول من القرن ٤ م^(١٠) . على الرغم من زوال ملكها فإن اسمها ظل حياً، بينما جاراتها من الممالك العربية الجنوبية (أوسان ومعين وقتبان وسبأ وحمير) التي عاشت قبل الميلاد وبعده بزوال ملكها ماتت أسماؤها أو بقي ذكرها بشكل محدود .



أ.د. محمد بن هاوي باوزير*

أولاً: نظرة سريعة في النطاق الجغرافي:

مملكة حضرموت

تعتبر مملكة حضرموت من أقدم الممالك العربية الجنوبية وتقع في شرق قتبان وتمتد شمالاً حتى صحراء الربع الخالي ، وجنوباً حتى ساحل البحر العربي ، وشرقاً حتى سمهرم في ظفار عُمان (حالياً - خور روري) ، ويتبعها عدد من الموانئ مثل قنا (بئر علي) ، وسيجارس (رأس فرتك) ، وميناء سمهرم^(١١) . وورد ذكر حضرموت في التوراة^(١٢) ، وكذا في المصادر اليونانية والرومانية (الكلاسيكية) أن اسمها (أدرا ميتا) ، (وخادراما تيتس) ، وأنها بلاد اللبان أو البخور ، أي تتميز مملكة حضرموت بإنتاج هذه المواد العطرية



خزف في ميناء سمهرم (قديماً بناه الملوك الحضارمة في القرن الأول الميلادي نظراً لتزايد الطلب على البخور وتصديره لمناطق البحر المتوسط والشرق القديم) ، تبين للبعثة الأمريكية لدراسة الإنسان بعد فحص الفخار والخزف أنه مستورد من موانئ البحر المتوسط في القرن الأول للميلاد ، ووجوده في هذا المكان يشير بالطبع إلى الاتصال التجاري بين مملكة حضرموت وسكان البحر المتوسط آنذاك (١١) .

من تأثيرات حوض البحر الأبيض المتوسط على شبوة عاصمة حضرموت القديمة أنه تم اكتشاف أجزاء من تماثيل من البرونز لأشخاص وحيوانات (أحصنه وأسود وفهود...) ، وكذلك عثر على يد من العاج وقطع صغيرة من العاج ، وفيها امتزجت الفنون المحلية بلمسات الفنون العالمية كالفن الروماني والهلمسي . وفي شبوة أيضاً تظهر الحفريات الأثرية لبعض المباني وخاصة القصر الملكي والمقابر ، المكانة المتميزة لشبوة في التبادل التجاري وذلك في بداية القرن الأول للميلاد ، حيث عثر على بعض الفخار الروماني (المختوم) ، ومصاييح وجرار ، وزجاج مستورد ، وقد كان تقليد الفن اليوناني - الروماني

من أهم الكتاب الكلاسيكيون الذين اهتموا بجمع المعلومات عن البخور وذكر مواردها وصادراتها) أن يكتب ما يلي :

" لناخذ في الاعتبار العدد الضخم من الجنائز التي تقام في أرجاء العالم كل سنة وأكوام الروائح الزكية التي تحترق في شرف الموتى ... أنه شرف الإنسان الذي يظهر حتى في طقوس الموت الذي جعل العربية حقاً سعيدة " ، ولعله يقصد بالعربية البلاد الملقبة بالسعيدة وهي الأرض التي تنتج البخور أو الطيوب ، فهل يعني ذلك أن بلاد الطيوب (مملكة حضرموت) مرادفة للعربية السعيدة (١٠) .

ثانياً: الحضارمة في عالم البحر المتوسط :

تؤكد العديد من الشواهد الأثرية والنقشية على وجود صلات وعلاقات تجارية وحضارية بين حوض البحر المتوسط وخاصة الأرخبيل الإيجي وبين مملكة حضرموت وبعض من الممالك العربية الجنوبية (مملكة معين) ، وقد أكدت الشواهد الأثرية ذلك التواصل الحضاري بين حضرموت وعالم البحر المتوسط من خلال ما تم العثور عليه من بقايا أثرية ، ففي إقليم ظفار التابع لمملكة حضرموت القديمة ، عثر على بعض الفخار وبقايا

تمتعت بها جزيرة ديلوس في العصور القديمة كان محطة تجارية مهمة يرتادها الكثير من تجار العالم القديم ومنهم التجار الحضارمة والمعينيون الذين وصلوا بتجارهم وسلعهم المقدسة (البخور ومشتقاته) إلى عالم البحر المتوسط . وحتى نفهم أهمية هذه التجارة (تجارة حضرموت للبخور) مع باقي أقطار العالم القديم جدير بنا أن ننظر إلى الدور الذي كانت تؤديه مختلف أصناف البخور الحضرمي في الحياة اليومية لأعظم الحضارات منذ القدم ، ومنها بلدان البحر المتوسط ، ففي مصر استخدمت الأسر الفرعونية البخور بكل مشتقاته قرباناً للآلهة ، وربما دخلت بعض منها في تحنيط الموتى عند الفراعنة ، وفي الشام يحرق البخور لتطهير المعابد ، وعلى سبيل المثال كان يحرق بكثرة في معبد بعل بلبنان ، أيضاً نجده مطلوباً وبكثرة في المعابد العبرانية ، فمثلاً المعبد العبري كان دوماً محبوباً عن العيون بدخان كثيف من البخور . وفي كريت القديمة (كريت أكبر جزيرة باليونان وتعتبر الحد الجنوبي لبحر إيجة) استخدم البخور وأحرق أثناء الطقوس الدينية (٩) .

وأشار (ليوكوك) إلى أنه وبحلول أزمنة الرومان كان بوسع (بليني وهو



ميناء سمهرم



بتجارتهم مصر متجهين نحو مناطق حوض البحر الأبيض المتوسط، الأخرى وصولاً إلى الأرخبيل الإيجي حيث عثر في جزيرة ديلوس (Delus) اليونانية الواقعة في بحر إيجة في منطقة مونت سنت (Mont Cynthe) على نقشين الأول هو (RES3570) لتاجر معيني ويمثل مذهباً هرمياً يعلوه مكان للقربان مكتوب بالخط المسند واللغة الأغريقية، وهو عبارة عن إهداء للإله (ود) إله معين الرئيس، يتألف من ستة أسطر قصيرة الأسطر، الثلاثة الأولى بالخط المسند وبقيّة السطر الثالث والأسطر الثلاثة الأخيرة يحتوي كل منها على كلمة يونانية ويعود تاريخه إلى ١٦٦ ق.م، ونشـر عام ١٩٣١ م. ويوجد النقش حالياً في متحف جزيرة ديلوس ونصه:

- ١- هن أ / وزي د إ ل / ذي / خ ذ ب .
 - ٢- ن ص ب / م ذ ب ح / ودم / و إ ل إ ل ت .
 - ٣- م ع ن / ب د ل ث .
- ويوجد في يمين السطر رموز بثلاثة أشكال دينية وأسفل النص المعيني نجد النص الإغريقي (ود، إله المعينيين، ود) انظر الشكل (٢) .
- والنقش الآخر هو (RES3952) وصاحبه تاجر حضرمي، ويعد بمثابة قطعة حجرية من المرمر الأبيض مكسورة إلى جزئين، تعلوها فجوتان

(المغرب العربي) بدليل أن الاسم القديم لمدينة سوسة القرطاجية كان يعرف بحضرموت، فربما كان الفينيقيون مؤسسو قرطاجة هم من أطلق على هذا المكان اسم حضرموت تيمناً بعموطن البخور حضرموت، بل مازال هذا الاسم (حتى اليوم) يطلق على أشهر وأقدم فنادق سوسة (نزل حضرموت)، ويطلق أيضاً الاسم حضرموت على شاطئ سوسة السياحي وعلى بعض المحلات التجارية، بل نجده متداولاً في المنتديات والفعاليات الثقافية عند أهل سوسة، فأثناء تواجدي في سوسة، في ديسمبر ٢٠١٢ م حصلت على دعوة مشاركة في فعالية ثقافية معنونة بـ "ملتقى حضرموت الثقافي". أما الشواهد النقشية فقد تم العثور على الكثير من النقوش والمخرشات التي كتبها تاجر حضارمة ومعينيون (١٢) وتؤكد أنهم تاجروا مع بلدان شرق المتوسط (مصر و سوريا وفلسطين) وذكروا في نقوشهم (مصر و غزة وصور و صيدا) وهذا يؤكد أن تجار العربية الجنوبية وخاصة التجار الحضارمة والمعينيون كانوا يتاجرون بالبخور ومشتقاته مع تلك البلدان وهي من السلع المطلوبة في معابدهم (١٤) . وتشير تلك الشواهد إلى أن التجار الحضارمة والمعينيون قد تعدوا

واضحاً في صناعاتهم المحلية، وأحياناً يكون التقليد بشكل متقن . كما عثر على بقايا أو كسرات من الفخار (الأواني الفخارية ذات الأذنين) المنتجة في ورشات أيلة / العقبة تألف حوالي ٨٠٪ من هذا النمط، وكانت تستخدم من أجل نقل الحبوب والزيت الآتية من بلاد الشام والمتوسط . كما عثر في محيط منطقة حريضة بحضرموت على مجموعة من الخزف السوري في القرن السابع والخامس قبل الميلاد (١٢) .

تعتبر الفترة الممتدة بين نهاية القرن الثاني والقرن الخامس للميلاد - من غير شك - فترة أوج ازدهار قنا الميناء الحضرمي القديم، وخلالها عثر على أوان فخارية من صنع إيجة، وفخار أسوان المصري وغيره، وعثر أيضاً كسرات قوارير روديسية (قوارير الخمر المستوردة)، وكسرات من أواني نبطية شديدة الأناقة ... وهكذا كانت العلاقات التجارية لقنا القديمة (الميناء الحضرمي القديم) تغطي منطقة واسعة تبدأ من شمال غرب المتوسط (أسبانيا، صقلية، إيطاليا) وحتى شرق المتوسط (مصر والشام)، ومن معثورات قنا أيضاً كسرات الأواني الفخارية ذات الأذنين والتي تعود في أصولها إلى شمال أفريقيا وربما امتدت تلك العلاقات إلى جنوب غرب المتوسط

صورة طبق الأصل من طبقة ١٩٦٥م الجزء الأول ص ٢٧٨.

(٧)- الموسوعة العربية الميسرة، ج ١، ص ٨٣٦.
(٨)- خاض هذا الملك ثلاثة حروب مع الرومان
عرفت باسمه وفيها استولى على أكثر أسيا
الصغرى وجزر بحر إيجة- عدا جزيرة رودس
أنظر الموسوعة العربية الموسعة ج ١/ص
٨٣٦، ج ١/ص ١٧٩٧.

٩) انظر: رونالد ليوكوك: وادي حـضرموت
ومدينة شبام المسورة، عدن أبريل ١٩٨٣ م،
ص ٦. وانظر: والتر مولر: الموسوعة اليمنية،
جلد ٢، مؤسسة العفيف، صنعاء ١٩٩٢ م،
ص ٧٩٣-٧٩٥.

(١٠) ليوكوك، المرجع السابق ص ٦، وسبق أن قمنا بتوضيح لفظة السعيدة وأن حضرموت تستحق أن تنعت بالعربية السعيدة .. انظر باوزير، محمد بن هاوي : ((حضرموت في المصادر الكلاسيكية)) مجلة حضرموت الثقافية، العدد (٢)، ص ٨٢-٨٤، تصدر عن مركز حضرموت للدراسات والنشر، المكلا.

(١١) للعزيد من التفاصيل عن التأثيرات الأجنبية. (أو) التأثير والتأثر) انظر: "كتاب اليمن في بلاد ملكة سبا": ألكسندر سيدوف: قنا ميناء كبير بين الهند والبحر المتوسط، ص ١٩٣-١٩٦. وأرنست ويل: الفنون في مدرسة اليونان وروما، ص ١٩٨-٢٠٢. — روكهارد فوكت وكريستيان وروبان: الوحدة الثقافية لبلاد اليمن، ص ٢٢٣-٢٢٦. وأنظر: عزة علي عقيل وجان فرانسوا بريتون: شبوة عاصمة حضرموت القديمة، ص ٧٥-٨٧، ١٥٦-

١٧٥-١٧٣، ١٥٧، ومحمد جاسم المشهداني:
تاريخ ظفار، عن ندوة ظفار عبر التاريخ... ص
٧٣-٧٢. واسمهان الجرو: دراسات في التاريخ
الحضاري القديم، دار الكتاب الحديث، ٢٠٠٣م
ص ٧٤-٧٥.

١٢) الجرو: التاريخ الحضاري ص ٨٥-٨٦.
١٣) العلاقة بين حضرموت القديمة ومعين
متينه، وقد اشتركت الاسرة الحاكمة في
حضرموت في حكم الدولة المعينية في بداية
ظهورها انظر نورة النعيم، الوضع الاقتصادي
في الجزيرة العربية في الفترة من ٣ ق م - ٣
دار الشوافن العربية السعودية ص ٣٦. ويبدو
أن هذه العلاقة استمرت بينهما من خلال قيام
الولايات المعينية في شمال الجزيرة العربية
بدور الوسيط التجاري بين حضرموت وبلدان
البحر المتوسط.

١٤) لمعرفة المزيد عن ذلك أنظر كراسات في تاريخ حضرموت، مرجع سابق، ص ١٢٥-١٢٩، والسيد رشدي: العرب في مصر قبل الإسلام، ص ٨٩-٩١، وقارن مع النقوش (RY)، (RES) (٣٦١، ٣٦٠، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨

الهوامش :

* كلية الآداب - جامعة عدن.

١) انظر النعيم، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن ٣ ق.م - ٣ م، دار الشواف، الرياض ١٩٩٢ م، ص ٣٧-٣٨.

٢) -التوراة، سفر التكوين، الإصحاح ١٠، فقرة ٢٦-٢٧.



شكل رقم (١): نقش حضرمي على حجر مكتشف في جزيرة ديلوس

لقن حضرمي علي حجر مكتشف في جزيرة ثيلوس.

ROBIN, Chr. Quelques épisodes marquants de L'histoire Sudarabique, :
dans : L'Arabie Antique de Karib'il à Mohamed, 1991-1993, p.61, fig.18.

[illegible]

شکل رقم (۲)

○△△△Ω

قراءة نقد معلمي و بالذات الإغربية على حجر مكتشف في جزيرة نابولي.

(HR)BIN.Chtr. Op.Cit. fig.17.

ʔ(Schoff.The periplus .op.cit. .chʔʔ. p.ʔʔ.
Groom. Nigel .Frakincense and Myrrh
.Astudyof The Arabian incense Trade)
Arab BackgroundSeries(London and
New York.111.p.111.

٤ إباقيقه، محمد عبد القادر . توحيد اليمـن القديم الصراع بين سبأ وحـمير وحضرموت من القرن الأول إل القرن الثالث الميلادي، ترجمة علي محمد زيد ، صنعاء ؛ ط ١ ، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم والاجتماعية، ٢٠٠٧، ص ١٦٠.

٥. المزيد من التفاصيل عن اسم حضرموت ودورها السياسي في جنوب الجزيرة العربية ، وكذا نشاطها التجاري في الداخل والخارج راجع منير عربش : معطيات جديدة حول تاريخ مملكة حضرموت القديمة من القرن ٧ ق م - ٣م ، حوليات يمنية ، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعي ، صنعاء ، ٢٠٠٣ ، ص ١٤-٧ وبوايزر ، محمد بن هاوي : كراسات في تاريخ حضرموت ، ط ١ ، دار الوفاق للدراسات والنشر ، عدن ، ص ١٧-٣٥ ، ٩١ وما بعدها .

٦) الموسوعة العربية الميسرة لمجموعة من العلماء والباحثين العرب ، اشراف محمد شفيق غربال . دار الشعب القاهرة و مؤسسة فرانكلين

مستطيلتان وثلاثة دائرية ، عليها سطران من الكتابة بالخط المسند ، وهو نقش تذكاري تركه تاجر حضرمي عبارة عن إهداء لإله حضرموت القديمة (سين ذي اليم) نشر عام ١٩٢٨ م ، ويبدو من ترجمة النقش أن الإهداء من شخص حضرمي يدعى (غلبن بن ..) النقش:

۱- غل بم / بن غل ذرم. ن

۲- ن ص ب . س ی ن / ذ ا ل م .

وختاما إن العديد من الشواهد الأثرية والنقشية تبرهن في كثير من الحالات على أن الممالك العربية الجنوبية وخصوصاً حضرموت أبعد ما تكون به عن الانغلاق ، بل كانت مفتوحة للعلاقات والتأثيرات الخارجية (التأثير والتأثر) ، وخاصة مع بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط بما فيها العالم اليوناني والروماني.

التصوير الجداري في مملكة حضرموت

مقدمة:

عرفت حضارة اليمن القديمة بصفة عامة، وحضارة حضرموت بصفة خاصة، كل أنواع الفنون، سواء كانت تشكيلية أم تطبيقية. وتشتمل الفنون التشكيلية على النحت والتصوير (الرسم) والخط، وأما الفنون التطبيقية فقد تعددت أنواعها من خرف وزجاج وأخشاب وعاج ومعادن وولود وغير ذلك. ولحسن الحظ فقد وصلنا من هذه الفنون نماذج تميزت بالإنقان والجمال، واستخدمها الفنانون وبخاصة فناني حضرموت في مجالات عديدة من عمارة وأثاث بما في ذلك الأثاث الجنائزي، وغيرها.

والحقيقة التي لا غبار عليها هي أن فنون اليمن القديمة ومنها حضرموت وإن اختلفت فيما بينها من حيث قريها للطبيعة والواقع والميل نحو الزخرفة والمثالية، فإنها كانت بطبيعتها فناً زخرفياً. ويتضح الطابع الزخرفي للفن اليمني القديم في استخدام الفنانين أنواع الزخارف من رسوم كائنات حية، ومن زخارف هندسية ونباتية، فضلاً عن الزخارف الكتابية، كما أنهم استخدموا رسم الكائنات الخرافية أو الأسطورية.

وفيما يخص الزخارف النباتية، يلاحظ أن الفنانين القدامى استخدموا عناصر زخرفية عديدة مستمدة من عالم النبات من أشجار وأوراق وأزهار وثمار، وهي عناصر شكلت فيما بعد - من وجهة نظرنا - القاعدة الأساسية والأرضية المناسبة لما عُرف في الفن الإسلامي بالأرابيسك (فن التوريق) نسبة إلى العرب (١)، أما الزخارف الهندسية فقد عرف الفنانون بشكل أكبر الأشكال المضلعة بمختلف أنواعها والدوائر، فضلاً عن الأشكال النجمية.

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على واحد من أهم الفنون التشكيلية في مملكة حضرموت وإرثها الحضاري بالاستناد إلى مشاركتنا في حفائر بعثة الآثار الفرنسية في مدينة شبوة عاصمة مملكة حضرموت وبخاصة في القصر الملكي في النصف الأول من ثمانينيات القرن الماضي، فضلاً عن المقالات العلمية التي قمنا بنشرها في عدد من الصحف والمجلات في الفترة المذكورة، علاوة على التقارير الأثرية التي أصدرتها البعثة الفرنسية.

والرومانية التي تحدثت بشيء من الإعجاب عن ممالك اليمن السعيدة، قد زودتنا هي الأخرى بمعلومات لم تسطرها النقوش اليمنية التي انحصرت محتوياتها في مضامين محدودة، فمنها تعرفنا على ازدهار الحياة الاقتصادية، وانتعاش الملاحة البحرية، والسلع التجارية اليمنية، والمرافئ القديمة، وأشياء عن العلاقات السياسية، وعواصم الممالك اليمنية... إلخ.

وقد ظلت اليمن ولفترة زمنية طويلة امتدت لعقود كثيرة منسية بالنسبة إلى الأوروبيين، اعتقاداً منهم بأنها منطقة تستوطنها الأوبئة، ويظهر أن معلوماتهم الأولية عن اليمن كان مصدرها المؤلفات الكلاسيكية التي

لقد قامت على أرض اليمن قبل الإسلام ممالك معين وسبأ وأوسان وقتبان وحضرموت وحمير، وكان من الطبيعي أن تخلف لنا آثاراً كثيرة على وجودها كشفت عنها بعثات الآثار المختلفة، وبفضل تلك الآثار أمكن لنا وللعالَم التعرف على مختلف أوجه التطور لجوانب الحياة المادية والروحية. وكانت النقوش اليمنية المكتشفة، التي تُعد المصدر الرئيس والأول لدراسة التاريخ اليمني القديم قد أُلقت الضوء على بعض تفاصيل حضارة اليمن في هذه الحقبة كالتاريخ السياسي، والعلاقات الاجتماعية، والحياة الدينية، والاقتصادية (القوانين التجارية) ... إلخ. كما أن المؤلفات الكلاسيكية اليونانية



د. محمد صالح بلعفير*

تمهيد تاريخي:

أدت اليمن كغيرها من مراكز الحضارة القديمة في العالم دوراً حيوياً وفاعلاً في بناء صرح الحضارة الإنسانية، من خلال رفدها بإسهاماتها التي غطت جوانب متعددة لا سيما الفنون.



اليمن الآخرين وأضفى على مصنفاته - وإن كان لا يخلو بعضها من المعلومات التي اختلطت فيها الحقيقة بالخرافة والأسطورة - الطابع العلمي، وقد تضمنت معطياته حقائق لا يرقى إليها الشك؛ ففي حديثه عن قصر رنام أشار إلى أنه يقع "قدام باب القصر حائط فيه بلاطة فيها صورة الشمس والهلل" (٣)، كما تحدث عن صور أخرى في قصر ناعط الذي شاهده وأعجب به أيما إعجاب، وعبر عن إعجابه بقوله: "قد نظرت بقايا مآثر اليمن وقصورها سوى غمدان فإنه لم يبق منه سوى قطعة من أسفل جدار، فلم أر مثل ناعط ومأرب وضهر" (٤)، ثم أورد في وصف قصر ناعط أشعاراً نفهم منها أن

أو المرمر قد تسرب على يد هؤلاء المستكشفين، كما أن عدداً آخر قد وصل إلى الخارج في ظل الكوارث السياسية التي منيت بها اليمن، ونعني بها الاحتلال التركي لشمالها، والاستعمار البريطاني لجنوبها، ففي ظل هذين الاحتلالين تعرضت آثار اليمن لأعمال السطو والتدمير والضياع، وتسربت بأعداد كبيرة إلى خارج اليمن، فضلاً عن اقتناء هواة العاديات من الأجانب لأعداد أخرى. وبالنظر إلى نوعية الآثار التي التقت من على أسطح المواقع الأثرية وباطنها، وبعضها كان من عواصم الممالك القديمة، فضلاً عن أعمال النيش لتلك المواقع والمدافن، تعرفنا

ترجمت بعد انحسار عصور الظلام في أوروبا، وكذلك الكتب السماوية كالتوراة التي تحدثت عن زيارة ملكة سبأ للملك سليمان، والتي أشارت أيضاً إلى معين وحضرموت. ولأهمية تلك الإشارات شرعوا في تنظيم الحملات العلمية، وكانت أولى تلك الحملات هي بعثة نيبور الدنماركية السيئة الطالع في عام ١٧٦١م، التي لم يبق من أعضائها سوى نيبور نفسه. وبعد انقضاء فترة من الزمن تمكن عدد من المغامرين والرحالة الذين عملوا في (مملكة الإمام) أو تحصلوا على إذن منه، بزيارة بعض المناطق اليمنية، من الاطلاع على بقايا الحضارة اليمنية مثل الصيدلي الفرنسي أرنود، الذي



القصر الملكي بشبوة

الصورة الجدارية فيه كانت تضم لوحات رسمت فيها السباع والوحوش تختلط بحيوانات أخرى وتنقش عليها، والعقاب والأجل وهي تنقش على الأرناب وقطعان الظباء، ومواكب الجياد وهي تسرع الخطأ بركابها (٥). كما يصف صوراً أخرى شاهدها في أحد القصور هي عبارة عن لوحات تمثل فرساناً مدججين بالسلاح، وأنواعاً من الحيوانات المفترسة كالثعالب والأسود (٦).

حفائر آثرية ورسوم زخرفية:

في عام ١٩٢٨م قامت بعثة ألمانية مؤلفة من فون فيسمان - الذي ارتبطت حياته بالدراسات اليمنية قديمها وحديثها - وكارل راتجنس بحفائرها الأثرية العلمية في معبد

على عدد من القطع التي أشارت إلى وجود فن النحت وتشكيل التماثيل البرونزية. لكن السؤال الذي يطرح نفسه بعد تلك الحفائر غير العلمية، هو هل عرفت اليمن الفن التشكيلي أو بعبارة أدق التصوير الجداري قبل الإسلام؟

معطيات تاريخية:

تعود أولى معارفنا عن التصوير الجداري في اليمن قبل الإسلام إلى علامة اليمن ومؤرخها أبي محمد الحسن بن أحمد الهمداني؛ فقد تحدث في الجزء الثامن من كتابه (الإكليل) عن قصور اليمن ومحافدها، وهي القصور التي وقف على معظمها بالمعينة والمشاهدة في القرن الرابع الهجري، وهذا ما ميّزه عن مؤرخي

تمكن في عام ١٨٤٣م من مشاهدة آثار مأرب، وفي جنوب اليمن تمكن الضابط الإنجليزي ولسن عام ١٨٣٤م من اكتشاف حصن الغراب ونقوشه في منطقة بئر علي، وهو ما عرف قديماً بقنا ميناء مملكة حضرموت. لقد كان لتلك الاكتشافات أثر كبير في تعريف الأوروبيين، وبالذات المراكز العلمية على حضارة هذه المنطقة، وبعد هذه الاكتشافات تلاحقت رحلات العلماء إلى اليمن، ونود أن نستعرض كل تلك الجهود غير أن المجال لا يتسع لذكرها هنا، وبالإمكان الرجوع إليها في مصادرها (٢).

ويجب ألا تفوتنا الإشارة إلى أن عدداً من القطع الأثرية التي تشمل النقوش والتماثيل المصنوعة من الحجر الجيري

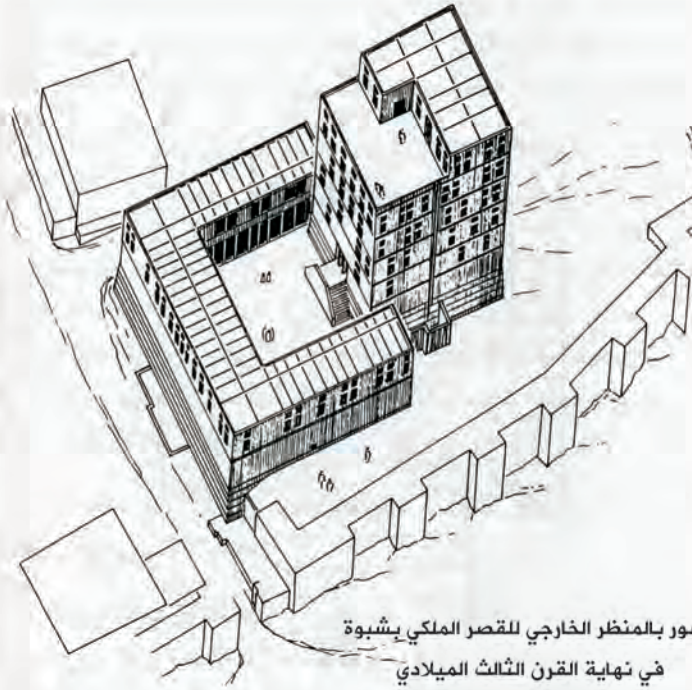


الحقة شمال صنعاء الذي يؤرخ بالعصر الميلاي، وقد عثرت البعثة على قطع كثيرة من الجص المزخرف، وكانت هذه القطع في حالة سيئة من التدمير، وبعضها القليل أمكن نقله إلى صنعاء والبعض الآخر منها يوجد حالياً في متحف برلين.

الزخرفية الزيتية في الرواق المعمد. إن القطعة الأكثر أهمية هي - مرفقة بهذه الدراسة - التي وجدت في الرواق الشرقي المسقوف، ومما لا شك فيه أنها تتعلق برسم الجدران بالزيت والأكثر ترجيحاً - كما يرى المنقبان - برسم السقف (٧).

المؤسسة الأمريكية لدراسة الإنسان التي ترأسها ويندل فيليبس من تنقيباتها في هجر كحلان (تمنع) عاصمة مملكة قتبان ببيحان في مطلع الخمسينيات ثم انتقلها إلى مأرب وظفار في الشرق (حالياً في عُمان)، ونتائج تلك البعثات لم تسفر عن اكتشاف لوحات جدارية تشير إلى أن اليمن قد عرفت فن الرسم على الجدران، وعلى الرغم من أن تلك البعثات قد عثرت على أعداد من التماثيل والنقوش والمنحوتات الأخرى كالمباخر والمذابح والأحجار الزخرفية (الديكورية)، وأدوات حفظ مساحيق الزينة، وعقود وأختام، وحلي رائعة التشكيل، تدل على وجود مهارات رفيعة في النحت، وعلى الرغم من أن تماثيل الملوك الأوسانيين التي حملها لصوص الآثار من الخرائب الأثرية في وادي مرخة - وهي معروضة في المتحف الوطني بعدن - وكذلك التماثيل البرونزية التي تتميز بدقة تشكيل التفاصيل وهي كثيرة، وتشير في مجموعها إلى أن الفنان اليمني في ذلك العصر يكتنز قدرات فنية عالية، فإن مسألة وجود رسوم جدارية كانت تثير أكثر من سؤال وتطرح أكثر من علامة استفهام. وقد ظلت الحال كذلك إلى أن كشفت بعثة الآثار الفرنسية التي أجرت حفائرها في مدينة شبوة التاريخية عاصمة مملكة حضرموت عام ١٩٨٠م لأول مرة عن تلك الحقيقة المفقودة، وأصبحت علامات الاستفهام تتبدد أمام ذلك الاكتشاف المثير المذهل.

لقد أظهرت الأنقاض التي رفعت عن أروقة بهو القصر الملكي عن لوحات زيتية جدارية، ولكنها كانت في حالة سيئة؛ إذ وجدت مختلطة بالتراب والملح والرماد، وكانت الحرائق التي التهمت القصر الملكي قد تسببت في تلفها وتشوهها، وأصبحت في حالة



تصور بالمنظر الخارجي للقصر الملكي بشبوة في نهاية القرن الثالث الميلادي

لوحات شبوة الجدارية:

لقد قدمت تلك الحفائر الأثرية التي كشفت عن الرسوم الزخرفية، كشفاً على جانب كبير من الأهمية، ولكن على الرغم من قيمة تلك الرسوم فإن السؤال عن وجود لوحات جدارية تصور البيئة اليمنية القديمة وتعكس تفاصيلها يظل علينا من حين إلى آخر، وكان عزاًؤنا أنه لن يتم الوصول إلى معرفة ذلك إلا بزيادة عدد بعثات الآثار التي بمقدورها أن تسيطر اللثام عن هذا الفن الإبداعي. فمنذ عام ١٩٣٧م وهو العام الذي وطأت فيه بعثة الدكتورة كاتون ثومبسون الإنجليزية أرض حضرموت، والتي قامت بحفائرها الأثرية بوادي عمد أحد روافد وادي حضرموت، وحتى انتهاء بعثة

إن هذه الرسوم قد أعدت على طبقة رقيقة من الجص (الملاط)، لونها رمادي فاتح، ويتراوح سمك الملاط بين ٣ و ٤ سنتيمترات. وتتكون الرسوم الزخرفية من نموذج هندسي مكون من مربعات وخطوط مزدوجة، وقد قسمت المربعات بخطوط قطرية، وفي الوسط يوجد شكل وردي يتكون من ثماني ورقات، وفي كل مربع من المربعات توجد ورقتان من الشكل الوردي نحو الخارج وهي مائلة عن بعضها البعض. وتبعد سعة كل مربع ٦ سنتيمترات، بمعنى أن أبعاد المربعات ٦×٦ سنتيمترات، كما تبعد الخطوط المزدوجة عن بعضها البعض بحوالي ٦ إلى ٧ سنتيمترات، وقد عثر على بقايا هذه الرسوم



61

العدد (6)
أكتوبر
ديسمبر
2017م

معلوماتنا وتصوّراتنا عن بعض الفنون التي كانت معروفة وسائدة في اليمن القديمة، فألى جانب فنّ نحت التماثيل والحفر على الحجر والمرمر... إلخ، أضيف فن آخر هو فن الرسم على الجدران (التصوير الجداري)، الذي سد إحدى الفجوات لأحد الفنون الإبداعية في ثقافة اليمن القديمة ولا سيما حضارة حضرموت.

إن أهمية هذا الاكتشاف لا تقف عند تمييز أشكال تلك اللوحات، بل إنها تتعدى ذلك لتُظهر القدرات الفنية والإبداعية للفنان الحضرمي، وما كان يتمتع به من ذوق فنيّ وحسّ جمالي، زيادة على أنها تُقدّم معلومات نادرة وقيمة عن تاريخ الفن في اليمن قبل الإسلام (١٣).

اكتشافات متتالية:

تلي هذا الكشف كشف آخر في موقع ريبون بأسفل وادي دوعن في حضرموت على يد البعثة اليمنية السوفيتية المشتركة، وكان الكشف الجديد قد جعلنا - على ضوء المعطيات الجديدة التي قدمها - نتساءل عما إذا كانت الرسوم الجدارية هي من نصيب القصر الملكي أو القصور الملكية الأخرى التي وصفها الهمداني، أم أن سكان المدن اليمنية الأخرى وعلى وجه الخصوص المدن الحضرمية قد عرفوها في ذلك العصر؟

يُعدّ موقع ريبون واحداً من أكبر المواقع الأثرية في حضرموت، وكان في الماضي عبارة عن مدينة عظيمة شيدت فيها القصور والمعابد الضخمة، والأهم من ذلك أن اتساع مساحة الأرض الزراعية للموقع، ووجود بقايا السدود والقنوات والحواجز المائية، يدلان على تطور منظومة الري، وازدهار الزراعة وانتعاش الحياة الاقتصادية لسكان المدينة. وكانت أعمال الحفر والتنقيب الآثريين قد قادت في الموسم الأول عام ١٩٨٣م إلى

عثر في أنقاض الرواق الغربي للقصر الملكي على عمود جيري ثماني الأضلاع ارتفاعه ٢٠ سنتيمتراً، ويعلوه تاج ارتفاعه ٤٦ سنتيمتراً، وأطرافه الجانبية مقعرة الشكل، وتشغل الزخارف ستة أضلاع بينما يخلو ضلعان منها.

وتتكون الزخارف على الأضلاع الستة من الكروم وعناقيد العنب. أما تاج العمود فهو مزين بأفريزين من الغصنيات، يحيطان بحيوان خرافي نصفه أسد ونصفه نسر، وله قرنان (أسد مجنح ذو قرنين)، وترتفع قائمته الأمامية اليمنى فوق جرة ذات عروتين،



تاج العمود الذي نحت عليه
الحيوان الخرافي الأسد المجنح

ويلاحظ أن هذا العمود وغيره من أعمدة شبيهة كانت مطلية بلون أحمر. (١١)

أما عن تاريخ تدمير القصر الملكي وإحراقه فقد كشف نقش أثري عثر عليه في مدينة المعسال (وعلان) عن أنه تم الاستيلاء على مدينة شبوة وقصرها الملكي في حوالي سنة ٢٢٠-٢٣٠ للميلاد، وبعد هذا التاريخ حرق القصر الملكي نهائياً (١٢).

وعلى أية حال فقد عمل هذا الاكتشاف عظيم الأهمية على تغيير

يصعب معها تحديد محاور موضوعاتها.

وكان أول من تصدّى لهذه الحالة السينة التي آلت إليها تلك اللوحات ريمي أودوان خبير الصيانة والترميم بالبعثة، الذي حرص على إنقاذها، واستخدم في عملية الإنقاذ أدوات قلما نجد مثيلها في غرف العمليات الجراحية، وقد مثل هذا العمل الجبار عملية جراحية معقدة وفريدة من نوعها استغرقت أياماً عديدة، لكنها أسفرت عن نتائج أثرية وتاريخية لا تُقدّر بثمن.

لقد نقلت القطع المجصّصة التي جمعت إلى فرنسا، وهناك دخلت أحدث المختبرات المزودة بالتكنولوجيا المتطورة في ميدان الصيانة والترميم، ثم وصلت إلينا لتنطلق بمحتوياتها.

ومن بين مجمل الأشكال المحترقة والباهتة للرسم، والتي تمثل شخصيات معينة، أمكن منها تمييز رسم لامرأة ترتدي ثوباً طويلاً وتمسك بساعدها الأيمن المحني خمراً من عمرة بديعة التركيب، وشخص يلجم حصاناً، ورسم لامرأة، وحيوان مائي (مسخ أو سمكة)، وكسور مختلفة من أجزاء الزينة ذات الأشكال النباتية والهندسية (٨).

وعلى الرغم من أن تلك اللوحات الجدارية الزيتية قد هشمته الحرائق فإنها احتفظت بعض الشيء بقوة ألوانها، والألوان المستخدمة في هذه اللوحات هي البني والأحمر والأسود، كما تظهر آثار اللون الأصفر والأزرق والأخضر (٩). وجميع الرسوم التي أمكن تحديد اتجاهاتها قد أعدت على لوحات ضيقة تغطي جدران الرواق الداخلية، وبلغ ارتفاعها ٨٠ سنتيمتراً وعرضها ٤٠ سنتيمتراً، وتفصل بينها دعائم خشبية (١٠).

وطالما أن الشيء بالشيء يذكر، فقد



اكتشاف معبد عثرتم (الزهرة)، الذي أعيد تاريخ بنائه إلى القرن السابع قبل الميلاد، والكشف عن تصميم المعبد، وبقياً زخارف ورسوم، كانت قد أعدت على جدرانه الداخلية. وفي موسم العام التالي ١٩٨٤م أوصل العمل نفسه إلى اكتشاف معبد ذات حميم (الشمس)، الذي وجدت في انقاضه المحترقة رسوم للوحات جدارية زيتية. لقد أدى الحريق الهائل الذي تعرض له الموقع، والتدمير الشامل لكل المباني فيه بما فيها المعابد وخاصة المعبد الأخير، إلى احتراق تلك اللوحات وتلفها. وإذا كانت لوحات شبوة قد أمكن معرفة بعض عناصر موضوعاتها، فإن لوحات ريبون ورسوماتها قد وصلت إلى حالة سيئة جداً يصعب معها تحديد محاور موضوعاتها، ولكن بغض النظر عن صعوبة معرفة أشكال الرسومات ومقاييس اللوحات الجدارية، فإن الاكتشافات الأخيرة قدمت لنا معطيات جديدة على جانب كبير من الأهمية ستوسع من غير شك من حجم معارفنا عن هذا الفن الإبداعي.

ويمكن تلخيص أهمية اكتشافات ريبون في النقاط الآتية:

١- إن تزيين جدران المعابد والقصور الملكية وربما قصور الأثرياء، كان منتشرًا على نطاق واسع، وأنه لم ينحصر في مدينة معينة كشبوة؛ حيث يوجد القصر الملكي مقر السلطة لملوك حضرموت، بل تعدى ذلك ليشمل مدناً أخرى.

٢- إن اكتشافات ريبون تجعلنا نستنتج أن سكان هذه المدينة قد عرفوا فن التصوير الجداري قبل أن تعرفه شبوة بقرون عديدة.

٣- إن انتشار فن الرسم على الجدران إلى جانب الفنون الأخرى كفن نحت التماثيل والحفر على المرمر والحجر

والعاج وتشكيل الحلي على سبيل المثال، يعكس حالة الرخاء والرفاهية التي عاشتها تلك المدن بسبب انتعاش الحياة الاقتصادية.

٤- إن انتشار الرسم الجداري قديماً، يعني اتساع دائرة التذوق الفني، وارتقاء الحس الجمالي في حضرموت في عصر ما قبل الإسلام. (١٤)

لوحات جدارية في نجد

لعله حري بنا قبل أن نأتي على تقنية لوحات شبوة الجدارية وعناصر موضوعاتها ومحاورها، أن نشير إلى اكتشاف آثاره آخر له علاقة باليمن، ولاسيما حضرموت، فقد أدت الحفائر الأثرية التي أجريت في المملكة العربية السعودية قبل ما يقرب من أربعة عقود من الزمن، في المنطقة التي تعرف حالياً بقرية الفاو، إلى الكشف عن حضارة كندة وعاصمتها (قرية)، أو كما وردت في النقوش السبئية بقرية ذات كهل عاصمة دولة كندة الحضرمية الأصل، التي نزحت إلى نجد؛ حيث استطاعت أن تكون لها في المنطقة الواقعة بين تقاطع وادي الدواسر مع جبل طويق، وبمساعدة ملوك الدولة الحميرية، دولة "تكون على غرار الدول الحجازية المعاصرة مثل دولة المناذرة التي تحجز بين القبائل البدوية ودولة الساسانيين، ومثل دولة الغساسنة التي كانت تحجز بين القبائل البدوية والدولة الحميرية ودولة الروم - بيزنطة - فكان هم كندة أن تحجز بين القبائل البدوية والدولة الحميرية في عز دارها". (١٥)

وقد ألفت تلك الحفائر الأثرية أضواء على جوانب كثيرة من حضارة دولة كندة؛ ففي مجال العمارة تم الكشف عن القصر الملكي "الذي تساقطت جدرانه الداخلية المزينة بمناظر مرسومة" (١٦). وكانت الرسوم الجدارية المكتشفة قد وجدت هي

الأخرى في حالة سيئة من التدمير، وأمكن إعادة تركيب أجزائها. وقد توصل رئيس البعثة عبدالرحمن الطيب الأنصاري في دراسته لتلك اللوحات إلى نتائج عدة تشير إلى مرور الفن العربي هناك بأربع مراحل بلغ في الأخيرة منها مستوى رفيعاً؛ حيث اشتد ساعد الفنان الكندي وثبت ألوانه ومزج بينها ونوعها فجاءت رسومه الجدارية - المعروفة بالفريسكو أو الإفريسكو -

آية في الإبداع الفني. (١٧)

وقد حملت تلك الرسوم مضامين مختلفة، عكست البيئة التي عاشها الإنسان الكندي، وفي الغالب "تتسم رسوم اللوحات بطابع محلي يتمثل في الجمل والهودج والخط المسند وغيرها من السمات العربية". (١٨)

تقنية لوحات شبوة

يذهب رئيس بعثة الآثار الفرنسية جان فرانسوا بریتون إلى أن عناصر اللوحات الزيتية الجدارية التي اكتشفت في القصر الملكي بمدينة شبوة، وتقنياتها لم تحمل الطابع المحلي اليمني البحث، وأنه قد استعين في إعدادها على رسوم جاهزة تم استيرادها من شمال الجزيرة العربية ربما من تدمر أو البتراء على سبيل المثال. (١٩)

وفي السياق نفسه يرى ريمي أودوان أن الرسوم الجدارية ليس لها مثيل في الجزيرة العربية ماعدا ما وجد في قرية الفاو. وتشابه رسوم النساء في شبوة بلباسهن الشرقي وحليهن وتصفيف الشعر والخمار التماثيل التدمرية، أما لباس الرجل مع الحصان فهو يوناني، وموضوع الصورة معروف يمثل في الأغلب ديوسكور، كما أن طريقة الرسم ومواجته للمشاهد والمواضيع المصورة معروفة ودارجة، وربما كان الرسام الذي رسمها في القصر من أصل شرقي من منطقة



63

العدد (6)
أكتوبر
ديسمبر
2017م

الثريّة. وإذا جاز لنا القول إن تقنية لوحات شبوة وإن كانت قد تأثرت بما كان موجوداً من رسوم في شمال الجزيرة العربية، فإنها قد استفادت بما استُورد من رسوم من دولة كندة الحضرمية الأصل التي أتينا على ذكرها.

ومع إيماننا بطبيعة التأثيرات التي تعرّضت لها اليمن بحكم علاقاتها التجارية مع الشعوب الأخرى وبخاصة اليونان وروما وغيرها ونلمسها على وجه الخصوص في التماثيل البرونزية وكان آخرها التمثالين العملاقين



التمثال البرونزي للملك ذمار علي يهبر

للملك ذمار علي يهبر ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة وابنه ثاران، والتي استعين في تشكيلهما بالخبرة الرومانية، كما تدل على ذلك تفاصيل التمثالين واسم الممثل الروماني الذي سجل اسمه على صدريهما، فإن الفن اليمني كانت له خصوصياته وسماته المحلية؛ حيث أبدع الفنان (الرسام) اليمني بحسّ المرهف وأفق الواسع؛ حيث جاءت تلك اللوحات معبرة عن طبيعة الحياة التي عاشها اليمنيون في عصر ما قبل الإسلام، وهذا ما يؤكده عبد الرحمن الأنصاري صاحب حفائر قرية الفاو، الذي دعا علماء تاريخ الشرق



تفريغ لوحة الرجل الذي يلجم الحصان في القصر الملكي

يعلوها خماراً، وكذلك الأمر للوحة الرجل مع الحصان فهو هلنستي الأصل من غير شك. (٢٢)

ومن جانبنا، فنحن مع تقديرنا لهذه النتائج والاستنتاجات التي تنطلق من طبيعة العلاقات الاقتصادية التي كانت تربط اليمن وبخاصة حضرموت بالدول المعاصرة لها في شمال الجزيرة العربية وخارجها (عالم اليونان وروما) فضلاً عن بلاد الشام والرافدين كما يشير إلى ذلك النقش الحضرمي الذي عثر عليه في جزيرة ديلوس في بحر إيجه والذي يعود تاريخه إلى ما قبل الميلاد حسب تقدير جاكين بيرين (٢٣)، فإننا نرى أن لوحات شبوة تتميز بطابعها الخاص - وإن كانت لا تخلو من بعض التأثير الخارجي، فإذا كانت إحدى اللوحات قد صورت رجلاً يلجم حصاناً، فإن الحضارمة قد عرّفوا قديماً بركوب الخيل وشغفهم بها وتربيتهم لها واستخدامهم لها كوسيلة للنقل وفي الحروب أيضاً كما هو حال شعوب الجزيرة العربية الأخرى؛ وإذا كانت لوحة أخرى صورت تلك المرأة التي ترتدي ثوباً طويلاً وترفع بساعدها الأيمن خماراً وتضع فوق رأسها طاقية وفي يدها اليمنى سواراً، فإن ذلك يعبر عن طبيعة حياة المرأة في حضرموت وخاصة في الأسر

البحر الأبيض المتوسط. (٢٠)

وفي هذا السياق أيضاً يرى أرنست فيل أن "ما وجد في هذا القصر من منحوتات ورسوم جدارية لا يعرف له مثيل في اليمن القديم حتى وقتنا الحاضر، وبالرغم من الحالة السيئة للرسوم فإنها تعطينا تصور لما كان عليه القصر في فترة وجوده أي حوالي القرن الثالث الميلادي، وتقدم صورة ملموسة للتمازج بين الفنون الشرقية واليونانية وبأوسع معنى لهذه العبارة" (٢١)، ومن وجهة نظره أن رسوم شبوة الجدارية يوجد نظير لها في بلاد الشام والرافدين وبخاصة تصفيف شعر النساء (الكوفية التي



المرأة التي ترفع خماراً



لوحة لامرأة من القصر الملكي بشبوة



حطام التمثالين البرونزيين للملك ذمار علي يهبر وأبنه ثاران

القديم وآثاره إلى إعادة النظر في دراسة فنون هذه المنطقة من الجزيرة العربية، وإعادة التفكير - على وجه الخصوص - في رسوم القصور الأموية في بادية الشام، ففي اعتقاده أن اللوحات الجدارية الرائعة بهذه القصور لا ترتبط بالفن البيزنطي، بل هي مستوحاة من لوحات كتلك التي عثر عليها في قصر (قرية) ويرجع تاريخها إلى القرون الأولى للميلاد. (٢٤)

الخلاصة:

• إن لوحات القصر الملكي بشبوة قد عرّفنا على واحد من الفنون المهمة التي أبدع فيها الفنان الحضرمي على غرار ما كان موجوداً في حضارات اليمن القديمة الأخرى، والأكثر من ذلك أنها غطت مكامن النقص في فن التصوير سواء كان جدارياً أم أرضياً؛ باعتباره أحد الفنون التشكيلية في حضارة حضرموت. • إن هذه اللوحات - على قلتها - تتميز بكثرة التفاصيل الزخرفية، ودقتها للرسوم الأدمية والحيوانية. • إن استعارة الفن الحضرمي القديم من فنون الحضارات الأخرى وبخاصة الأجنبية لا يعني بأية حال من الأحوال استيرادها من مصادرها، وإنما يعني تقبلها وتطويعها من خلال إدخال

العناصر المحلية.

• إن حضارة حضرموت كحضارات اليمن القديمة قد تأثرت بالحضارات الأخرى، وأصبح هذا التأثير أمراً مفروغاً منه بحكم الصلات التجارية القوية التي كانت تربط اليمن بصفة عامة، وحضرموت بصفة خاصة بحضارات الشرق وحوض البحر الأبيض المتوسط. ولسنا بحاجة هنا للتدليل على ذلك، فمؤلفات الرحالة والكتّاب الكلاسيكيين اليونان والرومان قد تحدثت عن ذلك الاتصال، كما أن نتائج بعثات الآثار أكدت هي الأخرى صحة التأثيرات التي جاءت كانعكاس طبيعي للعلاقات الاقتصادية والتبادل التجاري القائم آنذاك.

الهوامش:

* كلية الأداب - جامعة عدن

١- الباشا، حسن: مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، مطبعة الفتح التجارية، القاهرة، بدون تاريخ، ٢٤٢.

٢- لمزيد من التفاصيل ينظر: بافقيه، محمد عبد القادر: تاريخ اليمن القديم، بيروت، عدة طبعات؛ الحداد، محمد يحيى: تاريخ اليمن السياسي، عدة طبعات.

٣- كتاب الإكليل، تحقيق: نبيه أمين فارس، ج٨، ص ٦٦.

٤- المصدر نفسه والجزء، ص ٣٤.

٥- نفسه، ص ٣٦.

٦- ينظر مجلة الإكليل، تصدرها وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، السنة الأولى، العدد الأول، يناير ١٩٨٠م، ص ٢١.

٧- نتقدم بشكرنا إلى السيد جان فرانسوا بریتون رئيس بعثة الآثار الفرنسية في شبوة في ثمانينات القرن الماضي الذي تفضل بترجمة خلاصة هذا الكشف من اللغة الألمانية إلى اللغة الإنجليزية.

٨- كتيب نتيجة حفريات شبوة لعامي ١٩٨١-١٩٨٠م، طبع باللغتين العربية والفرنسية، عدن، ١٩٨١م.

٩- ريمي أو دوان: "النحت والرسوم في قصر شبوة الملكي"، في كتاب: شبوة عاصمة حضرموت القديمة (نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية)، إعداد: جان فرانسوا بریتون وعزة علي عقيل، الناشر: المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٦٦م، ص ٧٩.

١٠- المرجع نفسه والصفحة.

١١- المرجع نفسه والصفحة.

١٢- كتيب نتيجة حفريات شبوة لعامي ١٩٨٠-١٩٨١م.

١٣- بلعفير، محمد صالح: مقال: تاريخ الفن التشكيلي في اليمن (الرسم التشكيلي في اليمن قبل الإسلام) صحيفة ١٤ أكتوبر، ٨ / ٩ / ١٩٨٣م.

١٤- بلعفير، محمد صالح: معطيات جديدة عن تاريخ الفن التشكيلي في اليمن، صحيفة ١٤ أكتوبر، ٨ / ٣ / ١٩٨٤م.

١٥- يوسف محمد عبد الله: كندة في دهرها الأول، مجلة اليمن الجديد، صنعاء، يناير- فبراير ١٩٨٥م، ص ٦٨.

١٦- ينظر مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٣٨، أبريل ١٩٨٤م، ص ٢٠٩.

١٧- المرجع نفسه، ص ٢١١-٢١٢.

١٨- نفسه، ص ٢١٢.

١٩- خلاصة حوار أجريناه معه عام ١٩٨٢م.

٢٠- في كتاب شبوة عاصمة حضرموت القديمة، ص ٨٣-٨٤.

٢١- المرجع نفسه، ص ٨٥.

٢٢- نفسه، ص ٨٦.

٢٣- ينظر: حـولية ريدان، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، العدد الأول، ١٩٧٨م، ص ٧٤.

٢٤- ينظر: مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، مرجع سابق، ص ٢١٢.



ظاهرة دفن الجمال في حضرموت قبل الإسلام



يتطرق هذا البحث إلى ظاهرة دفن الجمال في مملكة حضرموت القديمة قبل الإسلام، وذلك من خلال نتائج البعثات الأثرية التي كشفت عن عدد من قبور الجمال في بعض مناطق هضبة وادي حضرموت، إلى جانب تطرق البحث إلى طرق الدفن وأنواع المدافن، وتناول نقوش المسند الجنائزية المتعلقة بدفن الجمال في حضرموت، وسبق ذلك مبحث تتبّعنا فيه تاريخ الجمل العربي وحيد السنام والأماكن المرجحة لتدجينه من خلال البقايا المادية الدالة عليه في آثار جنوب الجزيرة العربية بصفة عامة، وأهمها بقايا عظام جمال تم العثور عليها في أماكن مختلفة من الجزيرة العربية.

أولاً: تاريخ الجمل العربي وحيد السنام (Dromedry):

تنتمي الإبل إلى الحيوانات الثديية المجترّة، وتشكّل مع حيوان اللاما الأمريكي (Auchenia Lama) عائلة واحدة تعرف باسم (Camelidae). وعُرف نوعان من الإبل، أحدهما بسنام واحد يعرف بالجمل العربي (Dromedry/Camelus) والآخر بسنامين، ويعرف بالجمل البكري (Dromedarius Bactrian). وكان الجمل البكري نسبة إلى منطقة (Bactria)، الواقعة في أواسط آسيا، التي كانت تضم شمال أفغانستان وقسمًا من جمهورية آسيا الوسطى، وكانت عاصمتها (Bactra) (خريطة رقم ١). وقد أثبتت دراسة المتحجرات أن كلا منهما انحدر من سلف بري عاش في شمال أمريكا، ثم هاجر خلال العصور الجليدية إلى قارة آسيا عبر مضائق بورنغ الواقعة بين أمريكا وآسيا بعد تجمّد مياهها بسبب الزحف الجليدي (الهاشمي، ١٩٧٨: ١٨٨-١٨٩). وتابعت الإبل توغّلها وانتشارها حتى وصلت إلى منطقة غرب آسيا وشمال أفريقيا، فاستقرّ الجمل ذو السنامين في أواسط آسيا فيما أكمل الجمل ذو السنام رحلته التي انتهت كما يبدو في الجنوب الغربي من أرض

بل حل الجمل محل الدرهم والدينار في مناسبات عدة، فكانت مهوور الفتيات وديات القتلى في حروب العرب قبل الإسلام مثلاً. تقدّر بعدد من الجمال أو النوق، لذلك ميّز العرب هذا الحيوان باهتمام خاص لدرجة أنهم كانوا يقومون بدفن الجمال والنوق في مقابر كمقابرهم ومن خلال طقوس ربما تشبه طقوس الدفن الآدمية؛ حيث عرفت عادة دفن الجمال والخيل في بقاع كثيرة من شبه جزيرة العرب ومنها منطقة حضرموت.

يتطرق هذا البحث إلى ظاهرة دفن الجمال في مملكة حضرموت القديمة، في مبحثين: الأول: يتناول تاريخ الجمل العربي وحيد السنام وعملية تدجينه من خلال البقايا المادية الدالة عليه في آثار جنوب الجزيرة العربية بصفة عامة، وأهمها البقايا العظمية للجمل التي تم العثور عليها في مناطق مختلفة من المنطقة، وتطرق المبحث الثاني: إلى ظاهرة دفن الجمال من خلال نتائج البعثات الأثرية التي كشفت عن عدد من قبور الجمال في مناطق متفرقة من هضبة وادي حضرموت، إلى جانب التطرق إلى طقوس الدفن وأنواع المدافن، ونقوش المسند الجنائزية المتعلقة بدفن الجمال في حضرموت.



د. محمد عوض باعليان*

الجمل، بفتح الجيم والميم، هو الذكر من الإبل، وقيل إنما يكون جملاً إذا أربع أو إذا أذع، وقيل إذا بزل أو إذا أثني، والجمع أجمال وجمال (ابن سيده، ١٩٩٦: ٢ / ١٣٧)، كما ورد جمعها على جمالات في قوله تعالى: "جمالات صفر"، والجمال هو قطع الإبل مع رعيانها وأربابها كالبحر والباقر (ابن منظور، د.ت: ٦٨٣).

شكّلت الجمال والنوق عماد الاقتصاد العربي، واعتمد عليها سكان الصحراء في حياتهم، لهذا زاد الاهتمام بها حتى أضحت جزيرة العرب المركز الرئيس لتربية الإبل في العالم منذ القدم (حتى، ١٩٩١: ٢١). وصارت الجمال مصدراً عظيماً من مصادر الثروة في العصر الجاهلي، فسميت جموعها بـ (المال)، فكانت ثروة العربي تقدّر بعدد ما يملكه من الجمال والنوق،



خريطة رقم ١: توضيح الموطن الأصلي للجمل ذي السنامين

الآن دليل يدعم معرفة الجمل الهجين (Uerpmann, ١٩٩٩: ١١٥).

١- تدجين الجمل العربي:

بقيت مسألة تعيين الزمان والمكان الذي دُجّن فيه الجمل وحيد السنام مثار جدل ونقاش متصل بين المؤرخين وعلماء الآثار الحيوانية، ونتج عن ذلك نشر العديد من الدراسات (١) التي تعرضت لنتائج الأبحاث الأثرية والبقايا العظمية، إلى جانب إعادة بناء البيئة القديمة للمنطقة. وفي خضم ذلك، توصل الباحثون إلى فرضية تقول إن الجمل دُجّن في مكان ما من جزيرة العرب في وقت مبكر من الألف الثالث ق.م (Vogt, ١٩٩٤: ٢٧٩).

والحقيقة، إن المعطيات الأثرية تؤيد هذه الفرضية، ففي ضوء اتفاق الدارسين على أن الجمال العربية المدجّنة يعود أصلها إلى سلف برّي عاش في المنطقة قبل بزوغ الألف الثالث ق.م، أكدت التقارير الأثرية على أن أقدم البقايا المادية والفنية الدالة على الجمل العربي بصورته البرية اكتشفت في منطقة جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، ومنها الرسوم الصخرية والبقايا العظمية (Grigson et al, ١٩٨٩: ٣٥٩-٣٦٠). أما بقية الشواهد الأثرية المتعلقة بالجمال في المنطقة العربية فتعود لجمال مدجّنة. ففي هذا السياق، توصل الباحثون عبر عمليات التنقيب الأثري إلى كم من البيانات يؤيد أن جنوب غرب جزيرة العرب هي الموطن

لما بين (٢٢٠٠-٢٠٠ ق.م) (Potts, ١٩٩٣: ٥٩١)، كما عثر المنقبون على بقايا عظام في قبور موقع مليحة في إمارة الشارقة يرجح أنها تنتمي لهذه الفصيلة نفسها (Uerpmann, ١٩٩٩: ١١٢). وفي اليمن لا يوجد دليل حتى الآن على معرفة هذه الفصيلة من الجمال، عدا العثور على تمثال من الطين المحروق (مجهول المصدر) تم شراؤه في صنعاء ربما يمثل جملاً بسنامين. أما النوع الثالث؛ فهو جمل هجين، يمتاز بأنه أقوى وأسرع وأكبر حجماً من النوعين السابقين، ويرجح أنه استخدم أكثر من غيره من الجمال في نقل البضائع لمسافات طويلة، ويرى العلماء أن هذا الجمل هجين بين الجمل ذي السنام والجمال ذي السنامين، وربما هذا ما يفسر معرفته في المصادر العربية باسم البخت أو البختي، وهي لفظة قريبة من لفظ (باكت = باكثري/Bactrian) الدالة على الجمل ذي السنامين، وقد عثر في مقابر مليحة على (٣) هياكل عظمية لجمال هجينة كبيرة الحجم، وهو ما ذهب ببعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن جنوب شرق الجزيرة العربية ربما يكون أحد الأماكن التي دُجّن فيها الجمال الهجينة إلى جانب إيران وتركيا وأفغانستان وتركمانستان (Daems, ١٩٩٩: ١٠٨-١١١; Uerpmann, ٢٠٠٤: ٢٣٥). ويبدو أن هذا النوع من الجمال لم ينتشر في سائر بلاد العرب، ولم يستخدم طويلاً بدليل عدم وجوده في المنطقة حالياً، وفي اليمن لم يظهر حتى

العرب، وقد تأقلمت الإبل مع مناخ المناطق الجديدة التي وصلت إليها، وبمرور الزمن اكتسب كل من الجمل (العربي والباكثري) صفات جسمانية تناسب البيئة التي عاش فيها، فجاء التركيب البيولوجي للجمل العربي ومواصفاته الجسمانية متناسبة مع مناخ الصحراء الجاف، بينما عاش الجمل ذو السنامين وتكيف مع المناخ البارد في أواسط آسيا.

ترجع أقدم البقايا الدالة على الجمل في المنطقة العربية إلى عصر البلايستوسين؛ حيث عثر على حفريات أو متحجرات في الجزائر وفلسطين تبين أنها تخص الجمل بنوعية (العربي والباكثري)، وقد دلت إلى جانب بعض الآثار من مناطق أخرى كالصين على أن الجمل لم يك صحراوياً في تلك الحقبة، بدليل الكشف عن بقاياه مع متحجرات للفيل والجاموس والغزال في الطبقة الأثرية نفسها، والأهم من ذلك أن تلك المتحجرات أشارت إلى أن الإبل كانت آنذاك برية وليست مدجّنة (الهاشمي, ١٩٧٨: ١٩٧٨).

عرف العرب ثلاثة أنواع من الجمال، هي: جمل ذو سنام واحد وهو عربي محلي (Dromedary) تعود أصوله إلى بلاد العرب، وعرف منه صنفان: أحدهما؛ للرکوب، والآخر؛ للحمل، وهو حيوان متكيف تماماً للعيش في مناخ الصحراء، ويتصف بخف مستدير مناسب للسير فوق الرمال ووبر قصير وقوائم طويلة تجعل ارتفاعه يفوق المترين، وشاع استخدامه على نطاق واسع من منغوليا وشمال غرب الهند حتى جنوب أواسط آسيا وآسيا الصغرى وصولاً إلى شمال وشرق أفريقيا وبعض مناطق أسبانيا (الهاشمي, ١٩٧٨: ١٨٩). والنوع الثاني؛ جمل ذو سنامين يعرف بـ (Bactrian)، وهو دخيل قدم من جنوب تركمانستان، ويتميز بحجم أصغر مقارنة بالجمال العربي، ولكنه أسرع عدواً وذو وبر طويل وارتفاعه لا يتعدى المترين (الهاشمي, ١٩٧٨: ١٩٣؛ ابن سبيد, ١٩٩٦: ١٦٣)، وقد أكدت الحفريات الأثرية معرفة النوع الثاني من الجمال في جنوب شرق الجزيرة العربية؛ حيث عثر في موقع تل أبرق في الإمارات العربية المتحدة على مشط مصنوع من عظمة جمل من فصيلة (Bactrian) تؤرخ



مختلفة (الهاشمي، ١٩٧٨: ١٩٩-٢٠١).

الاتجاه الثاني: الذي سلكه الجمل العربي كان نحو أفريقيا؛ إذ يتفق الدارسون على أن الجمل المدجن انتقل إلى أفريقيا من جنوب الجزيرة العربية (Shaw et al، ١٩٩٣: ٦٦). ويحتمل أن عملية الانتقال تلك تمت عبر شبه جزيرة سيناء، أو ربما سلك الجمل ذات الطريق التي سلكتها الحيوانات المدجنة والدخيلة على جنوب بلاد العرب، ومنها الحمار (بأعليان، ٢٠١٢: ٤٥٠)، الذي انتقل في وقت سابق من القرن الأفريقي (الصومال) إلى العربية الجنوبية خلال الألف الخامس ق.م (رشاد، ٢٠٠٧: ١٠٥).

من جانب آخر، ربط كثير من الباحثين بين تدجين الجمل والبداية الحقيقية لاستخدام القوافل البرية في التجارة، ومنهم (Albright.W.F) و (De Maigret. A) الذين طرحوا فرضية أن تاريخ تدجين الجمل العربي حدث بين القرن الثاني عشر إلى الحادي عشر إلى العاشر ق.م، وذلك اعتماداً على حجج لغوية، منها: أن اسم الجمل لم يعرف في نصوص ماري أو في اللغة السومرية والأكدية وبقية لغات الشرق الأدنى القديم بما في ذلك الكتابة التصويرية السيناوية قبل ذلك التاريخ (De Maigret، ١٩٩٨: ٢٢١). بينما يذهب (Michal Artzy) ببداية استئناس الجمل إلى مرحلة العصر البرونزي المتأخر في حدود منتصف الألف الثاني ق.م وربما أقدم (١٣٥-١٣٤: ١٩٩٤ Artzy)، وذلك بناءً على نتائج حفريات تل نامي في جنوب حيفا بفلسطين، الذي يرجع تاريخه إلى نهاية القرن الرابع عشر ق.م؛ حيث عُثر هناك على عينات من المر واللبن ضمن ركام الموقع (تل نامي) تبين أنها من النوع الذي كان يستورد من العربية الجنوبية بواسطة القوافل إلى الموانئ الشرقية للبحر الأبيض المتوسط، كما تم العثور في الموقع نفسه على كمية من المباخر المصنوعة من البرونز والفخار (١٣٩-١٣٣: ١٩٩٤ Artzy)، إلى جانب ما قدمته الباحثة (Paula Wapnish) التي عملت في تل الجيمة (Jemmeh) على الساحل الجنوبي لفلسطين، ولاحظت

أم النار في عمان، التي كشف فيها عن بقايا عظام جمال أرخت بنحو الألف الثالث ق.م، وفي تل أبرق بالإمارات العربية عثر على قبور جمال أرخت بين (٩٠٠-٨٠٠ ق.م)، وضمت هياكل عظمية لجمال وحيدة السنم يرجح أنها مدجنة (٢٧٩: ١٩٩٤ Vogt). من هناك، يبدو أن الجمل وصل إلى سورية وبلاد الرافدين - ربما مع الهجرة الأكادية من الجنوب خلال الألف الثاني - خاصة وأن فريقاً من الدارسين يرى أن الجمل العربي قدم إلى العراق وبداية الشام من السواحل الجنوبية الشرقية للجزيرة العربية، وذلك استناداً إلى بعض الإشارات اللغوية المسمارية العائدة إلى نهاية الألف الثالث ومطلع الألف الثاني ق.م، منها أن أهل العراق القدماء أطلقوا على الجمل اسم (حمار البحر) في إشارة إلى الصحراء أو الخليج (الهاشمي، ١٩٧٨: ١٢٣). إضافة إلى ذلك، وصف السومريون الجمل ذا السنمين عندما شاهدوه لأول مرة بأنه (ذو حديتين) و(أجنبي) أي قادم من الخارج، في إشارة إلى معرفتهم المسبقة للجمل العربي (ذي السنم). وهناك نص سومري يؤكد أن الجمل البكتري عرف مدجناً وهو ما يشير إلى أن الجمل العربي - الذي عرفوه في الفترة نفسها أو قبلها بقليل - يفترض أنه وصل إليهم بعد تدجينه (الهاشمي، ١٩٧٨: ٢١٤).

من ناحية أخرى، تشير بعض المعطيات اللغوية أيضاً إلى أن الجمل وصل أولاً إلى بادية الشام، ومن ثم انتقل إلى العراق ومنه إلى مناطق أخرى (٣)، ومنها أن لفظة (جملو) (كملو) في اللغة الأكادية إنما وردت إليها من العرب الذين كانوا يشككون معظم سكان بادية الشام، وكان الجمل هو وسيلة النقل والركوب الأساسية لديهم (الحمد، ٢٠٠٢: ٤٥٠)، كما أشارت الوثائق السومرية إلى البوادي الشمالية للجزيرة العربية كمناطق قدم منها الجمل (٢٣٥: ٢٠٠٤ Daems)، أضف إلى ذلك، وجود شواهد أثرية عدة من الهلال الخصيب عكست طبيعة العلاقة بين عرب بادية الشام والآشوريين، مثل بعض المنحوتات من عهد تجلات بلاسر الثالث (٧٢٧-٧٤٤ ق.م)، التي صورت العرب مع جمالهم في مناسبات عسكرية ومدنية

المرجح الذي عاش فيه السلف البري للجمل العربي قبل تدجينه، ولعل أبرز تلك الحفريات هو ما نفذته البعثة الأمريكية السعودية عام ١٩٨٠م على السواحل الجنوبية للبحر الأحمر في موقع سيحي الواقع على بعد (٥٠) كم جنوب جيزان (خريطة رقم ٢)، حيث عثر هناك على بقايا عظمية لجمال - بعضها متفحم - ويتمثل أهمها في عظم من فك جمل تم فحصه براديو كربون (Radiocarbon) وخضع للمعايرة (٢) (calibrated date)، وأرخ ما بين (٦٩٠-٦٦٠ ق.م) (Grigson et al، ١٩٨٩: ٣٥٨-٣٦٠)، ولكن العلماء واجهوا صعوبة في تحديد ما إذا كان ذلك الفك لجمل بسنام واحد أو بسنامين، نظراً لاستحالة التفريق بين النوعين من خلال الفحص الكيميائي للعظام، غير أن الخارطة الجغرافية للحيوان (zoogeographical) تُرجح أنه جمل وحيد السنم، وربما يكون وحشياً غير مستأنس لاسيما وأن دراسات الرسوم الصخرية في جنوب الجزيرة أكدت وجود الجمل البري وحيد السنم منذ وقت مبكر من الألف الثالث ق.م، ومنها رسم صخري عثر عليه على بعد حوالي (٣٠ كم) شمال بئر حمى الواقعة على بعد (٧٥ كم) شمال نجران، يوضح عملية صيد جمل عربي، وربما يعد هذا الرسم من أقدم الشواهد المصورة على وجود الجمل البري في جزيرة العرب، ويؤكد فرضية أن الجمل وحيد السنم عرف في هذه المنطقة في حالته البرية قبل أن يدجن، وفي وقت يسبق زمن معرفة الجمل المستأنس خارج جزيرة العرب في إشارة إلى فرضية تدجين الجمل في بلاد العرب لأول مرة قبل انتشاره خارج حدود المنطقة (الحداد، ١٩٩٢: ٤٤-٤٥). وبناءً على ما تقدم، فإننا نفترض أن الجمل العربي انتشر بعد تدجينه في جنوب الجزيرة العربية إلى بقاع الجزيرة الأخرى عبر اتجاهين. ينظر (بأعليان، ٢٠١٢: ٤٤) هما:

الاتجاه الأول: نحو الشرق - ربما بمحاذاة الساحل الجنوبي - حتى وصل إلى السواحل الشرقية من الجزيرة العربية، حيث عثر هناك على بقايا عظمية لجمال في مواقع عدة على سواحل الخليج العربي مثل موقع



وجود عظام جمال عربية مدجّنة تعود لفترة عصر البرونز المتأخر بين القرنين الرابع عشر والثالث عشر ق.م (Artzy, 1994: 130).

من جانب آخر، يشير السجل الأثري لجنوب الجزيرة العربية إلى وجود مجموعة عظمية لجمال ضمن مجموعات العصر الحديدي في مواقع صيهد مثل الجوبه وهجر التمرة والريحاني، تراوحت نسبتها ما بين (٢-٥٠٪) من مجموعة عظام الحيوانات المكتشفة، وهي نسبة متواضعة وتقارب نسبة عظام الجمال المكتشفة في المواقع الواقعة عند الطرف الشمالي لطرق القوافل مثل تل الجيمة وتل نامي.

ثانياً: ظاهرة دفن الجمال:

عرف العرب ظاهرة دفن الإبل منذ القدم، فكان من المألوف العثور عن بقايا حيوانات مختلفة كالجمال مع الدفونات البشريّة ضمن قبور واحد في الجزيرة العربية (الحسيني، ٢٠٠٩: ٩٠-٩١؛ Blau et Beech, 1999: ٩١). ويعتقد البعض أن تقليد دفن الإبل لم يمارس خارج نطاق الجزيرة العربية سوى في مكان واحد فقط هو السودان ضمن حضارة مروي، التي توافرت الأدلة الأثرية مؤخراً على ممارسة أهلها لتلك الظاهرة (سيدوف، ١٩٩٩: ٢١٥). ومع ذلك عُثر في فلسطين وسوريا على أسنان وعظام جمال أرخت بمنتصف عصر البرونز المبكر، وترى بعض الدراسات أنها ارتبطت بممارسات جنائزية.

ويرى بعض الدارسين أن عادة دفن الجمال لم تقدر زمنياً بدقة، ففي موقع مليحة وتل أبرق وأم النار جنوب شرق أبوظبي، وفي تل هيلي في سلطنة عمان كشف الأثريون عن قبور جمال أرخت بصفة عامة بحوالي منتصف الألف الثالث ق.م. (Grigson et al., 1989: 360; Vogt, 1994: 280)، فيما يرى البعض أن هذه الظاهرة انتشرت تدريجياً على طول السواحل الجنوبية والشرقية لجزيرة العرب ففي الألف الأول ق.م. (Breton, 1998: 104)، إذ أفضت الحفريات الأثرية في عدد من المواقع هناك إلى الكشف عما يقارب (٥٠) قبراً عُثر فيها على عظام جمال

رجح الباحثون أن تكون من ذات السنام الواحد (رشاد، ٢٠٠٧: ١٠٥)، ومنها عدد (٢٧-٢٥) قبراً توزعت على مواقع في الإمارات العربية المتحدة والبحرين وقطر وعمان والمملكة العربية السعودية ترجع إلى ما بين القرن الثالث ق.م إلى القرن الأول م. (Daems, 1994: 280; Vogt, 1994: 235).

وفي فترة لاحقة كشف عن قبور جمال في قرية الفاو تعود للقرن الثاني الميلادي أو بعده بقليل في إشارة إلى استمرار تلك العادة لقرون بسعد الميلاد (الحسيني، ٢٠٠٩: ٩٠)، كما تم الكشف عن ما يقارب (٣٠) قبراً تخص الجمال

العبية (B20-B17) ضمت بين جنباتها أربعة هياكل عظمية مكتملة لجمال دفنت في وضع (البروك) الطبيعي داخل قبور مستطيلة غُطيت ببلاطات من الحجر (باعليان، ٢٠١٢: ٢٠٨٣). أما عن جنس الإبل المدفونة، فقد كانت للنوق والجمال معاً، خاصة في مليحة وموقع الدور التي تم التأكد من احتوائها على قبر ناقتين، بينما لم يتسنّ تحديد جنس الإبل المدفونة في حضرموت (Uerpmann, 1999: 102; Daems, 2004: 235; 118).

تدل هذه الظاهرة على أن الجمال كان يحظى بمكانة خاصة في الحياة الدينية نظراً لارتباط تقليد الدفن بصفة عامة في



صورة رقم ١: قبر جمل في ريبون
المصدر: د / عبدالعزيز جعفر بن عقيل

حضارات الشرق القديم بالعقائد الروحية ومنها البعث والخلود، ولا بد أن عمليات الدفن كانت مقترنة بطقوس معينة لم تتضح طبيعتها بعد، ففيما يتعلق بكتابات المسند، فإنها لم تبسّح بتفاصيل حول الطقوس الجنائزية عموماً ودفن الإبل على وجه الخصوص (باعليان، ٢٠١٢: ٨٧). باستثناء بعض الإشارات الدالة على دفن الحيوانات التي وردت في بعض النقوش المزبورة على النصب مثل لفظة (ب ل و ت)، التي يعد ذكرها على شواهد القبور دلالة على وجود دفنه حيوانية مع الدفنة الآدمية (الحسيني، ٢٠٠٩: ٢٠٨٣؛ جدول ٤)، أما النقوش الجنائزية الحيوانية فهي نادرة، وأهمها يتمثل في نص حضرمي يصف عملية بناء قبر لأحد الجمال، عثرت عليه البعثة الروسية اليمنية

توزعت على مواقع في حضرموت والمهرة والجوف (Breton, 1998: 104; Frantsouzzoff, 2003: 256)، ففي حضرموت كشفت البعثة الروسية في ثمانينيات القرن الماضي في ريبون عن سبعة هياكل عظمية مكتملة لجمال، إضافة إلى قبرين في السوط (الجول) هما عذبية (٩) وعذبية (١١)، إلى جانب الكشف عن قبرين في موقع (مقد سامر ١٦) بوادي عرفة ضمت ثلاثة هياكل عظمية تخص جمال اثنان منها في قبر واحد، وأرخت جميعها بين القرون الثلاثة ق.م وبداية العصر الميلادي (Vogt, 1993: 2; Vogt, 1994: 281; 3). وفي وادي عرفة أيضاً، كشف فريق مشترك من المعهد الألماني للآثار وهيئة الآثار اليمنية فرع حضرموت عن أربعة قبور في موقع (مقد



نرى أن طريقة وأوضاع دفن الجمال توحى بأنها ذبحت وفقاً لطقس جنازتي مشابه للطقس المتبع في دفن الأشخاص مع الاختلاف في الطريقة بين الطقسين، ويرجح أن ذلك نابـع من المكانة التي احتلتها الإبل في حياة مجتمع الجزيرة العربية؛ حيث ارتبط هذا الحيوان بحياة العربي وأصبح جزءاً منها، وبالتالي نال الجمل حظوة في قلب صاحبه كأنه جزء من أفراد أسرته، لهذا تمّ دفنه بطريقة تشبه ما يتبع في دفن آدميين (بإعلان، ٢٠١٢ : ٨٤)، فكان الجمل يوضع في القبر وفق طقس متعارف عليه، ويودع معه أثاث جنازتي متعلق به مثل الأدوات الخاصة بالذبح كالسيوف والشفرات والسكاكين وربما قتب الجمل، ولكن الأخير لم يثبت وجوده ربما بسبب سرعة تحلل المواد التي كان يصنع منها وكانت تتكون عادةً من الخشب والجلد (Vogt، ١٩٩٤: ٢٨٥-٢٨٧)، ويوحى سياق بعض نصوص المسند بأن الحيوان كان يحسب ضمن المتاع الجنازتي للمتوفى؛ إذ يبدو أنهم كانوا يذبحون الناقة بعد وفاة صاحبها ويودعونها في قبره ضمن الأثاث الجنازتي للميت، وهو ما ذهب إليه (Sedov، A) في تعليقه على قبر الركبة في حضرموت؛ حيث يرى أن الإبل المذبوحة تمثل نمطاً من أنماط الأثاث الجنازتي للميت؛ إذ كانت جمال المحاريين تُنحر بعد موتهم مباشرة، وربما تدفن معهم في قبر واحد تكريماً لأصحابها وتلافياً لعدم وقوعها في يد غيرهم (سيدوف، ١٩٩٩: ٢١٥). وفي سياق ذي صلة وردت رواية عن المؤرخ محمد بن حبيب صاحب مؤلف (كتاب المحبر) يقول فيها: "وكان الرجل إذا مات عمدوا إلى راحلته التي ركبها فيوقفونها على قبره معكوسة رأسها إلى يديها، ملفوفة الرأس... فلا تلعف ولا تسقى حتى تموت، ليركبها إذا خرج من قبره" حتى لا يحشر ماشياً على رجليه" (ابن حبيب، د.ت: ٣٢٣).

١- طقوس الدفن:

افترض الدارسون أن عملية دفن الجمال كانت تتم بإحدى طريقتين؛ إما أن يجلب الجمل إلى جوار القبر وتتم عرقبته (قطع عراقيه) ومن ثمّ نحره ووضعه في القبر (سيدوف، ١٩٩٩: ٢١٥)، وإما أن يتم إرغام

ويهدف في الأساس إلى إطعام الناس الذين يحضرون مراسم الدفن، ويرجح بعض الباحثين أن الأصل في هذه العادة هو إكرام الميت، فكأنما زادت منزلة المتوفى كثرت الذبائح عند موته، ويمرور الزمن استعاض الناس عن الإبل ببقية الماشية كالغنم والبقر وذلك كما يبدو لقلة أعداد الإبل وغلاء أثمانها، وأصبح من الشائع أن ذبح الجمال دليل على عظم المناسبة (بإعلان، ٢٠١٢: ٨٤).



صورة رقم ٢: هيكل جمل
مكان العثور: ريبون قبر رقم ١٥
التاريخ: القرن الثاني
المصدر: Sedov, ١٩٩٦/٢٠١٢٧, fig. ٦

وقد قارن (Henninger) بين القرابين الحيوانية التي كانت تذبح في شمال الجزيرة العربية مع تلك التي ذبحت في جنوبها، ووجد أن ذكور الحيوانات كانت هي المفضلة في جزيرة العرب عموماً ما عدا الحصان، وكان أغلبها مدججاً. ففي مناطق شمال الجزيرة فضل البدو قرابين الجمال، أما في الجنوب فقد قدمت بعض الحيوانات البرية كقرايين مثل الوعل وبقر الوحش وذلك لأسباب مختلفة مثل الشفاء من المرض أو تكريماً للأسلاف الكبار أو في الاحتفالات الدينية أو كشكر على تلبية الحاجات الشخصية (Vogt، ١٩٩٤: ٢٨٤). أما (Vogt) فيرى أنه لا يوجد دليل أثري يؤكد أن الجمال كانت تقـدم كأضاح أو قرابين للأسلاف أو للمعبودات (Vogt، ١٩٩٤: ٢٨٦)، ممّا يعني أن تلك الجمال دفنت طبقاً لطقس ديني. وبالرغم من عدم تأكدنا من الهدف المقصود من ذبح الإبل (كقرايين)، فإننا

المشتركة سنة ١٩٨٤م في قبر كهفي رقمته بـ (٩٠٣) في منطقة الركبة بوادي دوعن وحدّد تاريخه بنهاية القرن الأول ق.م وببداية القرن الأول م. (Frantsouzzoff، ٢٠٠٣: ٢٥١).

وعلى الرغم من توفر الأدلة المادية على انتشار ظاهرة دفن الجمال في بلاد العرب فإن أصل هذه العادة ما زال مجهولاً إلى اليوم، ولم يتضح بسـعد دور الجمل في الأعراف القبرية لسكان جزيرة العرب قبل الإسلام، ويعتقد بعض الباحثين أن السبب في ذلك قد يرجع إلى حداثة الكشف عن تلك الظاهرة التي لم تلق الاهتمام الكافي من الدراسة (سيدوف، ١٩٩٩: ٢٨٠؛ Vogt، ١٩٩٤: ٢٨٠). وقد حاول بعض الباحثين في هذا المجال الإجابة عن السؤال التالي: هل كانت الجمال تذبح كأضاحي (قرايين) للمعبودات أم أن قتلها كان تعبيراً عن طقس معين (قتل طقوسي) لوضعها مع صاحبها في القبر مثلاً، باعتبارها نوعاً من الأثاث الجنازتي؟ (بإعلان، ٢٠١٢: ٨٣). ولمحاولة الإجابة عن هذا السؤال لابد من دراسة الخطوات المتبعة في تقليد دفن الجمال، كوضعية الجثة مثلاً، رجح بعض الباحثين أن تلك الجمال ربما قدمت كأضاحي للموتى، وشبهوها بما يقدمه العرب المسلمون من أضاحي في مواسم الحج (Breton، ١٩٩٨: ١٥٤-١٥٥)، بينما رفض البعض تلك الفكرة وحجّتهم في ذلك أن الحصان أيضاً كان يدفن في قبر سيده في فترة لاحقة مع أنه ليس من حيوانات القرابين (Vogt، ١٩٩٤: ٢٨١). ويعتقد البعض الآخر أن التضحية بالجمال في العربية الجنوبية قبل الإسلام لم تكن واضحة أو مؤكدة؛ إذ من المحتمل أن الجمال كانت تذبح لاستهلاك لحومها بالرغم من أن دراسة بقايا العظام تشير إلى أنها لم تستهلك بالكامل (Vogt، ١٩٩٤: ٢٨٤). وربط بعضهم بين ظاهرة دفن الجمال، وعادة ذبح الإبل على القبور تكريماً للميت التي مارسها العرب قبل الإسلام؛ حيث كانت الجمال تنحر عند قبور عليّة القوم تمجيداً لشجاعتهم وفروسيتهم (علي، ١٩٩٣/٥: ٤٤٥). وتقليد الذبح عند الموت ما زال يمارس في اليمن - ولكن ليس بالضرورة عند القبر -،



الجمال على دخول القبر ثم إناخته قبل نحره. ويرى البعض الآخر أن الطريقة الأخيرة اتبعت في مقابر مليحة طبقاً للوضعية التي وجدت عليها قوائم الجمال المثنية أسفل الجسم في وضع البروك الطبيعي (Breton، ١٩٩٨؛ ١٥٥: ١٠٤؛ Uerpman، ١٩٩٩؛ ١٥٥: ١٠٤). ويبدو أن الطريقة نفسها اتبعت في دفن الجمال في حضرموت؛ حيث كشف في ريبون ووادي عرفة عن جمال دفنت وهي في الوضع الطبيعي (باركة) (صورة رقم ٢، ٣)، وكان رأس الجمال مشدوداً للخلف وقوائمها المثنية أسفل جسمه (Uerpman، ٢٣٥: ٢٠٤؛ Daems، ١٩٩٩؛ ١٠٤، وأحياناً كان عنق البعير يثنى إلى جنبه الأيسر، وقد يقطع الرأس أو الرقبة ويوضع عند مقدمة أو مؤخرة الجسم، كما في موقع (مقد العبية ١٨٤، ١٧) (بأعليان، ٢٠١٢: ٨٥). وفي حالات أخرى، يمكن أن يدفن الجمال ممدداً على أحد جنبه في حفرة أكثر اتساعاً، وقد أثبتت المعطيات الأثرية أن الجمال قد تدفن كاملة أو يكتفى بدفن نصفها أو أجزاء منها، ففي بعض الحالات كان الرأس يقطع ويوضع بين أرجل الحيوان (Breton، ١٩٩٨؛ ١٥٥)؛ إذ عرفت بعض الأمثلة اختفت فيها رقبة وجمجمة البعير لأسباب ما زالت غامضة، وأحياناً كان يُستبدل الرأس بحجر أو حجرين توضعان أمام الجثة، كما في قبور ريبون ووادي عرفة (مقد العبية ٢٠) (بأعليان، ٢٠١٢: ٨٥؛ ١٢٥: ١٢٠؛ Sedov، ١٩٩٦؛ ١٥٤؛ Breton، ١٩٩٨؛ ١٥٤). وهناك من يعتقد أن الأجزاء المفقودة من جثث الجمال المدفونة كانت تستهلك من قبل أهل المتوفى ويدفن الجزء المتبقي من (الجمال) ضمن طقوس معينة (Vogt، ١٩٩٤: ٢٨١-٢٨٤)، وهذا يذكرنا بطقس تقديم قرابين الصيد المقدس في اليمن القديم، حيث كانت أجزاء من لحم الصيد تقدم كقربان يذبح للمعبود فيما يؤكل الجزء الباقي من الضحية. وفيما يتعلق باتجاه جثة الجمال المدفون، لم تتبع طريقة موحدة في ذلك، فمثلاً نجد أن جمال وادي عرفة دفنت، وكانت رؤوس بعضها في اتجاه الشمال الشرقي ومؤخرة الجسم في اتجاه الجنوب الغربي كما في

قبر (العبية ١٨)؛ وبعضها الآخر دفن في وضعية معاكسة، كما في قبر (العبية ١٧) (بأعليان، ٢٠١٢: ٨٦) ..

٢ - أنماط المدافن:

عرف نوعان من مدافن الجمال في منطقة حضرموت القديمة: أحدهما مكون من حفرة بسيطة في الأرض أو منقورة في الصخر تغطي عادة ببضع بلاطات من الحجر تضم غالباً جثة جمال واحد فقط كقبور وادي عرفة (مقد العبية ٢١-١٨) التي تكونت من حفرة مستطيلة أبعادها (١،٥ متر × ٢ متر) عمق ١،٥ متر) سقطت ببلاطات حجرية بمقاس (١،٥ × ١ متر)

قبر الركبة وبعض قبور وادي عرفة (سيدوف، ١٩٩٩: ٢١٥)، وهذه الأخيرة شبيهة ببعض قبور مليحة في الشارقة حيث عثر الآثاريون على مقبرة خاصة بالإبل أرخت ما بين (٣٠٠ ق.م - ٢٠٠ م)، وضمت بعض قبورها جملين، وبعضها دفن فيه حصان وجمال. وقد تميزت مقبرة مليحة باحتوائها على بقايا عظمية لجمال بسنام واحد وأخرى هجينة، حيث احتوت (٨) قبور جماعية على (٩) هياكل عظمية لجمال عربية وحيدة السنام وضعت بجوار بعضها في محيط واحد، بحيث احتوى أحد القبور (رقم ١٨) على هيكلي جملين، إضافة إلى قبر واحد برقم (١١) احتوى على هيكلي



صورة رقم ٣: قبر كهفي لجمال

مكان العثور: ريبون-حضرموت التاريخ: القرن الثاني، المصدر: سيدوف، ١٩٩٩، ٢١٥

جملين هجينين بحجم أكبر من الجمال العربي، وقبر آخر خصص لحصان وهو رقم (٤) (Uerpman، ١٩٩٩: ١٠٣).

٣ - النصوص الجنائزية للجمال:

تدل عملية دفن الجمال في اليمن القديم على أنها كانت تحظى بمكانة خاصة في الحياة الدينية؛ حيث ارتبط تقليد الدفن بشكل عام بالعقائد الروحية وبعملية البعث والخلود في حضارات الشرق القديم. ولا بد من أن عمليات الدفن كانت مقترنة بطقوس معينة، وفيما يتعلق بكتابات المسند، فقد صممت -كعاداتها- عن البوح بتفاصيل حول الطقوس الجنائزية عموماً

(بأعليان، ٢٠١٢: ٨٦). وفي بعض الحالات كان يشترك الجمال مع جثمان صاحبه في قبر واحد كما في ريبون رقم (١٧) الذي ضم هيكلاً عظمياً كاملاً لجمال في وضع البروك إلى جانب جثة آدمية وضعت في كوة عليا داخل القبر نفسه وضمن مساحة إجمالية أبعادها (٢،٨٠ طول × ٠،٧٥ ارتفاع × عرض ٠،٩٠ م) (صورة رقم ١، ٢) (Sedov، ١٩٩٦؛ ١٢٥؛ Frantsouzzoff، ٢٠٠٣: ٢٥٦؛ ١٢٥).

والنموذج الآخر من القبور وهو الأكثر تطوراً، ويمثل نوعاً من العمارة القبورية دعمت فيها جدران القبر بالحجارة كما في

النحو الآتي:

፲፱፻፶፯ | ወሐሰ | ሕዳር | ፳፻፱ - ፲

በኢትዮጵያ የግል ጥቅም ላይ የዋለው የጥቅም ስልጣን

የበዓሉ ገዢ ህገ ፌዴራል ድርጅት ህግ - 3

المعنى:

۱ - همیشه وراکل أبناء شرح ود

٢- من عشيرة خليب بنوا وحصنوا قبرهما

٣- وأودعوا ممتلكاتهم وناقضهم بداخله
بناء على أمر انبي.

التعليق:

يوجد تفسيران متقاربان لمعنى هذا
النقش، الأول أورده (Ricks) وفحواه يدور
حول بناء قبر لنانقة [Ricks, ١٩٨٩, ٨٠],
والثاني قدمته (Avazini) ولم تعط فيه
تفسيراً للاسم (أ ب ل ت م)، فيما فسرت
لفظاً (ض ر ب) باسم للمقبرة
[Avanzini, ٢٠٠٤, ١٠٢, No. ٧٣]. أما
في المعجم القبطاني فورده: ضرب (فعل) بمعنى
(أودع/ضمن) [Ricks, ١٩٨٩, ٧٩-٨٠].

ومن خلال التمعّن في قراءة النقش،
أمكننا تفسيره على النحو الوارد أعلاه.

ويوحى سياق بعض النصوص بأن الحيوان كان يحسب ضمن المتاع الجنائزي للمتوفى؛ إذ يبدو أنهم كانوا يذبحون الناقة بعد وفاة صاحبها ويودعونها في قبره ضمن الأثاث الجنائزي للميت، وهو ما ذهب إليه (Sedov.A) في تعليقه على قبر جمل (الركبة) في حضرموت، حيث يرى أن الإبل المذبوحة تمثل نمطاً من أنماط الأثاث الجنائزي للميت؛ إذ كانت الإبل الخاصة بالحاربين تتحرر بعد موتهم مباشرة، وربما تدفن معهم في قبر واحد تكريماً لأصحابها وتلافياً لعدم وقوعها في يد غيرهم [سيدوف، ١٩٩٩، ٢١٥]. وفي سياق ذي صلة وردت رواية عن المؤرخ محمد بن حبيب صاحب مؤلف (كتاب المجرى) يقول فيها: "وكان أكثر العرب يؤمنون بالبعث، وكان الرجل إذا مات عمدوا إلى راحلته التي ركبها فيوقفونها على قبره معكوسة رأسها إلى يديها، ملفوفة الرأس ... فلا تغلف ولا تسقى حتى تموت، ليركبها إذا خرج من قبره" حتى لا يحشر ماشياً على رجليه (Frantsouzoff ٢٠٠٣، ٣٥٦، نقلاً عن: ابن حبيب ١٩٤٢، ٣٢٢-٣٢٣).

وجيزة ربما لا تتعدى العام، ومن ثم دفن صاحب الجمل في ذات المدفن [Frantsouzzi، ٢٠٠٣، ٢٥٦]. ويتضح من سياق النص أن القبر بُني وفق هندسة معينة استخدمت فيها الأخشاب المدعمة بأعمدة من الحجر، إلى جانب تحصين القبر من المياه عبر تثبيت أساساته بالحجارة، ووضع فيه الأثاث الجنائزي، وكان عادة ما يرفق مع الإبل المدفونة بعض المصنوعات الحديدية المتعلقة بالذبح مثل السكاكين والسيوف وشفرات الحلاقة، وفي بعض مدافن ريبون عثر على بعض الحلي والأواني الفخارية وربما السروج والجلام، وبعض الأواني الزجاجية [سيدوف، ١٩٩٢، ٢١٥]. ولا بد أن تلك التجهيزات تعد إشارة إلى ارتباط دفن الإبل بعادات طقسية وجنائزية ذات طابع روحي متعلق بحياة ما بعد البعث.

والنص الثاني المتعلق بـدفن الإبل هو
النقش السبئي (RES ٤٢٣١) الذي ينص
على الآتي:

ጠሕ | ነጠ | ነገጥጥ | ወግሃሐሕ - 1

№|የአዕ|በጥሃዩ|ወጪ-ጊ

ገዢዎች | ማህተም | ስራዎች | ጥያቄዎች | የሰነድ-ፋይል

[illegible]

ᐃᓴᕈ | ᕐᓴᕈ | ᓴᕈᐅ | ᐱᐱᕐᕈ - ၀

وترجمة معنى النص على النحو الآتي:

١- رئیسهم غیلان بن أب

٢- رفع من بنى هيب أسس وبناء

٣- قبره في السنة التي نزل فيها بتألب

٤- وَكُونْ قَبْرَ لَبِكر (جمل فتی) وكنانت كل
٥- اللحد وارض القبر نازلة (محفورة تحت
الأرض)

التعليق:

تاريخ النقش غير معروف، ويتحدث صاحبه (غيلان) عن بناء مقبرة له ولجمل صغير (بكر)، وأشار إلى عمق القبر وأن به لحدوداً، ويلاحظ تشابه هذا النص مع نقش (الركبة)، إذ يبدأ كلاهما بصفة (كبرهمو/ راسهمو) أي (كبيرهم/ رئيسهم)، أما (تالب) فالمعروف أنه أحد المعبودات اليمنية القديمة. ويحتمل أن صاحب النقش بناء مقبرته أثناء قيامه بزيارة (حج) إلى معبد تالب، وربما يكون (تالب) اسم منطقة حل بها صاحب النقش.

ومن قتبان لدينا إشارة إلى قبر ناقة وردت في أحد النقوش القتبانية هو النقش

ودفن الإبل على وجه الخصوص، باستثناء بعض الإشارات الدالة على دفن الحيوانات التي وردت في بعض النقوش المزبورة على النصب مثل لفظة (ب ل و ت) التي يعد ذكرها على شواهد القبور دلالة على وجود دفنه ————— يوانية مع الدفنة الأدمية [الحسيني، ٢٠٠٩/ب، ٧٢، جدول ٤]، أما النقوش الجنائزية الحيوانية فهي نادرة، وأهمها يتمثل في نص ————— ضرمي يصف عملية بناء قبر لأحد الجمال، عثرت عليه البعثة الروسية اليمينية المشتركة سنة ١٩٨٤م في قبر كهفي حمل رقم (٩٠٣) بمنطقة (الركبة) في وادي دوعن، وحدّد تاريخه بنهاية القرن الأول ق.م. وبداية القرن الأول م. [Frantsouzoff، ٢٠٠٣، ٢٥١]. وينص على الآتي:

ካ። ሐንቆ ማሰገን ሂሳብ ማረጋገጥ ማረጋገጥ ማረጋገጥ
ጸዕኑን ማረጋገጥ ማረጋገጥ ማረጋገጥ .. ማረጋገጥ ማረጋገጥ
ሐንቆ ማረጋገጥ .. ሐንቆ

ዐ|ጊዮኒዎ|ጊዮኒዎ|ጠባላዎ|ጠባላዎ|ጠባላዎ
|ጠባላዎ|ጠባላዎ|ጠባላዎ|ጠባላዎ|ጠባላዎ
-ጊ

|ሐዲስ|ጋራ|ካሃጠክ|ሃጠ|ጓጋጠወ|ጋዳጳወ
 ዐፀወሐወ|ጋጋጋጋ|ሐጠጋጋ|ጠጋጋጋ|ጋዳጓጓ
 |ካዐወዳ|ካጠ|ወጋጓጓ|

- ፩

በኢትዮጵያ የህዝብ አቅጣጫ ስርዓት ለመግባቱ የሚያስፈልጉትን ሰነዶች እና ማረጋገጫዎችን ያሳያል፡፡

المعنى (٤) :

١- كبيرهم من إله شهر بناء قبره وفقاً لالتزامه على نفسه تحت وفوق الأرض وأثنه خشب (السمر) وربطه بعمودين من الحجر (وأودعه) أدوات قبره.

٢- وحفره وحصنه ضد المياه من الأسفل بحجارة (خشنة) مع أخيه مرشد بن إل.

٣- وكمسئول عن تلك الأعمال مع أخيه
مرشد وضع فيه الجمل ووضع الأجر
حسب الطلب وأحرى قناتين من دعوى.

٤- ومن (وادي) غابر ونصب تذكار في السنة الرابعة... من عهد فشحان.

التعليق:

تكمُن أهمية هذا النقش في إشارته إلى دفن جمل في قبر آدمي، وعلى الرغم من عدم العثور على عظام الحيوان فإنَّ السطر الثالث من النقش يشير إلى أنَّ صاحب القبر أودع بداخله جثة جمل، وهو ما قد يعني أنَّ الجمل دفن قبل صاحبه بفترة-



72

العدد (6)
أكتوبر
ديسمبر
2017م

الخاتمة:

يستنتج مما تقدم أن منطقة جنوب غرب جزيرة العرب هي الموطن المرجح الذي دجن فيه الجمل ذو السنم في نهاية الألف الثالث أو بداية الثاني ق.م. طبقاً للعثور على أقدم بقاياه في تلك المنطقة، ومنها انتشر الجمل المدجن في باقي أجزاء الجزيرة وصولاً إلى بداية الشام والعراق، بل توغل إلى القرن الأفريقي ربما عبر شبه جزيرة سيناء.

ويوضح البحث تفرد الجمل بأهمية خاصة في شعائر الدفن في حضرموت القديمة؛ حيث تم الكشف عن عدد من مدافن أو قبور الجمال في أماكن عدة من هضبة الجول ووادي عرفة ومستوطنة ريبون في وادي حضرموت، حيث تشير المعطيات الأثرية إلى أن دفن الجمال كان يتم وفق طقوس محددة تشبه الطقوس المتبعة في دفن آدميين؛ إذ كان يوضع مع الجمل في قبره أثاث جنازي كالشفرات والسكاكين والرماح وربما القتب، وتم تقدير عمر تلك المدافن مابين القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادي. وربما كانت الجمال المدفونة تنخر في اليوم الذي يتوفى فيه صاحبه كي يوضع معه في قبره تلافياً لعدم استخدامه من قبل الآخرين. وعلى الرغم من ثبوت دفن الجمال والنوق في شـرق الجزيرة العربية فإنه لم يتم التأكد من ذلك في مقابر الجمال في حضرموت.

* أستاذ بقسم الآثار في كلية الآداب - جامعة عدن.

الهوامش:

١ - يرى (Vogt) أن أهم تلك الدراسات وأكثرها شمولية لطبيعة العلاقة بين الإنسان والجمل هي التي نشرها (R. Bulliet) سنة ١٩٧٥م، وتحمل عنوان (The Camel and the Wheel) وقد أعيد نشرها سنة ١٩٩٠م.

٢ - ارجع جهاز راديو كربون تاريخ الفك إلى ٨٢٠٠ قبل الآن وبعد معايرة هذا التاريخ لوحظ أنه يقع ضمن المنحنيات الزمنية المنشورة سنة ١٩٨٦م من قبل (Kromer) و (Stuiver) على أساس مقارنة حلقات شجرة بلوط من جنوب ألمانيا بشجرة صنوبر، وعلى هذا الأساس فإن تاريخ ٨٢٠٠ يساوي تاريخ معياري (أعلى) ما بين ٧٢٢٠-٧١٠٠ ق.م أما التاريخ الأدنى فيتراوح بين ٦٩٠٠-٦٦٠٠ ق.م.

٣ - تذكر بعض المصادر أن الجمل ذي السنم الواحد كان شائع الاستخدام للنقل والركوب إلى جانب ذي السنمين عند سكان خراسان والسهوب الواقعة شمال وشرق الهضبة الإيرانية، ينظر (نبية عاقل) دور الجمل والحصان في الفتوح العربية المبكرة" ص ٢٨ في قائمة مراجع الرسالة. - ترجمة النقش مأخوذة بتصرف عن (Frantsouzzoff, ٢٠٠٣, ٢٥٢)

قائمة مراجع البحث:

المراجع العربية:

١. باعليان، محمد عوض. ٢٠١٢م: حيوانات النقل والحرب في اليمن القديم - دراسة في ضوء النقوش والآثار، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة عدن، كلية الآداب.
٢. ابن حبيب، أبو جعفر محمد (ت ٢٤٥ هـ). د.ت: كتاب المحبر، صححه: إيلزه نيختن شتيتز، دار الأفق الجديدة، بيروت.
٣. حتي، فلييب. ١٩٩١: العرب، تاريخ موجز، دار العلم للملايين - بيروت، ط ٦.
٤. الحداد، فتحي عبد العزيز. ١٩٩٢م: التشكيلات الحيوانية في اليمن القديم، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة الزقازيق - مصر.
٥. الحسيني، صلاح سلطان. ٢٠٠٩م: طرق الدفن والآثار الجنائزية في اليمن القديم، موقع الحصمة - شقرة، دراسة تطبيقية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة عدن.
٦. ٢٠٠٩م ب: الحيوانات في اليمن القديم - دراسة أولية، مجلة المتحف اليمني، عدد ٣، الهيئة العامة للآثار والمتاحف - صنعاء، ص ٦٨-٧٢.
٦. الحمد، جواد مطر. ٢٠٠٢م: الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في اليمن القديم، إصدار دار الثقافة العربية - الشارقة وجامعة عدن.
٧. رشاد، مديحة. ٢٠٠٧م: التسلسل الزمني وأنماط فن الرسوم الصخرية، في: فن الرسوم الصخرية واستيطان اليمن في عصور ما قبل التاريخ، إخراج مديحة رشاد وماري اينزان، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية - صنعاء، ص ٩٩-١١٢.
٨. ابن سيده، إسماعيل بن علي الحسن (ت ٤٥٨ هـ). ١٩٩٦م: المخصص، تحقيق خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٩. سيدوف، الكساندر. ١٩٩٩م: مقابر الأبل، في: اليمن، في بلاد ملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عروكي، مراجعة يوسف محمد عبد الله، معهد العالم العربي، باريس، ص ٢١٥-٢١٤.
١٠. عاقل، نبية. ١٩٩٣م: دور الجمل و الحصان في الفتوح العربية المبكرة، دراسات تاريخية، عدد ٤٧ - ٤٨، ص ٣٧-٤٦.

١١. علي، جواد. ١٩٩٣م: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، ط ٢.
١٢. ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ). د.ت: لسان العرب، دار المعارف - القاهرة.
١٣. الهاشمي، رضا جواد. ١٩٧٨م: تاريخ الإبل في ضوء المخلفات الأثرية والكتابات القديمة، مجلة لية الأدب - بغداد، ملحق للعدد ٢٣، ص ١٨٥-٢٣٢.

المراجع الأجنبية:

١. Albright, W.F. ١٩٥٧: From the Stone Age to Christianity. New York
٢. Artzy, M. ١٩٩٤: Incense, Camels and Coulerd rim Jars: Desert Trade routes and Maritime Outlets in the Second Millennium. OJA. ١٢, P. ١٢١-١٤٧
٣. Avanzini, A. ٢٠٠٤: Corpus of South Arabian Inscriptions ١-III. University of Pisa Press
٤. Blau, S. et Beech, M. ١٩٩٩: One Woman and her Dog: an Umm an-Nar, example from the United Arab Emirates

AAE. ١٠٠, P. ٣٤-٤٢

Breton, J. F. ١٩٩٨: Arabia Felix from the Time of the Queen of Sheba. Eighth Century BC to First Century AD. University of Indiana Press

Deams, A. ٢٠٠٤: The Terracotta Figurines from ed-Dur (Umm al Qaiwain). U.A.E. (The Human Representations. AAE. ١٥, P. ٩٢-١٠٤

De Maigret, Al. ١٩٩٨: The Arab Nomadic People and the Cultural Interface Between The Fertile Crescent and Arabia Felix. AAE. ١٠, P. ٢٢٠-٢٢٤

Frantsouzzoff, S.A. ٢٠٠٣: The Hadramitic Funerary Inscription from the Cave-Tomb at al-Rukbah (Wd Ghabr. Inland Hadramawt (and Burial Ceremonies in Ancient Hadramawt. PSAS. ٣٢, P. ٢٥١-٢٦٥

Grigson, C. and John. A. Gowlett and Zarins, J. ١٩٨٩: The camel in Arabia direct radiocarbon date. calebrated to about ٧٠٠٠ BC. JRAS. ١٦, p. ٣٥٥-٣٦٢

Jamme, A.W.F. ١٩٧٢: The Van Lessen Collection of South-Arabian Inscriptions and Antiquities. in: Miscellanees D'ancient -Arabe ????. University of California. P. ٢٠٧

Potts, D.T. ١٩٩٣: A new Bactrian Find From Southeastern Arabia. Antiquity. ٦٧, P. ٥٩١-٥٩٦

Ricks, S.D. ١٩٨٩: A Lexicon of Epigraphic Qatabanian. Edit. Rice. Pontifici Istitut. Roma

Sedov, A.V. ١٩٩٦: Raybun (Settlement) ١٩٨٢-١٩٨٧ excavations Preliminary Reports of the Soviet Yemeni Joint Complex Expedition Vol.II. Institute of Oriental studies

Russian Acamemy of sciences Moscow. Publishing firm. Vostochnaya Literatura

Shaw, Th et Sinclair, P. Anadah. B. ١٩٩٣: The Archaeology of Africa. food, Metals and Towns. Shaw et al led. Routledge

London Uerpmann, H.P. ١٩٩٩: Camel and Horse Skeletons from Protohistoric Graves at Mleiha in the Emirate Of Sharjah (U.A.E.). (AAE. ١٠, P. ١٠٢-١١٨

Vogt, B. ١٩٩٣: Phase ٣ of the Masila Block Archaeological survey (unpublished

Death. Resurrection and the Camel. in: Arabia Felix. Festschrift W.Muller. Geburtstag. Harrassowitz Verlag. Wiesbaden. P. ٢٧٩-٢٩٠

المدن والأماكن الحضرمية في نقشي IR 31/32

(أواخر القرن الثالث - مطلع القرن الرابع الميلادي)

(١ - ٢)

مقدمة

خلال العصر البرونزي بدأ الاستقرار في جنوب شبه الجزيرة العربية في القرى الزراعية الأولى خلال العصر البرونزي بدلاً من النظام المعتمد على الصيد، وعلى الرغم من أن هذا التحول بطيء واستغرق حوالي ألف عام فإنه خلال ذلك قد قامت حضارة بهذه الأنحاء، وشيّدت مدن ومستوطنات على ضفاف الأودية حيث التربة الخصبة والمياه، وعلى المرتفعات الجبلية المطلّة على القيعان الخصبة، فكانت الزراعة إلى جانب التجارة حيث أسست هذه المدن على طريق التجارة ومرور القوافل سبباً مهماً في إنشائها (١)، فقد كانت الأعمال الزراعية تتطلب جهداً جماعياً لاستمرارها مما أدى إلى استقرارهم.

وكانت التجارة لأعباً مهماً في قيام وازدهار المدن في جنوب شبه الجزيرة العربية، وخاصة تجارة البخور التي تنمو أشجارها في أراضي مملكة حضرموت، وتنقل عبر الطريق البري المعروف بطريق اللبان، والذي كان يمر بالمدن المقامة على الوديان الشرقية لأسباب عدة، منها توفّر المياه بها وتجنب المرور بجلال المرتفعات الغربية في الهضبة الغربية؛ إذ تشير مواقع المدن إلى أن خط سير القوافل كان محدداً ومضبوطاً (٢) عبر طرق رئيسة وطرق فرعية منها البرية والبحرية، وكان لزاماً أن يمر عبر تلك المدن حتى لو اقتضى الأمر أن يطول تفادياً للضرائب (٣).

وإلى جانب الزراعة المرتكز الرئيس لنشوء تلك المدن (٤) وكذلك التجارة هناك عوامل عدة أخذت بعين الاعتبار عند اختيار مواقع المدن والمستوطنات، وأهمها العامل الجغرافي؛ حيث الموقع الجغرافي المناسب ذو الأرض الخصبة المروية بواسطة نظم ري، والعامل العسكري بتوفّر الأمن والأمان فتؤسس المدن في أعلى الوادي وفي أسفله لفرض سيطرتهم الكاملة على مداخل الوادي ومخارجه، وتتوفر فيه الحماية أو يسهل الدفاع عنه سواء من خطر الفيضانات أو من هجمات الأعداء، والعامل الاقتصادي المتمثل في موقعها على طرق التجارة وشبكة الطرق بينها ومحيطها الاستهلاكي لسلعها الإنتاجية (٥).

والمدن التي نحن في سياق ذكرها قامت على مجرى وادي حضرموت الرئيس، الذي يحتل المرتبة الثالثة بين أودية الجزيرة العربية من حيث الطول بعد وادي الرمة والدواسر فيبلغ ١٦٠ كم ومساحته تبلغ ١٣١٢٦٥ كم مربع، وقد قامت مدن في هذا الوادي كوئنت حضارة مملكة حضرموت، وقد حفلت النقوش بذكر عدد من مدن هذه المملكة، لعل أقدمها نقوش القرن السابع قبل الميلاد (٦)، ويذكر نقش قتباني عائد إلى القرن الرابع الميلادي أن قتباني دمرت في هجوم لها على وادي حضرموت أكثر من ٣٠٠ مدينة، وإن كان الرقم مبالغاً فيه غير أنه يدل على ازدهار المدن في وادي حضرموت، وضراوة تلك المعارك التي وقعت بين حضرموت وقتباني (٧).

إن النقوش الحضرمية التي عثر عليها قليلة جداً، مقارنة بالنقوش السبئية، وما هو موجود لا يعطي للباحث صورة واضحة عن فترة القرون التي سبقت الإسلام، وحتى النقوش السبئية التي تتناول تاريخ حضرموت أعدادها محدودة، ومن بينها ما عثر عليها بمأرب مثل إرياني ٣١، ٣٢، وجام ١١٦، ٦٤٣، ٦٥٦، ٦٦٥، ونقش حصن الغراب وغيرها.

نقشي (إرياني) IR ٣٢، ٣١: (٨)

ووادي حضرموت.

أما النقش الثاني فيتحدث عن حملة القائد سعد تالب الجدني، كبير أعراب ملك سبأ وكبير كندة ومذحج وحرام وباهل وزيد ايل وكل أعراب سبأ وحميز وحضرموت ويمنت، في بداية القرن الرابع الميلادي، وقد كانت القوة التي تحت إمرته مكونة من ثلاثمائة محارب من سبأ، وثلاثمائة محارب من الأعراب، ويعدد النقش المدن الحضرمية التي تعرضت للهجمات، بدءاً بصوران في غرب حضرموت، ثم شبام ورطفة وسينون ومريمة وحذب وحصن أهلان،

تتحدث هذه النقوش عن الحملات العسكرية على حضرموت، في عهد الملك ذمار علي يهبر الثاني ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت. فالنقش الأول يتحدث عن حملة القائد لفعتت يشع المرحبي، في حوالي القرن الثالث. بداية القرن الرابع الميلادي، ويذكر النقش مذبذبا ومستوطنات حضرمية، تعرضت لهجمات هذه الحملة مثل: صوران وعقران ومريمة وشبام وتريم، وبعدها يذكر النقش جملة (وكل هجرن وسررن حضرموت) أي كل مدن



أحمد صالح الرباكي *



75

العدد (6)
أكتوبر
ديسمبر
2017م

ويهبئر قبيلة حضرمية قديمة ذكرت في نقوش قبل الميلاد (٢١)

ومن سوران اتجه الجيش الحميري نحو عقران؛ عقران (ع ق ر ن) : قال ناشر النقش "لا أعرف عنها شيئاً والعقر اسم لعدة أماكن في غير هذا الموقع" (٢٢) ، بينما في الواقع تقع مستوطنة عقران المذكورة في النقش فهي تقع في نفس موضع القرية المسماة اليوم بعقران والواقعة قرب بلدة حذية في مديرية القطن على بعد ٧ كم جنوب شرق مدينة شبام، وعثر خارجها على بقايا مبنى يمثل معبداً يقع شرق المستوطنة، وقد شيد على مصطبة حجرية مستطيلة أبعادها ١٢x ٢٥ م، ولم يتبق منه سوى أسسه الحجرية، وعثر فيه على النقش RES ٣٥١٢ ، وهو عبارة عن مذبح ويسجل إهداء للإله سين ذي اليم وبالتالي فإن المعبد كرس للإله سين ذي اليم (٢٣) وتوجد بالقرب منه أطلال معبد قديم تعرض للخراب الشديد كما يبدو أن الحصن القائم اليوم في القرية قد بُني على أكمة أثرية وقد استخدمت بعض حجارة المباني القديمة في بناء منازل القرية الحالية (٢٤) .

شبو (شبو) : شبام : ويشير الاستغراب ذكر مدينة شبوة بعد عقران حيث إنه من المنطقي أن يكون سير الحملة إلى شبام الواقعة بعد عقران إلى جهة الشرق ومن ثم سببها إلى المدن الأخرى المذكورة في النقش والواقعة إلى جهة الشرق من مدينة شبام، لذلك قد يكون هناك خطأ في أصل النقش أو عند نقله حيث من المفترض أن يحل اسم شبام محل اسم شبوة (٢٥) .

فشبام مدينة حضرمية قديمة تعرضت لحملات عسكرية مراراً، قامت بها جيوش سبا وحميز ذكرت في نقوش أخرى، مثل نقش الشظيف من عهد شعر اوتر ونقش شرف الدين ٣٢ من عهد شمر يهرعش (٢٦) .

رطفة، (رطفت) : بالطاء في نقوش المسند، وعند الهمداني بالتاء (٢٧) رطفة من المدن المذكورة في المؤلفات

العرب بوصفها قرية صغيرة في عهده تسكنها تجيب من كندة وقد ذكرها في معرض تعداده لبلاد كندة من أرض حضرموت حيث ذكر أولاً مدينة هينن ثم ما يقع بعدها بالترتيب إلى الجنوب من المستوطنات الكندية مثل سوران وقشاقش (التي لا تزال أطلالها قائمة حتى يومنا هذا بالقرب من قرية قارة آل ثابت في الضفة العربية لوادي الكسر) وعندل (مع مخرج وادي عمد) والهجرين (مع مخرج وادي دوعن).

ويرى بطرس غزيانفتش أن موقع سوران هو ما يعرف الآن بمستوطنة بير حمد المقابلة لوادبي رحية ودهر على خط عرض ٤٧,٥٠ درجة وخط طول ٤٤,٤٤ درجة، وذلك نتيجة لقيامه بالاستكشافات التاريخية الجغرافية للمنطقة في أثناء عمل البعثة اليمنية الروسية المشتركة في عام ١٩٨٥ م، ولكن الأبحاث الأخيرة لأثار مستوطنة "بير أحمد" ونقوشها لم تؤكد هذا الرأي (١٩) .

وقد حفلت نقوش المسند بذكر سوران في كثير منها من أهمها (MAFRAY, 1932, 1931, 1934/CH23 a l - m i ' s a l e , C I A S = 49YM3no.43, 11/39) ، فهي تحتل موقعاً جغرافياً استراتيجياً مهماً يجعلها تتحكم في الطرق التجارية التي تتجه من مناطق وادي حضرموت إلى العاصمة شبوة، وإلى قنا ميناء مملكة حضرموت عبر وادي دوعن. أما سياسياً فقد شهدت المدينة أحداثاً تأتي في طليعتها ثورة أحرار يهبئر عام ٢١٧ م تقريباً، فقد وقفت قبيلة يهبئر ونوهمجرم وقبائل جدمم والصدف وكل قبائل الكسر وبعض قبائل وابوت حضرموت ومناصروهم من قبيلة مهرة ووصفوا إجمالاً بحضرموت ضد الملك العزيزيلط الذي تمكن على ما يبدو من إخمد ثورتهم بعد معارك خاضها ضدهم بدعم من حليفه شعر اوتر ومعه ناصر يهحمدين معاهير قيل ردمان وخولان رغم وصول الثوار إلى العاصمة شبوة ابتداء من مدينتهم سوران (٢٠) ،

المدن والأماكن

صوران (صوارن) : من أهم مدن الكسر، أحد أجزاء وادي حضرموت في الجنوب الغربي من منطقة هينن الحالية، بينها وبين منطقة العجلانية في المكان المقام فيه قرية العادية المسماة اليوم بعادية بن عيفان، والواقعة إلى الجنوب الغربي من مدينة هينن بحوالي ثلاثة كيلومترات، تقع مستوطنة صوران القديمة المشار إليها في النقش أول المدن الحضرمية التي هاجمها الجيش السبئي، وقد زارها ثلاث مرات فون ويسمن في الأعوام (٣١ - ٣٩ - ١٩٥٨ م)؛ ليتمكن من تحديد موقعها على خريطة رسمها للمنطقة ولا يختلف تحديده عن تحديد بيسستون وبافقيه لموقع صوران (١٦) .

وأما ياقوت الحموي فقد خلط بينها وبين (ضروان) على بعد نحو أربعين كيلاً شمالاً، وهي المنطقة التي أشار إليها القرآن الكريم، وظهرت بها النار التي أحرقت زرع أصحاب الجنة، فقال "صوران قرية للحضارمة باليمن، بينها وبين صنعاء اثنا عشر ميلاً، خرجت منها النار فثارت بالحجارة وعروق الشجر حتى حرقت الجنة التي ذكرت في القرآن الكريم (إننا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة) (١٧) .

ويؤيد احتمال موضع المستوطنة بهذا المكان عدة دلالات (١٨) :

١- بقايا التلال الأثرية التي تقوم قرية العادية على إحداها، وتنتشر على سطح هذه التلال بقايا جدران المساكن وأنية الخزف المختلفة التي تعود حسب أنماطها إلى فترات قديمة، تشمل قرونًا عدة قبل الميلاد وحتى العهد الإسلامي المبكر على أقل تقدير.

٢- إطلاق الأهالي اسم صوران على الأراضي المحيطة بالتلال الأثرية، وكذا على أحد الوديان المتفرعة عن مسيال وادي دوعن الواقع على بعد عدة أمطار من هذه المستوطنة.

٣- ذكر الهمداني (القرن العاشر الميلادي) لصوران في كتابه صفة جزيرة



العربية الإسلامية التراثية (رطقة - رتقة)، وتقع في منطقة السريير بوادي حضرموت الرئيس وذلك في الجزء الممتد من مدينة شبام حتى تريم، فهي مذكورة في نقش شرف الدين، إضافة إلى نقش ارياني ٣١ و ٣٢، ولا يعرف مكانها حالياً، ونظراً أن مستوطنة رطغم هي نفسها "رتقة" المذكورة في مؤلفات العصور الوسيطة، ويجب تحديد مكانها في تلك المنطقة التي تقع فيها. كما هو مذكور عند الهمداني - إضافة إلى رتقة كل من: حبـوـضة ومـدودة وتريس، وهذا يعني أنها في الجزء الأوسط من وادي حضرموت الرئيس، فيما بين مدينتي سينون وشبام، وقد افترض ف. ميللر أن اسم "رطغم" كانت تتسمى به قرية قديمة تقع في مكان مدينة الغرفة الحالية (٢٨) .

إن "رطغم" مذكورة في كل النقوش الثلاثة (ارياني ٣٢، ٣١، شرف الدين ٣٢)، وهذا يعني أنها احتلت ثلاث مرات في فترة الحملة التي قام بها يعمر أشوع وأخوه زيد قوم اريم زعيما "شعب سبا"، وذلك في عهد الملك شمر يهرعش (شرف الدين ٣٢)، وفي فترة الحملات العسكرية التي قام بها لفتح يشع (ارياني ٣١) وسعد تالب يتلف في عهد الملك ذمر علي يهبر الثاني (ارياني ٣٢) (٢٩) .

مريمة (مريمت): وهي كذلك مثل رطقة المدن المذكورة في المؤلفات العربية الإسلامية التراثية، وتقعان في منطقة السريير بوادي حضرموت الرئيس، وذلك في الجزء الممتد من مدينة شبام حتى تريم، وما زالت تحمل ذات الاسم، وتقع في شرق مدينة سينون.

وفي مملكة قتبان تحمل إحدى مدنها أيضاً اسم مريمة في وادي حريب يطلق عليها حالياً موقع هجر العادي، ويطلق على ساكني هذه المدينة بالاريوم (اريمن) رغم أن نقش قتباني آخر يأتي على ذكر الاريوم كمقيمين في مدينة شبام، التي نجهل تحديدها نظراً لتعرض الأحرف التالية لاسم مدينة شبام للطمس (٣٠) .

ويذهب الباحثون إلى أن اسم مريمة من مادة (ري م) المسندية، الدالة على العلو والارتفاع؛ لكون المنطقة ترتفع نوعاً ما عن مجرى الوادي، الواقع شمالاً، وما زال في حضرموت يطلق على سطح المنزل بلفظة (ريم) (٣١) .

تريم (ترم): ما زالت مدينة عامرة لم تخرب وتهجر منذ انشئت، حاملة الاسم نفسه، شهدت أحداثاً تاريخية عظيمة، فقد كانت عاصمة سياسية لوادي حضرموت، وذهب البعض إلى اشتقاق اسم تريم، وجعل تسمية تريم وكذا مريمة بهذا الاسم، نسبة إلى اللفظ اليميني القديم (ريم) (٣٢)، والذي ما زال مستخدماً في اللهجة الشعبية المحلية حتى الآن بمعنى سطح المنزل (٣٣).

أما في المعاجم والمؤلفات العربية فقد أتت على النحو التالي: تريم بفتح التاء المثناة من فوق وكسر الراء ثم ياء مثناة من تحت، وقال عنها لسان اليمين الهمداني: "و تريم مدينة عظيمة" (٣٤)، وقال أيضاً: "و تريم وتريس بحضرموت"، وهي غير تريم من ديار تميم من مساكن العرب بين العراق والشام وهي بكسر التاء وسكون الراء - تريم - من بلاد عذرة قديماً بشمال ظبا بقرب جبل شار (٣٥) وردت في شعر كثير وغيره منه قوله:

إليك تبارى بعدما قلت قد بدت

جبال الشبا أو نكبت مضب تريم (٣٦)

والتي بحضرموت بفتح التاء المثناة وكسر الراء كما سبق.

ويذهب نشوان بن سعيد الحميري إلى أن "تريم" على وزن فاعيل، التاء زائدة، وبـئـاؤها تفعل، من رام يريم (٣٧). وسميت باسم تريم بن السكون بن الأشرس بن كندة، بطن من كندة القحطانية.

وأما عن نسبتها فلا يوجد لدينا دليل تاريخي يشير إلى البدايات الأولى لهذه المدينة العريقة، وأقصد بذلك زمن التأسيس والإنشاء.

هناك جملة من الآراء التي تناولت سبب تسمية تريم بهذا الاسم ومن ذلك ما يأتي:

(١) الرأي الأول: يذهب إلى القول إن تريم سميت باسم بانيتها "تريم بن حضرموت بن سبا الأصغر" أول ملوك الطبقة الثانية للدولة السبائية، الذين ابتدئ ملكهم من (أواخر القرن الثاني قبل الميلاد، إلى أوائل القرن الثاني بعد الميلاد) (٣٨)، وكذلك شقيقتها الأخرى مدينة شبام، أو كما جاء عند ياقوت: "تريم اسم إحدى مدينتي حضرموت اسم للناحية بجملتها، ومدينتها تريم وشبام، وهما قبيلتان سميت باسمهما البلدتان" (٣٩). وقال آخر: "تريم كأمير مدينة بحضرموت سميت باسم بانيتها تريم بن حضرموت" (٤٠)، وذهب إلى هذا الرأي أغلب المؤرخين العرب والإخباريين.

ويذهب الأستاذ "حداد بلفقيه" إلى أن تاريخ نشوء المدينة يعود إلى ما قبل الميلاد بأربعة قرون، عند بدء ظهور دولة الحميريين، مستنداً على ما أكدته النقوش، التي وجدت في شمال المدينة في مكان يسمى "شعاب الهادي" على يد السائحة الأجنبية فرايا (إستارك) (٤١).

(٢) الرأي الثاني: يذهب إلى القول بأن مدينة تريم تنسب إلى الملك التبـع "أسعد الكامل"، وأنه هو الذي اختطتها، ويجعل أصحاب هذا الرأي أنه يتفق مع ما ذكره العلامة علي بن عبد الرحمن المشهور في كتاب (شرح الصدور) من أن حصن الرناد أسس قبل البعثة بأربع مائة سنة (٤٢).

ويرى الباحث (٤٣) أن الرأي الأخير مجانب للصواب، فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون مدينة تريم من المدن المنسوبة للتبع أسعد الكامل؛ لأن ذلك يخالف ما جاء في النقوش التي سبقت عهد التبـع أسعد الكامل، ولكننا يمكن أن نعدل هذا الرأي أو القول ونقول: بأن تريم من المدن التي ربما أعاد أعمارها التبـع أسعد الكامل، بعد خراب أصابها، فنسبت إليه. حيث يعتبر التبـع الكامل من أعظم التبـعة الحميريين، فهو كما جاء في النقوش "أبي كرب أسعد بن ملكي كرب يهامن"، وهو عند الإخباريين وفي المأثورات العربية يسمى "أسعد الكامل"،



٧٧

العدد (٦)
أكتوبر
ديسمبر
٢٠١٧م

منشورات جامعة صنعاء؛ دار نشر بيترز لوفان الجديدة، مكتبة لبنان، بيروت، ط ١، ١٩٨٢م، ص ١٢٠ والارياضي: مطهر علي، المعجم اليمني في اللغة والتراث، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٩٩٦م، ص ٣٧١. وسرجيس: تاريخ، مرجع سابق، ص ١٩.

٣٢. بيسستون، أ.ف. ل. / ريكما نز، جاك/ الغول، محمود/ مولر، والتر: المعجم السيئي، دار نشر ياتبيتز لوفان الجديدة، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢م، ط ١، ص ١٢٠.

٣٣. تعليقات الدكتور عبد العزيز بن عقيل في كتاب تاريخ حضرموت السياسي لـ سرجيسفر انتسوزوف ص ١٩.

٣٤. الهمداني: الحسن بن احمد، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد علي الاكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط ١، ١٩٩٠م، ص ١٧٠.

٣٥. الهمداني: صفة جزيرة...، مصدر سابق، ص ٢٩٣.

٣٦. الهمداني: صفة جزيرة...، مصدر سابق، ص ٣٤٦.

٣٧. الحميري: نشوان بن سعيد، منتخبات في أخبار اليمن، دار الفكر، دمشق، ط ٢، ١٩٨١م، ص ١٤.

٣٨. بلقيع: عبد الله بن حسن، صفحات مجهولة من تاريخ حضرموت، تحقيق مصطفى العباس، تريم للدراسات والنشر، تريم، ط ١، ٢٠٠٥م، ص ٣٩-٤٠.

٣٩. الحموي: ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م، مج ١، ص ٤٤٢.

٤٠. السقايف: ادم القوت، مصدر سابق، ص ٤٩٠.

٤١. بلقيع: حداد ابوبكر، تريم اسم في ذاكرة الزمن، مجلة الفصيل، دار الفصيل الثقافية، الرياض، العدد ٣٠٠، أغسطس - سبتمبر ٢٠٠١م، ص ٥١-٥٣.

٤٢. المشهور: علي بن عبد الرحمن، شرح الصدور بذكر بعض أحوال وسير واجازات عبد الرحمن بن محمد المشهور، مخطوط بمكتبة خرد، ص ٢٢٤-٢٤٠.

٤٣. للمزيد انظر (الجديد في تاريخ تريم القديم) للباحث.

٤٤. غاجدا: ايفوننا، جنوب الجزيرة العربية موحداً تحت راية حمير، ضمن كتاب (اليمن في بلاد ملكة سبا)، ترجمة بدر الدين عردوكي، باريس - دمشق، ١٩٩٩م، ص ١٨٨.

٤٥. أبو الغيث: عبد الله، العلاقات السياسية بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها - ق ٦-٣م - وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ١٢-١٣.

٤٦. عبد الله: يوسف محمد، أوراق في تاريخ اليمن وأثاره، دار الفكر، دمشق - بيروت، ط ٢، ١٩٩٠م، ص ٢٥٦.

٤٧. الارياني: نقوش... مرجع سابق، ص ١٩٥.

٦. حبتور: ناصر صالح، أسماء الأماكن في نقش عبدان الكبير، مجلة سبا، جامعة عدن، العدد (١٨-٢٠) أبريل ٢٠١٣م، ص ٥٦.

٧. عريش: منير؛ والسقايف: عبد الرحمن، نقش جديد من عهد يدع أب ذبيان يهنعم ملك قتبان ويدع أب غيلان ملك حضرموت، حولية ريدان، العدد (٧) عام ٢٠٠١م، ص ١١٤.

٨. الارياني: مطهر علي، نقوش مسندية وتعليقات، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط ٣، ١٩٩٠م، ص ١٩٢-٣٠٥.

٩. الارياني: مرجع سابق، ص ١٩٢-١٩٤.

١٠. نفسه، ص ١٩٣.

١١. بافقيه: محمد عبدالقادر، توحيد اليمن القديم، ترجمة علي محمد زيد، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ط ١، ٢٠٠٧م، ص ١٦٠.

١٢. بافقيه: توحيد... مرجع سابق، ص ١٦١-١٦٢.

١٣. نفسه، ص ١٦٢.

١٤. بافقيه: محمد عبدالقادر، حضرموت القبيلة والوادي في النقوش وعند الإخباريين، مجلة المنتدى، العدد (٨)، دبي، مايو ١٩٩٠م، ص ٨؛ وبافقيه: توحيد... مرجع سابق، ص ١٦٢.

١٥. بافقيه: توحيد... مرجع سابق، ص ١٦٤.

١٦. فرانتسوزوف: سرجيس، تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعده، ترجمة: عبد العزيز بن عقيل، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ٢٥٠. وبارباع: مرعي مبارك، منطقة الكسر في وادي حضرموت، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ط ١، ٢٠١٤م، ص ١٢٨.

١٧. الارياني: نقوش... مرجع سابق، ص ١٩٤.

١٨. سرجيس: تاريخ... مرجع سابق، ص ٢٤٠.

١٩. سرجيس: تاريخ... مرجع سابق، ص ١٢١.

٢٠. بارباع: منطقة الكسر... مرجع سابق، ص ٧٤-٧٧.

٢١. عريش: نقش... مرجع سابق، ص ١١٨.

٢٢. الارياني: نقوش... مرجع سابق، ص ١٩٤.

٢٣. الحسني: جمال محمد، الآلهة سين في ديانة حضرموت القديمة، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ط ١، ٢٠١٤م، ص ١١٥.

٢٤. سرجيس: تاريخ... مرجع سابق، ص ٢٤١.

٢٥. نفسه، ص ٢٤١.

٢٦. عريش: نقش... مرجع سابق، ص ١١٥.

٢٧. سرجيس: تاريخ... مرجع سابق، ص ١٢١.

٢٨. سرجيس: تاريخ... مرجع سابق، ص ١٢١.

٢٩. نفسه، ص ١٢١.

٣٠. الحاج: محمد علي، مدينة شحك وأرض يهمل في ضوء نقش قتباني جديد مؤرخ بعهد الملك شهرجل يهرجب، ضمن كتاب المملكة العربية السعودية عبر العصور، جامعة الملك سعود، الرياض، ٢٠١٣م، ص ١٢٤.

٣١. بيسستون وآخرون: المعجم السيئي،

وقد جلس على عرش حمير في أواخر القرن الرابع - أوائل القرن الخامس الميلادي، وتحديدًا في الفترة الواقعة بين عامي (٣٨٠م - ٤٤٠م)، وهذا الملك يعتبر من أعظم ملوك اليمن التابعة، فقد اتخذ للقب الملكي الأطول في تاريخ اليمن القديم وهو (ملك سبا وذي ريدان وحضرموت ويمنا وأعرابهم طودا وتهامة)، واكتملت الوحدة اليمنية على يديه، ويعتبر عصره من أبرز عصور التاريخ اليمني قبل الإسلام (٤٥)، فكما نسب الناس إلى "عاد" كل قديم فقالوا "عادي"، كذلك نسب اليمنيون كثيرًا من المنشآت القديمة، وأثار السدود، ووسائل الري إلى أسعد الكامل، فيقولون حجر أسعد، وكريف أسعد، وقصر أسعد، بل إن كل ما تقدم العهد عليه من أثر فهو أسعدي (٤٦).

ثم تأتي في سياق النقش:

وجملة وكل /هجرن/وسررن/ حضرموت؛ ذهب الارياني إلى أن هذه العبارة جاءت خاطئة في نسخ النقش، وأن الصحيح هو (وكل /هجرن/ سررن/ وحضرموت)؛ ليكون معناها هو (وكل مدن السرير وحضرموت) وجاء في النقش الذي يليه (ارياني ٣٢) (ونجثو كل /هجرن/ حضرموت/ وسررن)، وشرحها هو (واستولوا على كل مدن حضرموت والسرير)، فليس بين عبارتي النقيش من خلاف إلا فرق التقديم والتأخير، والسرير هو أحد أقاليم حضرموت المهمة جاء ذكره في نقوش أخرى منها (جام ٦٥٦-٦٦٨)، وذكره الهمداني في الإكليل فقط وغاب عن الصفة (٤٧).

الهوامش:

- * مركز الرناد للتراث والآثار والعمارة - تريم
١. الأغبري: فهمي علي، التحصينات الدفاعية في اليمن القديم رسالة لمجستير، ١٩٩٤م، ص ١.
 ٢. الأغبري: مرجع سابق، ص ٥-٦.
 ٣. نفسه، ص ٦.
 ٤. حبتور: ناصر صالح؛ وحسين: اسوان محمد، عامل نشوء المراكز والمدن في اليمن القديم، مجلة سبا، جامعة عدن، عدن، العدد (١٨-٢٠) أبريل ٢٠١٣م، ص ١٤٩.
 ٥. الأغبري: مرجع سابق، ص ٩.

المعتقدات والطقوس الدينية بحضرموت قبيل الإسلام

(القرنين الخامس والسادس الميلاديين)

المقدمة

تُعَدُّ ظاهرتا (التدين والعبادة) جزءاً من حاجات النفس البشرية، وقد زرعت في الإنسان منذ أن خلقه الله وأوجده على هذه الأرض، وقد جعلها الإنسان في مقدمة تفكيره، وكان من بين اعتقاده فيها أنها تجلب له الخير والبركة وتدفع عنه سوء، والإنسان موحَّد بفطرته، لكن عند ابتعاده عن تعاليم الرسل ينحرف بعبادته إلى غير الله، فيرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين . تستعرض هذه الورقة العلمية الموسومة (بالمعتقدات والطقوس الدينية بحضرموت قبيل الإسلام) الأوضاع الدينية بحضرموت في القرنين الخامس والسادس الميلاديين في أعقاب سقوط مملكة حضرموت وتفتت كيائها السياسي وانضمامها تحت لواء الدولة الحميرية، التي حاولت توحيد ممالك جنوب الجزيرة العربية .

تتوزع الورقة على : مدخل : احتوى على صورة عامة عن حضرموت في تلك المرحلة، ومبحث أول : تناول المعتقدات الوثنية بحضرموت قبيل الإسلام والطقوس التي تمارس تبعاً لتلك العبادات الوثنية، ثم مبحث ثاني : تناول الديانات التوحيدية بحضرموت عشية ظهور الإسلام والأخلاقيات التي ترتقي إلى أن تكون تعاليم إسلامية مارسها الحضارم قبل الإسلام، واختتمت الورقة بخاتمة .

لا زال الغموض يشوب الكثير من مراحل تاريخ حضرموت القديم خاصة الجانب الديني، وقد لاحظ ذلك الإشكال الكتاب الذين اعتمدنا على مؤلفاتهم في هذه الورقة أمثال الأستاذ الدكتور محمد عبد القادر بافقيه في كتابه (تاريخ اليمن القديم)، والباحث التونسي بناجي العبدولي في كتابه (قبيلة كندة في صدر الإسلام والدولة الأموية)، وكذلك الباحث الروسي سرغيس فرانتسوزوف في كتابه (تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعده)، وقد رددوا ذلك الغموض إلى شحه المصادر النقشية وقلة التنقيبات الأثرية وانحصار الكثير من مادة النقوش الشحيحة، التي تم العثور عليها على ذكر الحوادث السياسية أو النذور التي تقدم للآلهة الوثنية . وتعدُّ الدراسة التي قام بها الباحث جمال الحسني (الإله سين في ديانة حضرموت القديمة) من أهم الدراسات الحديثة، التي أعطت مادة تحليلية عن ديانة حضرموت والإله سين وفق النقوش . أما المصادر العربية القديمة التي تم الاعتماد عليها أيضاً فإن مادتها الدينية - على أهميتها - تعطي لمحة موجزة ولا تقدم للباحث تفاصيل عن المعتقدات والشعائر التي يقوم بها السكان .

- كل الشكر والتقدير لمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، وإدارته الموقرة على الجهود الجليّة التي يقومون بها في سبيل حفظ تراث حضرموت وتوثيق تاريخها المجيد، وعلى جهدهم في الدفع بالباحثين الشباب نحو الكتابة الجادة في تاريخ حضرموت .

وأرجع بعض علماء العربيات الجنوبية سقوط مملكة حضرموت واندماجها كلياً في مملكة سبأ وذي ريدان في أيام (شمر يهرعش) بعد السنة ٣٠٠ م، وذهب بعض الباحثين إلى أن سقوط حضرموت كان في القرن الرابع بعد الميلاد فيما بين ٣٣٥ م وسنة ٣٧٠ م (١)؛ وعقب وفاة شمر يهرعش الذي تميز عهده بالقوة حدثت ثورة كبرى في حضرموت ربما أراد الحضارمة الانفصال عن الدولة المركزية والحنين إلى مملكتهم التي أزالها شمر يهرعش أخذت حمير تعلن النفير لاستعادة حضرموت، فاشترك جيشا الدولة الحميرية وهما الخميس أي (النظامي) وجيش الأعراب أي (البدوي) في القضاء على تمرّد قبائل حضرموت كما جاء في نقوش (إرياني ٣٢، وإرياني ٣٩) (٢).

وبعد أن ضعفت الدولة الحميرية أخذت المدن والمستوطنات الحميرية تستقل تبعاً، وأخذ زعماء القبائل والأقوال والأدواء يستقلون بما تحت أيديهم من أراضي

فبلغ مسامع اليونان والرومان، وسجله كتابهم في كتبهم لأول مرة في القارة الأوروبية، وكتب لذلك التسجيل الخلود حتى اليوم، ولكن سجله بشيء من التغيير والتحريف، اقتضته طبيعة اختلاف اللسان، أو سوء السماع، أو طول السفر .

في مطلع القرن الرابع الميلادي أصاب تجارة اللبان والبخور شلل تام بفعل اعتناق الإمبراطور البيزنطي (قسطنطين الكبير) المسيحية، وجعلها الدين الرسمي للإمبراطورية، وهذا الأمر أثر سلباً على تجارة البخور واللبان، الذي أخذ يفقد صفة القداسة نظراً لانحسار المعتقدات القديمة التي كانت تستخدم البخور في الصلوات والطقوس الأخرى، أدى ذلك إلى تدهور مملكة حضرموت إضافة إلى الصراعات التي كانت تشهدها ممالك جنوب الجزيرة في ما بينها، وكان من نتائجها انهيار تلك الممالك القديمة وبروز قوى محلية جديدة كحمير ودخول قوى أجنبية إلى الساحة كالفرس والأحباش .



علي سالم علي باهادي*

١- مدخل :

تقع حضرموت في الزاوية الجنوبية الشرقية من الجزيرة العربية، وقد اختلف المؤرخون اختلافاً كبيراً في حدودها، ويرجع ذلك إلى الناحية السياسية في الأكثر، وقامت على أرض حضرموت في الألف الأول قبل الميلاد مملكة امتدت لمساحات واسعة من جنوب الجزيرة العربية، واتخذت لنفسها مكانة بارزة بين ممالك جنوب الجزيرة المجاورة لها، وقد قطع اسمها مئات من الأميال قبل الميلاد،



٢/٢ عبادة الأصنام

إن عبادة الأصنام هي إحدى الديانات الوثنية القديمة، وقد انتشرت في مناطق مختلفة، وكان نبي الله نوح هو أول رسول بعثه الله لإعادة البشر إلى الطريق السوي بعد أن انحرفوا إلى عبادة الأصنام، ويبدو أن الصلات التجارية بين تجار وسط الجزيرة وبلاد الشام والرافدين قد أدخلت تلك الأصنام إلى شبه الجزيرة العربية ومكة المكرمة؛ حيث تشير كتب السنة النبوية إلى رجل يدعى عمرو بن لحي بأنه أول من أدخل الأصنام إلى مكة.

ويبدو أن غياب السلطة المركزية وسقوط الكيان السياسي بحضرموت ودخولها في إطار التبعية لقوى خارجية قد سمح بدخول تلك العبادات الوثنية إلى المنطقة وانتشارها على حساب الديانة القديمة. ومع ذلك فقد تعايشت المعتقدات الوثنية للبدو الرُّحَّل النازحين من وسط الجزيرة العربية جنباً إلى جنب مع بقايا عبادات الشرك للسكان الحضارة الأصلاء ومع ديانتَي التوحيد اليهودية والمسيحية اللتين دخلتا إلى المنطقة مريضتين من أممهم الوثنية القديمة (١٣).

الأصنام التي عبدها الحضارم

عشية ظهور الإسلام :

تذكر المصادر العربية القديمة عدداً من الأصنام التي عبدها الحضارم ودارت حولها بعض الطقوس والعبادات والنذور، وهي أصنام يشترك في عبادتها مجموعة قد تكون قبيلة أو قبائل عدة :

١. صنم ذريح : الذي عبدته حضرموت، وكان بحصن النجير في حضرموت، وكانت تلبسته: (لبيك اللهم لبيك كننا كنود وكلنا لنعمه جحود فاكفنا كل حية رصود) (١٤)، والملحوظ في هذه التلبية استخدام كلمة كنود بمعنى (العصاة) وذلك لمقاربتها في النطق مع كلمة كندة المشتركة معها في الجذر، ولا نجد في المصادر ما يوضح نوع الإله الذي يمثل ذريح المذكور، وقد أرجعه أحد الباحثين إلى الفعل اليهودي زرح، والآرامي دنح بمعنى أشرق أو سطعت الشمس، وضمه آخر إلى مجموعة الآلهة الكوكبية (١٥). يتضح مما سبق أن حصن النجير (١٦) الذي هو معقل كندة وكان آخر مراكزهم أثناء حروب الردة بحضرموت لم تكن له أهمية حربية وعسكرية فقط بل كانت له أهمية دينية أيضاً.

١/٢ عبادة الأجرام السماوية

تعد عبادة الأجرام السماوية والكواكب إحدى الديانات التي انتشرت في حضارات العالم القديم، وكانت الديانة اليمنية القديمة ديانة فلكية، أي: أنها تقوم على عبادة آلهة تجسدها أجرام سماوية تماماً كبقية الشعوب العربية أو السامية الشمالية، ومهما اختلفت أسماء الآلهة عند قبائل اليمن وممالكها فإنه يمكن إدراجها تحت أحد أجزاء ثالوث يتكون من الزهرة والشمس والقمر (١٠).

وانتشرت في حضرموت عبادة القمر وسمي ذلك الإله بالآله (سين)؛ حيث انتشرت المعابد في طول البلاد، ووجدت الكثير من النقوش في أنقاض وخرائب المعابد والمستوطنات الحضرمية تحتوي على نذور وإهداءات للإله سين، وذلك في فترة ازدهار مملكة حضرموت، لكن مع سقوط حضرموت - في نهاية القرن الثالث بداية القرن الرابع الميلادي - ودخولها في إطار الدولة الحميرية اختلفت تلك النقوش النذورية المهداة للمعابد، ومع ضياع الاستقلالية السياسية للمنطقة انقرضت العبادات المرتبطة بالآلهة المحلية وبالذات (سين) الإله الرئيس والرسمي لمملكة حضرموت القديمة، وكان انتشار الديانتين اليهودية والمسيحية في جنوبي الجزيرة العربية ومن ضمنها حضرموت بمثابة الضربة النهائية لديانات الشرك التقليدية في المنطقة (١١).

أما قبيلة كندة التي نزحت إلى حضرموت في تلك الأثناء فلم يكن وضعها الديني غريب عن السكان المحليين؛ حيث تشير المســـتندات التاريخية إلى أن ديانة الكنديين تجسدت من خلال الإله (كهل) المعبود الرئيس لأهل (قرية)؛ حيث كانت تقيم كندة في دهرها الأول، و(كهل) هو إله (القمر) عند الحضارم، وكان في حياة رجل مسن. وبغير هذه الإشارة فإن الرقوم اليمنية لا تسعفنا بشيء البتة عن ديانة كندة القديمة لتبقى معلوماتنا رهينة لما روثه لنا المصادر العربية على اقتضاها وتأخرها، ويبدو أن الكنديين قد كانت تتجاذبهم ديانات عدة؛ إذ تعايشت معهم الديانة الوثنية والتوحيدية في الوقت ذاته (١٢).

وأودية (٣)، وقد ضعفت دولة الحميريين بعد استيلاء الأحباش على اليمن، وفي الفترة التي تسبق الإسلام مباشرة كان حكم حضرموت في يد قبيلتي حضرموت وكندة، ولكل من القبيلتين ملوك وأمراء، والواقع أن تسميتهم بملوك إنما هو تجوُّزاً لأنهم مشايخ عشائر واقطاعيون نعتوا أنفسهم بملوك وكثيراً ما سمّت العرب مشايخها الأقوياء بالملوك (٤).

وقد نزحت قبيلة كندة تاركة ديارها الأصلية من وسط الجزيرة العربية (ويبدو أن تدهور الأوضاع في حضرموت قد شجعها على ذلك النزوح) فنزلت كندة في اثنين من أودية حضرموت: وادي دوعن ووادي العبر (٥)، ثم تفرقوا في قرى حضرموت ومدنها، فكان بنو عمرو بن معاوية في مدينة تريم، ونزل بنو الحارث الملك في دمنون وجاوروا بها إخوانهم من الصدف (٦).

وأخذت الصراعات القبلية في حضرموت تزداد في أعقاب نزوح قبيلة كندة إليها، فكانت علاقة أقبال حضرموت مع كندة هي الحرب، وقد دخلوا في حروب كثيرة حتى كاد الفناء أن يعمهم، وكانت الغلبة في الأكثر لكندة، وقد تتحدّان معاً ضد الغزو الخارجي (٧)، ولم يحجز بينهما إلا ظهور الإسلام (٨)، بالإضافة إلى العلاقات المضطربة مع القبائل المجاورة سلماً وحرباً، فقد كانت كندة في حالة نزاع مع مذحج، وقد نشبت بينهم الغارات المتبادلة إلى حد أن ملك كندة قيس بن معد يكرب والد الأشعث بن قيس قد قُتل في معركة مع (مراد) المذحجية، وكانت قبيل البعثة بحوالي خمس سنين، وقد أراد الأشعث أن يثار لأبيه فوقع في الأسر فافتدى نفسه بثلاثة آلاف بغير، ولم يعرف أن أحداً افتدي بمثل هذا الفداء من العرب (٩).

٢) المعتقدات الوثنية بحضرموت

قبيل الإسلام :

عرف الحضارم العديد من المعتقدات الوثنية قبيل الإسلام وشاركوا سكان المجتمعات المجاورة لهم في الكثير منها وانفردوا ببعض منها، ومارسوا طقوساً وثنية مختلفة، وقد ساهمت الديانات التوحيدية عند دخولها حضرموت في إزالة تلك الرواسب الوثنية.



٢. صنم مرحب : وعبدته الحضارمة ، وزعموا أن له سادناً اسمه (ذو مرحب) مثله مثل أي صنم كان في وسط الجزيرة العربية ، ويعني اسم ذريح في النقوش العربية المتأخرة اسم لمبنى معين . وتوجد بالمتحف الوطني بمدينة عدن قطعة حجرية بها نقش يذكر (شمسم بعلت مرحبم) ، وإذا حكمنا من شكل الحجر الذي هو عبارة عن صخرة معمولة بشكل رديء كانت تقع بجانب صخرة كبيرة عبارة عن بيت إيل أي بيت إله ، فإن مصطلح مرحبم في هذه الحالة يجب فهمه كموضع طبيعي وليس كمبنى للعبادة .

٣. صنم الجلسد : وهو عبارة عن صخرة بيضاء لها ما يشبه رأس أسود ، إذا تأمله الناظر رأى فيه كصورة وجه إنسان ، وكانت له حمى ترعى فيه بحرية تامة الإبل التابعة له ، ويفقد المالك حق ملكيته لحيواناته إذا اضطرها الجوع لأن تدخل في حمى الجلسد . وهنالك عادات وطقوس يجب القيام بها قبل الوقوف أمام الجلسد لطلب مساعدته في الشؤون اليومية ، مثل العثور على الإبل الضائعة يجب أخذ ثوبين نظيفين من السدنة ولبسهما ، ويعتبر الدخول إلى المعبد في جنوب الجزيرة في ثياب نجسة ذنباً يتوجب على صاحبها التوبة منه ، ويعتبر ذلك الطقس شبيهاً بالوضوء في الإسلام ، وهو يهدف إلى الغرض نفسه ألا وهو بلوغ الطهارة الطقوسية ، ويمكن مقارنتها كذلك بالعادة الكنعانية التي توجب لبس ملابس خاصة عند التعبد للإله (بعل) ، وثقافة الحيوانات كالأبل أضحى للجلسد ، ويطلق الصنم بدم الأضاحي ، وتصاغ الطلبات والتضرعات إليه بعبارات مسجعة . ويجب إحناء الرأس عند الاقتراب من الجلسد ، ويعكس ذلك بيت من الشعر الجاهلي قاله المثقب العبدى أو عدي بن وداع:

فبات يجناب شقارى كما

يقتر من يمشي إلى الجلسد (١٧)

والفعل أت على الأرجح من اسم (بقر) ، وتعني في أصلها (مشقية يطاطي فيها الرجل رأسه) ، وتشير الطقوس المرتبطة بعبادة هذا الصنم إلى أنه كان حامياً للمواشي ، وقد كان هذا المعبود موجوداً بأشكال مختلفة لدى الشعوب والقبائل السامية . أما اسم الجلسد فيمكن إرجاعه

إلى (جسـد) أو إلى (الجلسد) التي تعني الصخرة أو الإنسان القوي (١٨) ، وقد اختص بسدانة الجلسد بيت بني علاق من بني شكامة بن شبيب بن السكون من كندة ، وكان له حمى من الأرض (١٩) على الرغم من الأساطير التي تدور حول الجلسد لكن الوصف التفصيلي للصنم نفسه وطقوس عبادته لا تترك شكاً على وجوده الفعلي .

٤. ذو الخلصة : ويقع بتبالة موضع بين مكة واليمن ، وهو منحوت من حجر أبيض عليه ما يشبه التاج ، وكان سدنته بني أمانة من باهلة بن أنصر ، أما عن موقعه اليوم فعتبة باب مسجد تبالة على ما يذكر الكلبي (٢٠) ، ويروى أن أمراً القيس الكندي استقسم عند صنم يدعى ذو الخلصة ، ويوحى ذلك بانتشار الوثنية في كندة قبل الإسلام (٢١) .

٥. الغزى : ويقع خارج حضرموت ، لكن شهرته قد جعلته يصل إلى العديد من القبائل في الجزيرة العربية ، ويعتبر من أعظم الأصنام عند قريش : حيث كانت تقدم له الذبايح وتسمى أبناءها به وتقصد بالزيارة (٢٢) ، ويبدو أن عبادته قد انتقلت مع القبائل النازحة إلى حضرموت من وسط الجزيرة العربية ، وفي المخريشات الحضرمية كثيراً ما نقابل اسم الإله الغزى (٢٣) .

أورد المؤرخون أيضاً أصناماً عبادتها الحضارم وهي أشبه ما تكون بالأصنام الشخصية فقد ذكر علماء السير أن من أسباب وفادة وائل بن حجر وإسلامه قصة حدثت له مع صنمه الذي يضعه في مخدعه ، ويذكر الشاطري نقلاً عن المؤرخ أحمد دحلان أن صنم وائل كان من العقيق (٢٤) ، وقد سمع منه هاتفاً ودار بينهما حديث في قصة طويلة رواها أهل السير والحديث ، ويتضح من قصة صنم وائل اهتمام الحضارم باقتناء الأصنام ، ويبدو أن مكانة وائل بن حجر الاجتماعية قد جعلته يمتلك صنماً من العقيق ، والذي حطمه قبل ذهابه إلى المدينة وإعلان إسلامه .

٢ / ٢ طقوس وسلوكيات وثنية :

لم تصل إلينا الكثير من النصوص الدينية المطولة من قصص وأساطير وأدعية وصلوات كما هو الحال مع الشعوب السامية الأخرى ، ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة الكتابة الحجرية على الأحجار والتي

التزمت الإيجاز في كل ما تعرضت له من موضوعات دينية وديونية ومع ذلك فإن النصوص على إيجازها صيغ تكاد تكون جامدة ومكررة ، تدل دلالة قوية على عمق الشعور الديني (٢٥) ، لكن على الرغم من شحة المعلومات في تلك المصادر التي لم تبين الكثير من الطقوس التي أداها الحضارم في عبادتهم الوثنية فإننا يمكن إيجازها في الآتي :

أ. السحر : وكان منتشرًا بحضرموت : إذ كان الاعتقاد بالسحر والسحرة مشاعاً في الناس وذلك حسبما ذكره ابن سعيد المغربي وابن خلدون في مؤلفاتهما . وقد ذكرت لنا بعض المصادر وجود السحرة في أوساط قبيلة السكاسك الذين كانوا يؤهّمون الناس استعطائهم إيقاف السحابة العاطرة وجلب السيول المفاجئة (٢٦) ، وحاول السكان حماية أنفسهم من تلك القوى الخارقة من خلال وضع التمايم على الرقاب والتي هي عبارة عن سنن الثعلب وتبدو أقرب إلى شكل الهلال (٢٧) والذي يرمز إلى إله القمر .

ب. الكهنة : حيث وجد الكهنة في القبائل الحضرمية قبل الإسلام ، وكان مركزهم الاجتماعي وكذا علاقة الآخرين بهم مختلفة أشد الاختلاف . ومن هؤلاء الكهنة الكاهن الغني المشهور (خنافر بن التؤام الحميري) الذي يملك قوات محاربة خاصة به ، وقد داخل في حلف مع الزعيم المهري القوي (جودان بن يحيى القرظي) ، كذلك الكاهنة (زبراء) وهي جارية مقطوعة النسب وهي من مولدات العرب ، ويبدو أن وضعها الاجتماعي قد جعل تكهنتها محل سخرة الناس (٢٨) ، وكان الكهنة يتدخلون في الحياة العامة بـصور مختلفة ويتميزون بمكانة مرموقة (٢٩) . وكانت كندة تستخدم النسيء ، وقيل كانت أول من استخدمه (٣٠) .

ج. الصيد المقدس : في بداية العصور التاريخية في جنوب الجزيرة العربية انتشرت مناظر صيد الوعول : حيث كانت ترافقه طقوس وشعائر دينية موسمية امتدت إلى بداية الديانة الكوكبية في جنوب الجزيرة ، وأصبح تقديس الوعل وصيده من الشعائر الدينية التي يقوم بها الملك ، وظهرت لوحات برزت فيها عمليات صيد الوعل وتوسّنت بها أعمدة المعابد وجدرانها . وبعد أن تطورت وسائل الإنتاج



حضر موت تنسب إلى أنبياء بعثهم الله و أدركتهم المنية بحضر موت ، والأنبياء هم دعاة التوحيد والإيمان بالله الواحد .

٣/ الديانة اليهودية :

في عام ٧٠ ميلادية وفد من فلسطين فراراً من حكم الإمبراطور الروماني تيتوس (Titus) كثير من اليهود إلى اليمن، ووجدوا بلداً آمناً يأوون إليه ، ومكاناً حصيناً يقيمون فيه ، وبعد مضي فترة قصيرة من الزمن تمكنوا من السيطرة على مرافق اليمن التجارية، وكان اليمنيون في شغل شاغل بأنفسهم وبحروبهم الداخلية وتدمير بعضهم بعضاً.

وكان أول من اعتنق اليهودية من ملوك اليمن المتأخرين الملك أسعد الكامل، الذي حكم اليمن من عام ٣٨٥ إلى ٤١٥ بعد الميلاد ، وتبعه جماعة من أصحابه في اعتناق اليهودية (٣٨) .

وربما أتت تلك الهجرة إلى اليمن لوجود جماعات من القبائل اليمنية أمنت باليهودية من قبل ، فليس من المعقول أن تأتي تلك الجماعة اليهودية من غير سابق تخطيط ولا تدبير إلى مكان مجهول بالنسبة إليها . وفي تلك الفترة بدأت تنتهي عبادة الآلهة الكوكبية، وظهرت مرحلة الديانة السماوية التي استمرت بين عامي (٤٩٣ م - ٦٦٩ م)، وبدأت النقوش الجنوبية تذكر أسماء الآلهة الرسمية، وأصبح الدعاء باسم (رب السماء) أو (إله السماء والأرض) أو (رحمن) أي الرحمن، ومنذ منتصف القرن الرابع الميلادي كان قد تم بناء الكنائس في حضارة جنوب الجزيرة العربية؛ حيث اشتد الصراع وبدأ العنف الديني، خاصة ما حدث في عهد الملك (يوسف أسار) المعروف في المصادر العربية بذي نواس الذي اعتنق الديانة اليهودية (٣٩) .

وفي حضرموت انتشرت الديانة اليهودية، لكن لا توجد معلومات ذات شأن حول بداية تغلغلها في حضرموت لا في المصادر النقشية ولا في مدونات التاريخ، ويبدو أنها أتت مع قبيلة كندة التي سرت إليهم أيام اتصالهم بالتبابعة أو من مجاورة اليهود في يثرب عندما كانوا ملوكاً على قبائل معد (٤٠) . ولم تنتشر الديانة اليهودية في حضرموت بفضل الدعاة اليهود من السكان المحليين فحسب بل وبواسطة البدو النازحين من وسط الجزيرة العربية أيضاً.

د. الزجر : وهي عادة جاهلية انتشرت بين الكثير من القبائل العربية ، وتقوم على أساس زجر الطير أو الوحش ، وملاحظة الناحية التي يسلكها لبيني على ذلك تفاؤله أو تشاؤمه ، وقد كان هذا الاعتقاد منتشرًا لدى سكان حضرموت الأصليين ، فبحسب رواية علقمة وعبد الجبار ابني القيل وائل بن حجر فإن والدهما كان من مشاهير الزاجرين (٣٤) ، وعلى الرغم من أن الإسلام يعد الزجر من بقايا الوثنية الجاهلية فإنه تذكر لوائل بن حجر قصة في ذلك بعد استقراره في الكوفة بعد الإسلام.

هـ. جزر النواصي : وهي من عادات الأعراب في الجاهلية؛ حيث يجز شعر الناصية قبل الدخول في المعركة إشارة إلى الاستعداد للموت من أجل حمى القبيلة ، واعتبره البعض له معنى طقوسي يتمثل في تقديم خصل الشعر المجزوز كضاحي للآلهة الوثنية ، وفي يوم النجير مع أحداث الردة قام رجال كندة بجزر نواصيهم التي كانت رمزاً لتساوي الجميع، وتنادوا فيما بينهم البين لقتال المسلمين، وقاموا بتعليق نواصيهم بعد جزها على أسنة الرماح، وأقسموا أن يموتوا بشرف وعزة حسب ما أورده فرانتسوزوف نقلاً عن ابن أعثم الكوفي (٣٥) .

أما فيما يتعلق بطقوس دفن الموتى في حضرموت قبل الإسلام فالمعروف عنها قليل جداً، فلقد كان الميت يوارى الثرى، ويعتبر عدم دفنه إهانة بالغة له (٣٦) . وكان عرب الجنوب لم يبدوا عناية بإنشاء المقابر مثل عنايتهم بتشييد المعابد، وأثناء الحفريات الأثرية تم الكشف عن أنماط من طرق الدفن، وتوجد في عدد من القبور نصب على هيئة أعمدة ملساء، يكتب في الجهة الأمامية اسم المتوفى، وتحتة يوجد مكان مربع قد ينتهي بجزء صغير لرسم المتوفى (٣٧) .

٣ الديانات التوحيدية بحضرموت قبل الإسلام :

تعود صلة حضرموت بالديانات التوحيدية إلى أزمان بعيدة؛ إذ أشار الكثير من الإخباريين العرب والمفسرين أن بلاد الأحقاف التي ذكرت في القرآن الكريم، وكانت محل بعثة النبي هود عليه السلام هي بلاد حضرموت ، كذلك استقر بحضرموت نبي الله صالح وبها دفن، وتوجد قبور في مناطق مختلفة من

وتحسنت الظروف الاجتماعية وأخذت الديانات التوحيدية تنتشر شيئاً فشيئاً في ربوع الجزيرة العربية بدأت مهنة الصيد لا تؤدي غرضها الديني، بل أصبحت عادة بين المجتمعات كنوع من القوة والزعامة والتفاخر بين العرب، ونظراً لما يمثلها الوعل من مظاهر الشموخ والقوة فقد اتخذته بعض حضارات جنوب الجزيرة رمزاً مقدساً للإله (عثر)، وهو إله الزهرة، وله مكانة عالية في نفوس سكان جنوب الجزيرة العربية . وبما أن مجتمعات جنوب الجزيرة زراعية فقد كانت تقوم بالصيد المقدس كأحد الطقوس الدينية التي ترضي الإله كي يمن عليها بالخير والبركة، وعلى حسب اعتقادهم فإن أداء الصيد المقدس يجلب لهم نزول المطر؛ كي يروون الأرض، وتحل بهم النعمة، وإهماله قد يؤدي إلى غضب الإله، وكان يرافق الصيد المقدس بعض الاحتفالات قبل الصيد وبعده، ويعم الفرخ جميع من خرج في الرحلة، بالإضافة إلى اعتقادهم بأن صيد الوعل يجلب خصوبة الأرض، ويتضح أن المناطق التي تناسب عيش الوعول تكون من أفضل المناطق الزراعية (٣١)، وقد عرفت حضرموت الصيد منذ القدم تدل على ذلك الرسوم الصخرية ورسومات المنحوتات، وتقدم تلك النقوش معلومات عن وجود طقس الصيد الملكي في حضرموت القديمة ، وفي حضرموت لازال الناس يمارسون صيد الوعل إلى الزمن الحديث ويستبشرون عند صيده بدورة زراعية جيدة (٣٢)، ويذكر الأستاذ محمد بافقيه أن من المعتقدات القديمة التي لازالت باقية إلى اليوم وضع قرني الوعل في زوايا المنازل من الخارج، أو وضعها على بعض القبور كما يشاهد في مدافن شبوة الحديثة، وقرنا الوعل كقرني الثور يذكران بالهلال (٣٣) رمز الإله القمر . وقد اختفى ذلك الطقس الديني مع انتشار الديانات التوحيدية في حضرموت، لكن العادة ظلت مستمرة، ولازال قنيص الوعول يستهوي الكثير، ويعد من الرياضات الشعبية التي يقوم بها السكان، وتستقبل جموع العائدين من القنيص في أطراف المدن بالأهازيج، ويعم الفرخ وترف المواكب إلى داخل ساحات المدن، وتوضع قرون الوعول على البيوت للتفاخر والزينة، بقيت العادة بشكلها الاجتماعي الشعبي منذ تلك العصور واختفى الارتباط الديني فيها .



وينقل الباحث الروسي فرانتسوزوف عبارة من مخطوطة تاريخية للسيد علي بن حسن العطاس يذكر فيها (أنه كانت قبل مبعث النبي - صلى الله عليه وسلم - جالية يهودية بمدينة حريضة أزاحتها من المدينة قبائل السكون فيما بعد)، وعلى الأرجح فإن غالبية أعضاء هذه الجالية يعودون إلى السكان الأصليين (٤١)، و يذكر ابن عبيد الله السقاف نقلًا عن شخص لم يسمه، يقول إن حريضة مصحفة عن قريظة، ودل على ذلك بأنها كانت مسكن اليهود قبل البعثة بأربع مائة سنة، وفي نقله عن مذكرات أحمد بن حسن العطاس يذكر أن حريضة كانت لليهود قبل النبوة، فأسلموا بكتابه صلى الله عليه وسلم، ثم ارتدوا إلى اليهودية وبقوا عليها إلى زمان المهاجر ثم أسلموا (٤٢).

روت المصادر العربية القديمة عددًا من الحوادث التي ترجح أن اليهودية كانت متفشية في حضرموت عشية ظهور الإسلام ولها مكانة بين السكان منها:

- ما ذكره ابن سعد وابن حجر عن حكاية المرأة الحضرمية من منطقة تنعة، الواقعة بالقرب من برهوت، والتي آمنت وخاطت للرسول صلى الله عليه وسلم كسوة حضرمية، بعثت بها مع ابنها كليب بن أسد بن كليب، الذي وفد على الرسول عليه الصلاة والسلام في المدينة المنورة وأعطاه هدية أمه وقال فيه شعراً يمتدحه:

من وشز برهوت تهري بي عذاره

إليك يا خير من يخفى ويتعلم

تجوب صفصفاً غير أمناهل

تزداد عدوا إذا ما كلت الإبل

شهرين اعملها نصاً على وجل

أرجو بذاك ثواب الله يا رجل

أنت النبي الذي كنا نخبره

وبشرتنا بك التوراة والرسول (٤٣)

تتشابه تلك الحكاية مع حكايات لوفود آخرين التقوا بالنبي - صلى الله عليه وسلم - لكن البيت الأخير من القصيدة يشير إلى أن مؤلفه يهودي، والأرجح أنه ينتمي إلى الحضارم الأصليين في المنطقة مثله مثل غيره من سكان تنعة، ويعلل كليب دخوله في الإسلام بما ذكر في التوراة عن قدوم الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - ويدل ذلك على تعمقه في استيعاب نصوص العهد القديم.

- حكاية النزاع الذي حدث بين الملك الكندي الأشعث بن قيس وبين يهودي من حضرموت حول قطعة أرض صغيرة، وجرى التحاكم حولها لدى - الرسول صلى الله عليه وسلم - وتدل تلك الحكاية على قدر التأثير الملحوظ للجالية اليهودية بحضرموت قبل الإسلام (٤٤)، وعلى مدى التعايش بين أتباع الديانات من القبائل الحضرمية، فكان بإمكان الملك الأشعث انتزاع تلك الأرض من ذلك اليهودي بحكم قوته وسلطته على فرع كبير من كندة لكنه فضل أخذها بالحوار.

- حكاية الناقة التي حاولت كندة استردادها من عامل أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد أن سمها بميسم الصدقة، وقد رفض زياد بن لبيد العامل الإسلامي ذلك وظن أنه إنما فعل ذلك ليمتنع عن أداء الصدقة، ودار حول ذلك حوار ثم تطور واتسع النطاق إلى مواجهة عسكرية (٤٥)، وأثناء الحوار بين عامل الخليفة والمتمردين ورفضه إعادة الناقة أجابه الزعيم الكندي أبو السميطة حارثة بن سراقبة بن معد يكره (ذاك إذا كنت يهودياً)، وانطلاقاً من الشريعة اليهودية فإن بإمكاننا القول إن أبا السميطة كان يعني بعبارة (قانون العشر اليهودي)، الذي يحرم استبدال البهيمة التي أعطيت كعشر باعتبارها قدساً للرب، (لا يفحص أجيد أم ردي، ولا يبدله، وإن أبدله يكون هو وبديله قدساً لا يفك) الكتاب المقدس، اللاويين ٢٧:٣٢-٣٣، (٤٦).

ومن ذلك يمكن القول بأن الحضارم لم يكونوا يدينون باليهودية بشكل سطحي، بل كانت لديهم معرفة بأحكام الشريعة اليهودية وتطبيقاتها، ومن خلال احتكاك أبي السميطة الكندي بالجالية اليهودية من كندة جعلته يطالع على تلك التشريعات، والتي يرجح أنها كانت تمارس بين يهود حضرموت.

ومن أشهر اليهود الحضارم الذين ورد ذكرهم في المصادر التاريخية: قيس بن معد يكره (والد الأشعث بن قيس)، وكذا كانت أخته التي ظلت على يهوديتها حتى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكذلك اليهودية هر بنت يأمن وهي من اللاتي قرخن بموت الرسول صلى الله عليه وسلم والتي عاقبها المسلمون بحزم وشدة على فعلتها تلك (٤٧).

٢/٢ الديانة المسيحية

لا يعرف متى كانت النصرانية قد تفشت بين بعض القبائل العربية حتى وصلت إلى نجران في اليمن، ولكن المعروف أن بعض أهالي اليمن اعتنقوا المسيحية عند احتلال الأحباش لليمن في المرة الأولى بين عام ٣٤٠ و٣٧٤ ميلادية (٤٨).

وفي حضرموت يبدو أن انهيار مملكتها قد ساعد بشكل واسع على إحداث تغييرات كبيرة في حضرموت سياسية ودينية، فقد نزحت إليها عدد من المجاميع القبلية من وسط الجزيرة العربية، ويشير المؤرخون إلى أن تلك المجاميع ساهمت في نشر الديانات التوحيدية إلى حضرموت ومنها المسيحية؛ حيث نجد طائفة من الكنديين تدين بالنصرانية خاصة بعد اتصالاتهم بالنصارى إما من خلال علاقتهم بالأحباش في اليمن، أو من خلال البيزنطيين في الشام، وربما تسربت إليهم من نجران معقل النصارى باليمن (٤٩).

وقد وصلت إلى حضرموت حملة حميرية في عام ٥١٨ ميلادية، أي قبل احتلال نجران المركز الرئيس للنصرانية في جنوب الجزيرة العربية، وكان الهدف الرئيس لهذه الحملة مدينة الهجرين الواقعة في وادي دوعن، وقد كانت على الأرجح مركزاً من مراكز الموحدين النصارى، وإلى تلك الفترة يعود الذكر الوحيد لنصارى حضرموت الموجود في (رسالة شمعون من بيت أرشم)، وتوجد علاقات وثيقة بين مسيحيي حضرموت وسوريا في مطلع القرن السادس الميلادي، فقد كان اثنان من القساوسة الأربعة الذين قتلوا في أثناء حملة ذي نواس على حضرموت من قساوسة الأديرة السريانية، وهم مارابيليا ومارتونا. ويوجد من بين السكان المحليين قساوسة، وهذا ما يشير إليه أسماء هؤلاء القساوسة وهو: مار وائل (٥٠). ومن المحتمل أن وصول القساوسة من بلاد الشام إلى حضرموت قد جعل بعض النصارى الحضارم يتفرغ لتلقي تعاليم الشريعة المسيحية حتى أصبح قسيساً.

وفي قصر الرناد بتريم أثناء إحدى عمليات الترميم له في القرن الماضي عثر على قطعة رخامية بها صورة ملاك مجنح، وهي الشاهد الأثري الوحيد لوجود الجالية المسيحية بحضرموت، لكن مع ذلك فإننا



الجزيرة العربية واستقرت بحضرموت محدثة تغيرات في التركيب الاثني والديني للمنطقة .

كان لسقوط مملكة حضرموت دور في تلاشي ديانتها الوثنية القديمة المرتبطة بعبادة الإله (سين)، وسمح ذلك بتنوع المعتقدات الدينية بحضرموت في القرنين الخامس والسادس الميلاديين بين معتقدات وثنية وتوحيدية، لكن ما يميزها أنها تعايشت جميعاً ومع بقايا الوثنية القديمة، رغم حالة الاضطراب السياسي بحضرموت خلال تلك الفترة والاقتتال شبه المستمر بين القبائل غير أنه لم تسجل حالة صدام مسلح بين الطوائف الدينية، وبقيت في حالة من التعايش الديني حتى ظهر الإسلام وظفر الحضارم بالدخول فيه. كان لصلات الحضارم التجارية بممالك ودول العالم القديم دور في التعرف على الديانتين اليهودية و المسيحية، واشتهر العديد من الحضارم الذين دانوا بتلك الديانات .

مارس سكان حضرموت في تلك الأزمان العديد من الطقوس الوثنية والتوحيدية كدلالة على تعمقهم الديني، وتدل كثرة المعابد المنتشرة في طول حضرموت، والتي كشفت عنها التنقيبات الأثرية على تدين الحضارم منذ تلك العصور، وقد اشتهرت شبوة عاصمة حضرموت الثانية عند الرحالة الغربيين بمدينة المعابد. وكذلك الأشعار التي تنسب إلى مرحلة ما قبل الإسلام بحضرموت تبين مدى معرفة الحضارم بالطقوس الدينية المختلفة .

إن حالة عدم الوحدة والتفكك الديني الذي عاشه الحضارم في القرنين الخامس والسادس الميلاديين قد ساعد بشكل كبير على تقبل الحضارم للإسلام وتعاليمه والمشاركة في بناء حضارته في فترات لاحقة . لا تزال الدراسات العلمية في هذا الجانب شحيحة، وهذه الورقة جهد متواضع قام به الباحث للمشاركة في سد الفجوة العلمية عن تلك الحقبة من تاريخ حضرموت، و إنني أبوح بالشكر والتقدير والعرفان لكل من قام بالتوجيه والإرشاد لي عند إعداد أو قراءة هذه الورقة، فهذا عمل بشري ويعتريه النقص والخطأ، ويستسمحني عذراً كل من وجد تقصيراً وكان يطمح لأفضل من هذا، وأسأل الله العلي القدير أن يوفق الجميع لكل خير .

وحرمت الخمر علي حتى

أكون يعقر ملحود دفينا
وقد علل امتناعه عن شرب الخمر وعمله ذلك بالآتي :

فلا والله لا ألفى ولا شرباً

أنازعهم شرايا ماحيت

أبي ذاك آباء كرام

و أخوال بعزمهم ربيت (٥٥)

وكذلك كان قيسبة بن كلثوم السكوني الذي كان منذ نشأته يميل إلى التحنن والعبادة (٥٦)، وفي النهاية ظفر ذلك التيار بالدخول في الإسلام .

ج . حج بيت الله الحرام :

اعتادت القبائل العربية على الوفاة إلى مكة لحج بيت الله بطرق وأساليب وضعوها لأنفسهم، وكانت قبائل حضرموت تحج البيت، فكانت كندة تعظم البيت، وقيل إنهم أفضل من يحج البيت من اليمن، وكانت تلبيتهم (لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك تملكه أو تهلكه، أنت حكيم فاتركه) (٥٧)، وكانت القبائل العربية في الجاهلية تقسم إلى عدد من التجمعات الدينية القبلية التي تختلف طقوس حجا إلى مكة حسب ما ذكره الإخباريون الذين عاشوا مع بداية الإسلام، فهناك ثلاث مجموعات :

• قبائل الحمير : وهم القبائل المتشددة في طقوسها .

• قبائل الحلة : وهم القبائل التي لا تراعي المحرمات كثيراً .

• قبائل الطلس : وتضم سكان اليمن وحضرموت وهم بين الحلة و الحمير (٥٨) .

الخاتمة :

في القرن الرابع الميلادي حدثت العديد من التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في حضرموت، ففي تلك الفترة انهار الكيان السياسي لمملكة حضرموت إثر نزاع طويل مع جاراتها ممالك جنوب الجزيرة العربية بالإضافة إلى كساد تجارة البخور واللبان أهم موارد حضرموت الاقتصادية بعد انتشار الديانات التوحيدية في البلدان المستوردة له، وقد سمح التفكك السياسي بدخول مجاميع من القبائل البدوية التي كانت تجوب وسط

لا نملك دليلاً على أن تلك القطعة متصلة بمسيحيي حضرموت بالفعل، أو أنها قد أهديت لهم، أو تم جلبها إلى المنطقة كغنيمة حرب من منطقة أخرى. وتذكر بعض المراجع المحلية مثل (البرد النعيم) و(صلة الأهل) أنه في إحدى المرات التي تمت فيها عمليات حفر حول جامع تريم القريب من قصر الرناد تم مشاهدة قبور موجهة إلى القبلة العيسوية، وبحكم قرب المنطقتين (الجامع والرناد)، وعند الجمع بين الإشارتين (التي تؤكد كل واحدة الأخرى) فإنه من المحتمل أن تكون بتلك المنطقة آثار أخرى لمسيحيي حضرموت . ومن أشهر النصارى الحضارم الذين ذكروهم المصادر التاريخية : العاقب عبدالمسيح وهو زعيم كندة بنجران، وأكيدر بن عبد الملك السكوني صاحب دومة الجندل، الذي صالحه الرسول على الجزية، وكان حرمة بن المنذر بن معد يكر ب الكندي نصرانياً، وكذا كان حجية بن المضرب وبنيه (٥١) .

٢/٢ شعائر وسلوكيات توحيدية :

ظهرت بين الحضارم الكثير من الحدود والأخلاقيات الإسلامية المبكرة، تعود بجذورها إلى ما هو متعارف عليه من عادات وتقاليده في الجاهلية ومنها :

أ . القسم بالله ودعاؤه عند المهمات :

فقد نقل باحنان عن أبي الفرج الأصفهاني حادثة اختطاف الملك السكوني قيسبة بن كلثوم عند خروجه إلى الحج من قبل بني عقيل؛ حيث مكث عندهم ثلاث سنين مقيداً في الحبس وأهل اليمن يظنون أن الجن قد خطفته، فلما طال به المقام رفع طرفه إلى السماء وقال: اللهم ساكن السماء فرج ما بي وما أصبحت فيه، ففرج الله عنه بعد ذلك، في قصة طويلة (٥٢). وكانت كندة تعرف الأشهر الحرم تعظيمها (٥٣)

ب . الامتناع عن الزنى والميسر وشرب الخمر : وقد ظهر من بين الحضارم من كانت تسمو أنفسهم عن كثير من تلك الآثام مثل عفيف بن معد يكر ب الذي امتنع عن الخمر والميسر والزنى وكان يؤمن بالله (٥٤)، وقد عبر عفيف الكندي عن امتناعه عن الخمر بقوله:

وقالت لي حلم إلى النصاي

فقلت عفت عما تعلمينا

وودعت القداح وقد أراي

لها في الدهر مشعوقاً رهينا



الهوامش :

- * نائب مدير مركز الرناد للتراث والأثار والعمارة- تريم - حضرموت .
١. علي: جواد، المفصل، مرجع سابق، ج٢، ص١٣٠ .
٢. بافقيه : محمد عبد القادر، تاريخ اليمن القديم ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، ط ١٩٨٥، م١، ص١٤٦ .
٣. الحامد : صالح بن علي ، تاريخ حضرموت ، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط٢، ٢٠٠٣، ج١، ص١٤ .
٤. الشاطري : محمد احمد ، ادوار التاريخ الحضرمي ، دار المهاجر ، المدينة المنورة ، ط٣، ١٩٩٤م، ص٦٠ .
٥. الهمداني : الحسن بن احمد ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الاكوع ، صنعاء ، مكتبة الإرشاد ، ١٩٩٠، ص١٦٨ .
٦. العبدولي : بناجي ، قبيلة كندة في صدر الإسلام والدولة الأموية ، دار حضرموت ، المكلا ، ط١، ٢٠١٠م، ص٤٦ .
٧. الشاطري ، مرجع سابق ، ص٦١ .
٨. الشجاع ، تاريخ اليمن في الإسلام ، ص٣٦ .
٩. الشجاع ، مرجع سابق ، ص٤٥ .
١٠. بافقيه ، مصدر سابق ، ص٢٠٢ .
١١. فرانتسوزوف : سرجيس ، تاريخ حضرموت السياسي والاجتماعي قبيل الإسلام وبعده ، ترجمة الدكتور عبدالعزيز جعفر بن عقيل ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، المعهد الفرنسي للآثار ، ص٨٢ .
١٢. العبدولي : بناجي ، قبيلة كندة في صدر الإسلام والدولة الأموية ، دار حضرموت ، المكلا ، ط١، ٢٠١٠م، ص٤٨ .
١٣. فرانتسوزوف ، تاريخ حضرموت ، مرجع سابق ، ص٨٢ .
١٤. العبدولي ، مرجع سابق ، ص٤٨ .
١٥. فرانتسوزوف ، مرجع سابق ، ص٨٤ .
١٦. حصن النجير اختلف المؤرخون في موقعه ورجح الكثير انه يقع شرقي تريم .
١٧. ابن الكلبي، هشام ، كتاب الأصنام ، تحقيق أحمد زكي باشا ، ص ١٠٨ .
١٨. فرانتسوزوف ، مرجع سابق ، ص ٨٤ .
١٩. العبدولي ، مرجع سابق ، ص ٤٨ .
٢٠. ابن الكلبي، هشام ، كتاب الأصنام ، تحقيق أحمد زكي باشا ، ص ٢١٠ ، ٣٥٠ ، ٣٤٠ .
- العبدولي ، مرجع سابق ، ص ٤٨ .
٢٢. ابن الكلبي : ، كتاب مصدر سابق ، ص ١٨ .
٢٣. فرانتسوزوف ، مرجع سابق ، ص ٨٣ .
٢٤. الشاطري ، ادوار التاريخ الحضرمي ، عالم المعارف ، ص ١٠٧ .
٢٥. بافقيه ، مصدر سابق ، ص ٢٠٤ .
٢٦. ابن خلدون : عبد الرحمن ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٤ ، د. ت. ، ج ٢ ، ص ٢٧٦ ، فرانتسوزوف ،

مرجع سابق ، ص ٨٦

- قائمة المصادر والمراجع :
- أولا : المصادر العربية :
- ابن حجر : العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د. ت .
- ابن خلدون : عبد الرحمن ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٤ ، د. ت .
- ابن الكلبي، هشام ، كتاب الأصنام ، تحقيق أحمد زكي باشا ، نسخة الكترونية ، د. ت .
- الهمداني : الحسن بن احمد ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الاكوع ، صنعاء ، مكتبة الإرشاد ، ١٩٩٠م .
- ثانيا : المراجع والدراسات الحديثة :
- باحنان : محمد بن علي ، جواهر من تاريخ الاحقاف ، دار المنهاج ، جدة ، ط ١ ، ٢٠٠٨م .
- بافقيه : محمد عبد القادر ، تاريخ اليمن القديم ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٥م
- بامطرف : محمد عبد القادر ، المختصر في تاريخ حضرموت العام ، دار حضرموت ، ط ٢ ، ٢٠٠٨ .
- الحامد : صالح بن علي ، تاريخ حضرموت ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ط ٢ ، ٢٠٠٣م .
- الحسني ، جمال محمد ، الإله سين في ديانة حضرموت القديمة ، دار جامعة عدن ، ط ١ ، ٢٠١٤م .
- السقاف : عبدالرحمن بن عبيد الله ، ادام القوت ، تحقيق محمد باذيب ، دار المنهاج ، ط ١ ، ٢٠٠٥م .
- السقاف ، عبدالله محمد ، تاريخ الشعراء الحضرميين . مكتبة المعارف ، السعودية ، ط ٢ ، ١٤١٨هـ .
- الشاطري : محمد احمد ، ادوار التاريخ الحضرمي ، دار المهاجر ، المدينة المنورة ، ط ٣ ، ١٩٩٤م
- الشاطري : محمد بن احمد ، ادوار التاريخ الحضرمي ، عالم المعرفة ، مدينة جدة ، ط ٢ ، ١٩٨٢م .
- الشجاع ، اليمن في صدر الإسلام ، دار الفكر ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٨٧ .
- طعيمان ، علي مبارك ، صيد الوعول نشاط مقدس في ديانة جنوب الجزيرة العربية (قديما) ، مستند pdf ، د. ت .
- العبدولي : بناجي ، قبيلة كندة في صدر الإسلام والدولة الأموية ، دار حضرموت ، المكلا ، ط ١ ، ٢٠١٠م
- علي : جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ٢ ، ١٩٧٧ .
- فرانتسوزوف سرجيس ، تاريخ حضرموت السياسي والاجتماعي قبيل الإسلام وبعده ، ترجمة د. عبد العزيز جعفر بن عقيل ، ط ١ ، ٢٠٠٤م .
٢٧. بافقيه ، مصدر سابق ، ص ٢٠٤ .
٢٨. فرانتسوزوف ، مرجع سابق ، ص ٨٦ .
٢٩. بافقيه ، مصدر سابق ، ص ٢٠٧ .
٣٠. العبدولي ، مرجع سابق ، ص ٥٠ .
٣١. طعيمان ، علي مبارك ، صيد الوعول نشاط مقدس في ديانة جنوب الجزيرة العربية (قديما) ، ص ١٤٤ .
٣٢. الحسني ، جمال محمد ، الإله سين في ديانة حضرموت القديمة ، دار جامعة عدن ، ط ١ ، ٢٠١٤م .
٣٣. بافقيه ، مصدر سابق ، ص ٢٠٦ .
٣٤. الشاطري ، الأدوار ، ص ١٠٨ . فرانتسوزوف ، مرجع سابق ، ص ٨٦ .
٣٥. فرانتسوزوف ، مرجع سابق ، ص ٨٧ .
٣٦. المرجع نفسه ، ص ٨٧ .
٣٧. بافقيه ، مصدر سابق ، ص ٢٠٦ .
٣٨. بامطرف ، المختصر في تاريخ حضرموت العام ، ص
٣٩. طعيمان ، علي مبارك ، صيد الوعول نشاط مقدس ، مرجع سابق ، ص ١٣٥ .
٤٠. العبدولي ، مرجع سابق ، ص ٤٨ .
٤١. فرانتسوزوف ، تاريخ حضرموت ، مرجع سابق ، ص ٨٩ .
٤٢. السقاف ، ادام القوت ، ص ٢٨٤ .
٤٣. ابن حجر ، الإصابة في معرفة الصحابة ، ج ٣ ، ص ٢٨٩ . السقاف ، تاريخ الشعراء الحضرميين ، ص ٤٨
٤٤. فرانتسوزوف ، مرجع سابق ، ص ٩٠ .
٤٥. العبدولي ، قبيلة كندة ، مرجع سابق ، ص ٨٢ .
٤٦. فرانتسوزوف ، مرجع سابق ، ص ٩١ .
٤٧. العبدولي ، مرجع سابق ، ص ٤٩ .
- فرانتسوزوف ، تاريخ حضرموت ، مرجع سابق ، ص ٨٢
٤٨. بامطرف ، المختصر في تاريخ حضرموت العام ، ص ١٦ .
٤٩. العبدولي ، مرجع سابق ، ص ٤٩ .
٥٠. فرانتسوزوف ، مرجع سابق ، ص ٩٣ .
٥١. باحنان ، جواهر تاريخ الاحقاف ، ج ١ ، ص ١٢٥ . العبدولي ، مرجع سابق ، ص ٤٩ .
٥٢. باحنان ، الجواهر ، ص ٧٣ . الشاطري ، الأدوار ، عالم المعارف ، ص ١١١ .
٥٣. الشجاع ، اليمن في صدر الإسلام ، ص ٦٢ .
٥٤. العبدولي ، مرجع سابق ، ص ٥٠ .
٥٥. فرانتسوزوف ، مرجع سابق ، ص ٨٩ .
٥٦. الشاطري ، الأدوار ، عالم المعارف ، ص ١١٠ .
٥٧. العبدولي ، مرجع سابق ، ص ٥٠ .
٥٨. فرانتسوزوف ، المرجع نفسه ، ص ٨٨ .
- العبدولي ، مرجع سابق ، ص ٥٠

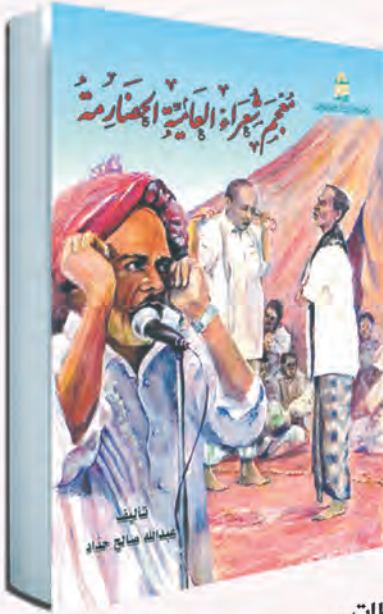


85

العدد (6)
أكتوبر
ديسمبر
2017م

(٢ - ٤)

ملاحظات على :



معجم شعراء العالم الحاضرة

تأليف: عبدالله صالح حداد

القسم الثاني: الملاحظات اللغوية

لم تكن الملاحظات اللغوية مما يمكن تجاوزه لكثرتها، وقد قمنا برصدها وتقسيمها على أربعة أقسام، هي الترابط اللغوي، والتراكيب، والإشكال التعبيري، والطباعة. و كل قسم حوى جملة من الملاحظات.

والسياق كله في الماضي والصحيح : استقطبته .

ومنه أيضاً قوله في ترجمة الشاعر عبيد با صديق: " عمل رباناً للسفن الكبيرة عابرة المحيطات ، يفضل السفر الى شرق أفريقيا " (٤١) (فضل السفر...) وهو يتحدث عن شاعر توفي عام ١٩٢٨ م. ومنه أيضاً ما جاء في ترجمة الشاعر سعيد ناصر حيمد إذ يقول: " شاعر قصيد وشواني شهير ، أي كان يتكسب بشعره " (٤٢) ، وأي تفسيرية ، والمعنى هنا بعيد عن ما يريده الباحث . ومن ذلك ما جاء في سيرة الشاعر سعيد هادي إذ قال : " شاعر شواني وغناء " (٤٣) ، والجملة توقع في الوهم أنه كان يؤلف أغاني ولا أظن أن الباحث يقصد شيئاً من ذلك .

وفي ترجمة الشاعر عمر الكاف يقول: " صاغ مجموعة من القصائد التي تتمتع بالحكمة والغزل " (٤٤) (تنسم) .

ملاحظات بسبب الإجهاد :

هناك تعابير يتضح منها أثر الإجهاد والتعب مثل العبارة الآتية : " ورجع صدى

ملاحظات التعبير :

بما أن المعجم هو ترجمة للشعراء فإن كلمة (ترجم) تتكرر دائماً ، والملاحظ أن الكلمة تردُ باستعمال غير صحيح ، فيتكرر تعبير (ترجمة) ويقصد: ترجم له، وشتان بين المعنيين ، ففي حديثه عن الشاعر (أبوبكر العدني) يقول: " ترجمه الكثيرون، السقاف .. والزركلي ... " (٣٦) ، ويتكرر هذا الاستعمال غير الصحيح كثيراً في الكتاب (٣٧) .

ومن ذلك أن يستعمل الفعل المضارع مكان الفعل الماضي فيقول : " عمل بالنقل البري على الجمال فيجوب " (٣٨) ، وكان الأجدر أن يستعمل الماضي (فجأب) . ومنه أيضاً ما جاء في ترجمة الشاعر عبيد بن فاتح حيث استعمل المبني للمعلوم مكان المبني للمجهول فقال: " .. يعيب عليه عدم اكترائه بقيم المجتمع .. " (٣٩) ، والصحيح : يعاب .

ومنه أيضاً في ترجمة الشاعر شيخ بن عبدالله العيدروس الذي توفي ١٥٨٢ م: " اغترب ... استوطن ... بدأ حياته ... غير أن الحياة الصوفية تستقطبه " (٤٠) ،



أ.د. عبدالعزيز سعيد الصيغ

أولاً : الترابط اللغوي :

والترابط التعبيري عنوان حوى ظواهر عدة منها ما يختص بالترابط بين الجمل، وهو من أسس نصية النص كما يقال، فلا يكون للكلام معنى واضح إذا غاب الترابط اللغوي أو التعبيري أو النصي، وقد أضفنا إليه الخلل في استعمال المفردات ، وعدم تناسب الجمل كان يكون الكلام في الماضي ثم ينحرف إلى المضارع، وهو ما عرف بالالتفات، ولكنه معنى غير موجود هنا؛ إذ الالتفات حالة من حالات التعبير البلاغي وليس التعتثر اللغوي .

قصائده المغناة إلى لوطن ليس في
حضر موت" (٤٥).

ومن ذلك أيضاً قوله: "ولعل الشاعر
من القطاع النسائي" (٤٦)، وواضح هنا أن
الباحث غلبه الإجهاد حتى لم يستطع أن
يقف على هذا الخلل المبين.

ومنه قوله: ".. في حلبات رقصة
الشواني التي تسبق الرقص ... (٤٧)،

شهير يعرفه من له اهتمام بتاريخ
الألعاب الشعبية وشعرائها وفنونها،
وقد أبان الباحث جانباً منه ربما كان
خافياً عن كثيرين، وهو موهبته
الشعرية غير أن العبارة تداخلت عند
الباحث، فجاء التعبير جامعاً بين
الموهبتين قائلاً: "كان من أمهر عازفي
رقصة العدة (وهل للعدة عازفين).

ترجمة الشاعر عبدالله حسين بن طاهر
الذي يقول فيها: ".. كان أحد العبادلة
السبعة" (٥٤)، ولم يتحدث عن عبادلة من
قبل ويبدو أن العبارة أيضاً منقولة من
كتاب.

وفي ترجمة الشاعر عبدالله بن سمير
وردت جملة: "ميلاده بقرية ذي أصبح ..
وبها كانت مغارس النجاة" (٥٥) .. وقد
بدت العبارة لي مختلفة عن لغته
وأسلوبه في تعريف الشعراء، وهذه
ملاحظة ربما ليس عليه منها شيء.

يتضح من تتبع المعجم أن الباحث قيد
نفسه تقييداً بمكتبته ومن عرفهم من
الباحثين ولا سيما بامطرف وعوض
عبدن، وفي حديثه عن (عبيد بن سنكر)،
وهو شخصية معروفة في المكلا، والناس
تتناقل أخباره وأشعاره وطرائفه، نجده
يتقيد بما قدماء له، بل ما يتذكره منه،
فقد أخبر أن الراوي عبدن ذكر الشاعر له
مرات من غير أن يقول شيئاً عن هذا
الذكر، ثم نقل عن بامطرف عبارة: "شاعر
قصيد سائق سيارة" (٥٦) ولا
ترابط بينهما، وإذا كان الأستاذ
بامطرف قد جمع بين الصفتين فربما
كان له مسوغه، وقد تقدم ذكر هذه
الملاحظة وأعدنا ذكرها لأن هذا موضعها.

وفي ترجمة الشاعر عمر أحمد محروس:
"... وقد ضاع جل أشعاره وكتب لنا أبياتاً
رداً على أحد شعراء غيل باوزير" (٥٧)، من
الذي كتب، ولمن؟ والسياق يفهم منه
أن الشاعر قال أبياتاً رداً على شاعر من
الغيل كان قد عرض بمنطقته (الديس)
بذكر كني وألقاب لها، ولكن عبارته
(وكتب لنا) تشي بأن الكاتب هنا نقل
العبارة نقلاً.

وفي ترجمة الشاعر عمر بارمادة وصف
لافت للسلطان عوض بن عمر القعيطي
قال فيه: "غشامة الجمعدار عوض بن
عمر القعيطي الذي أراد أن يعمل العمال
وغيرهم كالنساء" (٥٨)، وهو وصف بديع
لا أدري هل هو صاحبه؟ وأنا أميل إلى
القول إنها لآخر، وكان يحسن به أن
يكشف جانباً من هذه الغشامة (وفي

رجع الباحث إلى مراجع كثيرة، وكان يأخذ من هذه المراجع من غير أن يراجع ما يأخذه، ولا يحيل إلى المرجع ليعلق العبارة بصاحبها



مؤلف الكتاب عبدالله صالح حداد

ملاحظات بسبب النقل:

رجع الباحث إلى مراجع كثيرة، وكان يأخذ
من هذه المراجع من غير أن يراجع ما
يأخذه، ولا يحيل إلى المرجع ليعلق العبارة
بصاحبها، فوردت تعابير لا ظن أنه يعنيها،
فهي لا تليق بباحث يعيش بيننا الآن،
ومن ذلك قوله في تعريف الشاعر بن
مسيعود: "من مساكين مدينة شبام" (٥٩)
وتقسيمات الناس إلى مساكين وقبائل
وغيرهم لا يليق بهذا الزمن.
وفي ترجمة الشاعر عبدالله عبيد
عبارة لافتة هي قوله: "كان أحد
العبادلة السبعة" (٥٣) والكاتب لم
يتحدث عن عبادلة من قبل ويبدو أن
العبارة منقولة من كتاب.
ويتكرر ذلك أيضاً في موضع آخر في

والمعنى هنا لا يفهم من العبارة فهي لا
تقدمه كما ينبغي وإنما قد يفهم من
السياق العام، ولا شك أن هذا التعثر
التعبيري من الإجهاد والإعياء.

ومن ذلك قوله في ترجمة الشاعر
عبدالعامي: "امتهن حياة قوافل الجمال
والاعتناء بها ويعرف عندنا جمال" (٤٨)،
وهل يعرف من امتهن ذلك في
الاستعمال اللغوي إلا هكذا.

ومن ذلك تفسيره كلمة في بيت شعر
تفسيراً مخالفاً يقول في البيت الآتي:

والهاج له عادات لا تحمل هدر

ما يهرم المطلاع ولا هاب النزول
ثم قال: "هاج: ثار وانزعج" (٤٩)، والكلمة
وردت في البيت اسماً وهو نطق بدوي
لكلمة الهيج حيث يميلون إلى إبدال
الياء ألفاً، والواو ألفاً في كلمة (ثور) التي
ينطقونها (ثار)، يقول الشاعر سعيد بن
سالم بانهيم:

يا هيح فاطر قال با كيسر هدر

كل في العضة واخرع في الوادي خريع (٥٠)

وفي ترجمة الشاعر عقيل بن يحيى
يقول: "كان ميلاده في حضر موت" (٥١)،
وهي عبارة تصح أن يوصف بها أكثر
شعراء المعجم.

وفي ترجمة عمر قزليل، وهو مغن



أنه عاد للعمل بالتدريس في سوريا ..
وزاول ... (٦٧)، ولم يكمل الجملة .
وفي ترجمة الشاعر علي التوي أورد جملة
لم يكملها وهي : " وقد رأى الإنجليز في

يردّد تلك الأبيات (ولم يذكر أبياتاً) غير
أنه يُلام لعدم حفظ أكبر عدد من
قصائده (٦٤)، كيف يلوم الكاتب الشاعر
وهو يظن فقط أنه سبطه) .

العبارة خطأ طباعي لا بد أن المقصود
يعامل العمال) .

الترابط التعبيري:

المعروف أن الكلام يتصل بـعضه
ببعض ويتربط ، وعندما تغيب أدوات
الربط بين الجمل يفقد الكلام معناه ،
وهذا يرد عند الباحث بشكل لافت ، من
مثل قوله عن الشاعر أحمد بومهدي : "
انخرط في الحياة العلمية ... لكن أفراداً
من أسرته تهوى الفن ... (٥٩) ، (لكن)
هذه أداة ربط تثبت لما بعدها حكماً
مخالفاً لما قبلها ، على أن يكون الحكم
متصلاً باسم واحد ، لا باسمين اثنين .

ومن ذلك أيضاً قوله عن الشاعر عمر
بومهدي : " .. يجب القرى والوديان
والبوادي ، وإلى أقرب أماكن المواسم
المحلية السنوية " (٦٠) ، (هل المقصود
ويذهب إلى أقرب ؟ ... أم يذهب إلى
الأماكن نفسها) ، الجملة تفتقد الترابط .
ومن ذلك قوله عن سعيد قشمر : " رغم
حدة طبعه فهو شاعر عملاق " (٦١) ، ولا
علاقة لسهولة الطبع أو حدته بالشعر ،
وربما كانت الحدة أقرب إلى الشعر .
ونجده مرة أخرى يجمع بين الشعر

يكثر عند الباحث الجملة التي يعود الضمير فيها على متأخر ، أي : يتحدث عن شيء وكأنه مذكور سابقاً وهو لم يذكره

البلدة ١٩٣٩ ثم راح يرمونها مرة أخرى
بالبطانات عام ١٩٤٥ " (٦٨) .
ومنه أيضاً ما جاء في ترجمة الشاعر
سالم نصير : " شاعر قوافي مجيد
ويفضل عليه السمر " (٦٩) ، وهنا يتوهم
الكاتب أن هناك متقدماً في الجملة
يحيل عليه الضمير في شبه الجملة
(عليه) وقريب منه أن يحيل على متأخر .

عود الضمير على متأخر :

يكثر عند الباحث الجملة التي يعود
الضمير فيها على متأخر ، أي : يتحدث
عن شيء وكأنه مذكور سابقاً وهو لم
يذكره ، مثل قوله : " وتدلنا قصيدته
على مقدرة شعرية جيدة ... وكأنه يرى
أن مثل هذه المسائل ... وجدت هذه
الأبيات ... " (٧٠) ، وهناك أمثلة أخرى كثيرة .

الإعراب:

من الملاحظات اللغوية ما يتصل بالجانب
الإعرابي وهو قليل ، ولكن لكي ننزه
الكتاب مما فيه نذكرها ، فمنها :
" ولكتاب هذه المحاولة محاضرتين " (٧١)
(محاضرتان) .

ومنها : " إضافة إلى كونه شاعراً فهو
أيضاً مغنياً وملحنًا " (٧٢) ، والصحيح : إضافة
إلى كونه شاعراً فهو أيضاً مغنٍ وملحن .
ومن ذلك لغة أخذوني البراغيث التي
جاءت في عبارته في ترجمة الشاعر علي
بن أحمد بن زامل : " .. لكن قصته
الغرامية انتشرت ورووها الرواة " (٧٣)
(رواها الرواة) .

وفي ترجمة الشاعر عمر عرم : " هذا

ثانياً: التراكيب :

التراكيب أو ما يتصل بالنحو والإعراب
وبناء الجملة ، واستعمال بعض الأدوات ،
ومعجم حداد تكثر فيه الظواهر التركيبية ،
ويشكو منها في مواضع كثيرة ، ونفصلها
على النحو الآتي :

ترك الجمل من غير تكملة :

وهي ظاهرة طريفة ، وربما كان سببها
الانقطاعات الكثيرة في كتابة هذه
الترجمات ، وإرجاء كثير من المواد
الكتابية إلى أوقات لاحقة ، ثم الانصراف
إلى مواد أخرى ، وترك ما كان يحتاج إلى

يترك المؤلف أحياناً الجمل من غير تكملة،

وهذه ظاهرة طريفة ربما كان سببها

الانقطاعات الكثيرة في كتابة هذه الترجمات

تكملة ظناً منه أنه قد تمت تكملة ،
وهذه نماذج ، والمعجم أيضاً فيه الكثير
من ذلك .

ففي ترجمة الشاعر عمر حميد يقول :
" اشتهرت الفنانة فطيمون باعلي ... " (٦٥)،
ثم لا يكمل الجملة (بتأدية هذه الألحان) .
ومن ذلك أيضاً قوله في ترجمة الشاعر
عبد الله بن سعد بن سمير : " ومن شعره
الحميني الرائع .. " (٦٦) ، (ثم لا يذكر له شيئاً) .
ومن ذلك ما جاء في ترجمة الشاعر علي
عقيل بن يحيى حيث يقول عنه : " .. ورغم

والخلق الطيب في قوله : " علاوة على
أخلاقه العالية وبشاشته وبساطته فهو
شاعر مجيد " (٦٢) ، ولا صلة للأخلاق بالشعر .
ومن ذلك أيضاً استغرابه الجمع بين
الأممية والشعر ، والشعراء العاميون
أكثرهم أميون حيث يقول : " أمي لكنه
شاعر مجيد " (٦٣) ، فمادة الشعر هنا هي
اللهجة ، وإنما يكون الاستغراب لو كان
أمياً ويكتب الشعر الفصح .

ومن ذلك قوله : " ربما يكون سبطه
الشاعر الكبير أحمد بكير هو الذي ظل



الشاعر العامي من أهل مدينة الشحر
مُلِمًا بالقراءة والكتابة" (٧٤) (الصحيح :
كان مِلِمًا ، أو مِلِمٌ) .
وفي الترجمة نفسها : " زنبيلان
خوصيان متدليين من عود " (والصحيح :
متدليان) .

ثالثاً: الإشكال التعبيري :

وقد أدخلنا عناوانات عدة تحت هذا
المعنى منها الإشكال التعبيري ،
والاستغراب والتعجب في غير موضعه ،
والتعريف بالشعراء ، وسوف يتبين ذلك
في سياقاته .

يقدم الشعراء وهم كلهم شعراء عامية
بهذه العبارة فهي زيادة لا داعي لها .
ومن ذلك حديثه عن الشاعر (سالمين
بن عمرو أبو مسلم) حيث يقول : "... له
أبيات خلد بها دور رجال البحر ... وفيهم
قال الشاعر : بن مسلم قال بالناظور " (٨٣) ،
فما تدري لمن الأبيات؟ بسبب لبس
العبارة على الرغم من أن السياق
يقتضي أن يكون الشعر للمترجم له .
ومن ذلك قوله : " سعيد مرزوق : فنَّان
مبدع على أصوات المساجلات " (٨٤) ،
والحديث هنا ليس عن فنه غير الشعري ،
وإنما عن كونه شاعراً .

ومن الإشكال التعبيري أن تأتي عبارات
أقرب إلى العامية يعرف معناها استنتاجاً ،
كقوله عن الشاعر سليمان بن عون :
" ومنه نعلم في نحو تقريبي تاريخ
ميلاده " (٨٥) ، ولا تصح العبارة إلا إذا عرف
سنة وفاته .

ومن الإشكال التعبيري أن نجد تعابير
لا تتناسب مع زمن تأليف المعجم، ويبدو
أنه أخذها من آخرين من غير الإشارة
لهم كقوله في ترجمة الشاعر شيخ بن
محمد الجفري : " زار عدداً من البلاد

تَرَدُّ عند الباحث استعمالات غير سليمة لعدد من الأدوات منها (الكن) الاستدراكية و(إلا) الاستثنائية

الإشكال التعبيري:

هنا ظاهرة أطلقنا عليها الإشكال
التعبيري، من ذلك عدم استعمال أدوات
الربط استعمالاً صحيحاً، والباحث لديه
إشكالية مع حرف الربط (الكن) ، من ذلك
قوله عن الشاعر سالم سعيد بامحيسون:
" شاعر عامي مجيد من بلدة روكب ..
وسكانها من صائدي الأسماك .. ومنهم
الشاعر سالم سعيد بامحيسون .. ولكني
لم أجد فيما بين يدي من ترجمة ..

وفي ترجمة الشاعر عمر السباعي :
" ربما كان ربان أو ناخوناً " (٧٥) (والصحيح :
رباناً) .

وأخيراً في ترجمة الشاعر عمر كرامة
بارمادة : " .. ورد اسمه وأبياتاً من شعره " (٧٦) ،
(والصحيح وأبيات من شعره) .

استعمال بعض الأدوات:

تَرَدُّ عند الباحث استعمالات غير
سليمة لعدد من الأدوات منها (الكن)
الاستدراكية و(إلا) الاستثنائية .

ومن ذلك قوله في ترجمة الشاعر
عبدالله عبود القحوم العمودي : " أما
وفاته وإن اتفق على أنها ببلدته إلا أنها
في عام (٧٧) ، و (إلا) هنا لا معنى لها
والصحيح القول فهي ..

ومنها قوله في ترجمة عبدالله سواد :
" تلقى تعليماً ... لكن لديه موهبة " (٧٨) ،
(لكن) كما هو معلوم أداة استدراك ،
ومعنى الاستدراك : " أن تناسب لما
بعدها حكماً مخالفاً لحكم ما قبلها " (٧٩) .
ومن ذلك مجيء حرفي عطف متتاليين ،
والمعروف أن (الواو) و (حتى) من حروف
العطف ولا يتتابع حرفا عطف ، وهو من
الأخطاء الشائعة ، كقوله في ترجمة
الشاعر عمر مبارك قزِيل : " امتهن
صباغة الملابس بالنيلة .. وحتى أدركه
العجز " (٨٠) ، فجمع بينهما ، والتعبير
الصحيح حذف الواو والإتيان بالعبارة
هكذا (حتى أدركه العجز) .

تأتي عند الباحث عبارات أقرب إلى العامية يعرف معناها استنتاجاً

العربية ... والحرمين واليمن وزبيد
وحضرموت " (٨٦) ، ولو صاغها المؤلف لما
فرق بين اليمن وزبيد وحضرموت ولما
قال الحرمين ، وكان الأولى به أن يسند
العبارة إلى صاحبها لتكون أكثر ملاءمة .
ومن ذلك أيضاً قوله عن الشاعر
عبدالله البصري : " شاعر عامي مقلٌ لكنه
يساهم في إكمال الرقصات الشعبية " (٨٧) ،
(لكن) هنا ليس هذا موضعها .

ومن ذلك أيضاً قوله في ترجمة الشاعر
الشيخ عبدالله الناجي : " لكن الفنان
محمد جمعة فيغني له " (٨٨) ، والعبارة

وردت عنه مساجلات ، وإن كان ما جمع
قليل لكن تجد فيه القدرة على الحكم
بأنه شاعر مجيد .. " (٨١) ، والأسطر
ينقصها الترابط في الجمل .

ومنها تعريف ما هو واضح ومعرف ،
ومن ذلك أن يبدأ بوصف مجموعة كبيرة
من شعراء المعجم بأنهم شعراء عامية
- كما تقدم - في حين أن المعجم خاص
بشعراء العامية ، فعبارة " شاعر عامي " (٨٢)
لا يصح قولها إلا حين يكون المعجم يحوي
شعراء عامية وشعراء فصحي ، فيعرف كل
واحد منهم قبل بدء الحديث ، أما أن



يجنح الباحث أحياناً بقلمه إلى لغة فارغة غير خبرية ، قد يؤدي بها من يترجم لهم ويقلل منهم

نجدته يصف الشاعر سالم نصير بأنه " شاعر قوافي مجيد قليل المشاركات ويفضل عليه السمر " (٩٩) ، فما معنى شاعر قوافي ، ويفضل السمر على ماذا ؟ . وفي ترجمة الشاعر علي الحبشي يقول : " درس على يد من بتلك البلدة من معلمين " (١٠٠) ، وهذا قول يصح على كل شخص ، وهي عبارة لا تحدد شيئاً . وفي ترجمة الشاعر عمر السباعي ٢٣٨ قال الباحث : " ينتمي إلى قبيلة السباعي ... " (١٠١) وهو كلام لا يجوز .

وفي ترجمة الشاعر عمر علي بوراجح قال : " شاعر مجيد خلد بقصيدة له حادثة المذبحة " (١٠٢) ، والعبارة فيها إشارة تقييمية للقصيدة وهذا جانب مما ينبغي أن يتوافر عند المؤلف وهو تقييم الشعراء بتقييم شعرهم ، ولكن البيتين اللذين ذكرهما يشيران إلى موقف الشاعر الذي ناصر الحموم وتشفييه من الحكومة ممثلة بالقعيطي ، ولا تشير إلى تخليد حادثة ، وكان أولى بالباحث أن يتحدث في أسطر عن القصيدة .

وأخيراً يجنح الباحث أحياناً بقلمه إلى لغة فارغة غير خبرية ، قد يؤدي بها من يترجم لهم ويقلل منهم كما حدث مع الشاعر عمر عوض العوش حين قال عنه : " ولد بمدينة الديس الشرقية حيث تقيم أمه ، وقد نقله والده حيث تقيم أسرته " (١٠٣) ، وهذه تفاصيل لا تفيد كثيراً في إلقاء ضوء على سيرة الشاعر .

رابعا : الطباعة :

تكميلاً للفائدة ، حرصنا على رصد عدد من الأخطاء الطباعية التي وجدت في المعجم ، وهي تشير إلى أنه لم يلق المراجعة الكافية ، وإذا أضفنا لها الملاحظات السابقة يتبين أن المعجم

أن الاسم فيه شيء يثير استغراباً عند القارئ ، ولا شيء من ذلك .

التعريف بالشعراء :

ومما يمثل إشكالاً تعبيرياً ما جاء في التعريف بالشعراء ، و التعريف يكون من خلال تحديد نقاط معينة توضح شخصياتهم كالاسم والمكان والتكوين الثقافي والإبداع الشعري والتمثيل له ، وهو أمر كان ينبغي للباحث أن يسير عليه ولو فعل لجنب نفسه كثيراً من الزلل . ففي ترجمته للشاعر علي عبدالله التوي نجد ملاحظات عدة منها بداية غير موفقة بقوله : " علق الأستاذ عبد القادر الصبان على بيتين من الشعر قالهما الشاعر العامي ... " (٩٧) ، ثم وردت عبارة : " .. وهو كما قيل لنا من أهل مدينة شبام " (٩٨) ، و (قيل) مطية الكذب كما يقول أهل اللغة ، وأسرة التوي من الأسر المعروفة في شبام ، ثم ملاحظة ثالثة أورد جملة لم يكملها وهي : " وقد رأى الإنجليز ... " . ولا ندري هل هي رؤية بصرية أو فكرية ، وما هو المقصود بالعبارة ؟ ثم عبارة : " مما يدلنا أن وفاة الشاعر تقدير " ، التي قالها بعد أن ذكر اختلافاً في تاريخ وفاته ، ولم يكلف الباحث نفسه في السؤال عنه ؛ فالشاعر معروف والتاريخ قريب ، والخلاصة أن عملاً مثل هذا تناول فيه الباحث منات الشعراء كان ينبغي أن يتحلى بالوصف الدقيق حتى يعطي الشعراء صفاتهم التقريبية ، وينزلهم منازلهم ، وأن يكون المقياس موحداً .

والباحث استعمل للشعر أوصافاً متعددة كقوله : شعر مدارة ، شعر شواني ، شعر قصيد ، شعر زامل ، شعر دان ، دان جبوتي ، دان آل عمر ، ثم ناتى

وردت هنا ضمن ذكر سلسلة من الأغاني . ومن التعابير الإشكالية قوله في ترجمة الشاعر عبدالله محمد باداؤد : " من أهل مدينة أب عن جد " (٨٩) ، ولا يخفى الغموض والطرافة في العبارة . ومن ذلك تعبير غريب ورد في ترجمة الشاعر عبيد بن جوهر : " وقد رحل الشاعر مع موهبته إلى شرق إفريقيا " (٩٠) . ومن العبارات القلقة ما جاء في ترجمة عمر بو مهدي : " يجوب القرى والوديان والبوادي ، وإلى أقرب أماكن المواسم المحلية السنوية " (٩١) . ومن ذلك أيضاً ما جاء في ترجمة الشاعر عبيد حميد : " وقد سمعت بنفسي عدداً من قصائده ملحنة ... وسجلت بعضها ، ويبلغ عدد من أغنيات ما يزيد على مائة " (٩٢) ، (والصحيح : ويبلغ عددها ، أو يبلغ عدد أغنياته) .

ومن اللافت أن الباحث يذكر أحياناً أوصافاً لافتة ينبغي الوقوف عندها والاعتناء بها إذا كانت هذه الأوصاف حقيقية وعدم المرور عليها وكأنها مما يعتاد عند أكثر الناس ، ومن ذلك وصفه الشاعر أحمد عبدالله السقاف بقوله : " أديب وشاعر ومؤرخ وصحفي وموسيقيار " (٩٣) .

الاستغراب والتعجب في غير موضعه :

تتردد في المعجم عبارات تحمل استغراباً ظاهراً أو مبطناً ، من غير أن يكون في المعنى شيء منه ، من ذلك ما جاء ظاهراً في ترجمة الشاعر عمر بو مهدي ، قوله : " والغريب أنه ذهب إلى بلدته قرب موته وذلك قبيل الاستقلال " (٩٤) (وليس هنا ما يستغرب) .

ومن ذلك أن يذكر اسماً مما يعتاده الناس من الأسماء ثم يبيدي استغراباً منه ، كفعلة مع الشاعر : الشيخ عبدالله صالح النقيب السعدي الذي ذكر اسمه ثم قال : " هكذا ورد اسمه ... " (٩٥) والجملة تحمل استغراباً ، في حين أنه لا غرابة في الاسم .

وهذا حدث مرة أخرى في ترجمة الشاعر علي سالم باوزير قائلاً : " هكذا ورد اسمه " (٩٦) ، وهي جملة لافتة ، وتشير إلى



90

العدد (٥)
أكتوبر
ديسمبر
2017م

غبن غبناً كبيراً، وكان يمكن أن يتفادى هذه الأخطاء الطباعية.

- ومن الأخطاء الطباعية (حطيك أي : حطيط ص/٨٥).

- ومنها " حـفرة جناب الأجل الأكرم الأشم " (١٠٤) (والمقصود : حضرة) .

- ومنها حذف كلمة كقوله : " البلدة التي تقع وادي عرف " (١٠٥) (أي : في وادي عرف / بحذف حرف الجر في) .

- ومنها ذكره اسم الشاعر سعيد مرزوق بزيادة (بن) فقد أتى الاسم : سعيد مبارك بن مرزوق (١٠٦) .

- ومنها حذف كلمة : كما حدث في ترجمة الشاعر سليمان بن علي عون الكثيري (١٠٧) فحذفت (بن) قبل كلمة عون.

- ومنها كتابة اسم السلطان بدر أبو طويرق الكثيري (١٠٨) الذي كتب (أبو طويرق).

- ومن الأخطاء المطبعية الزيادة في الجملة الآتية : " ولكنه بعد أن أخذ عن والده وتخرج به ، ثم طلب العلم بالحرمين (١٠٩) (به + ثم) زائدتان.

- ومن ذلك قوله " عشق الشعر وخاصة شـعر الأغنية وله عدة منها " (١١٠) (والصحيح : عدد منها).

- وكذلك قـوله : " .. حيث أدا ن فيها من ساهموا مع الانجليز إتفاقية معاهدة الاستشارة " (١١١) فحذف حرف الجر (في) قبل كلمة (اتفاقية).

- ومن ذلك أيضا اسم الشـاعر باحريز الذي ذكره هكذا " .. الشـاعر فرج باحريز " (١١٢) والصحيح (سعيد باحريز).
- ومن ذلك في ترجمة الشاعر عبد الرحمن السقاف قـوله : " له مؤلفات في علم الفـكر والأدب والنقد والتاريخ " (١١٣) (وربما كانت الفكر، زائدة).

- ومنه ما ورد من خطأ طباعي في قوله " رئيس مكتبة إدارة البلدية " (١١٤) (مكتب).
- وفي ترجمة عبد الله التوي قـوله : " .. والديوان يستحق أن يطبع بالشفعة " (١١٥) (ما معنى هذا؟).

- كذلك قوله : " وأدرجه فهرسة المكتبة ضمن قائمة الشعراء " (١١٦) (وأدرجته)

- ومنه أيضا : " وهو كبير المقصوفة " (١١٧) (المتصوفة).

- وكذلك في بيت الشعر الآتي : " قم واطلع العقب وخلفهن ورا عوج الركب " (١١٨) (العقبة).

- وايضا ورود الفعل نظم بتشديد عينه، فقال : " والمحتمل أنه نظم قصيدته قبل بـضع مئات من السنين " (١١٩)، والفعل بدون تشديد العين وهي (الظاء).

الهوامش :

٣٦. المعجم ص/١٩

٣٧. ينظر المعجم الصفحات ٤٤ / ٦٧ / ٨٥ / ٨٨

١٠١ / ٩١ / ١٠٢ / ١٣٢ / ١٥٢ / ١٥٦ / ١٧٣ / ١٨٥ / ٢٣٠ / ٢٤٣ / ٢٤٤ / ٢٥٠ / ٢٥١ / ٢٥٥ / ٢٦٠ / ٢٧٥ / ٢٦٦ / ٣٣٠ / ٣٣٤ /

٣٨. المعجم ص/ ١٠٩

٣٩. المعجم ص/ ٢١١

٤٠. المعجم ص/ ١٣٩

٤١. المعجم ص/ ٢٠٩

٤٢. المعجم ص/ ١٣٠

٤٣. المعجم ص/ ١٣٠

٤٤. المعجم ص/ ٢٣٦

٤٥. المعجم ص/ ٢٠

٤٦. المعجم ص/ ٢٧

٤٧. المعجم ص/ ٧٦

٤٨. المعجم ص/ ١٩٩

٤٩. المعجم ص/ ٢٠٥

٥٠. المقدم الشاعر سعيد بن سالم با نهيم المرشدي ، جمع واعداد : سالم محمد أحمد بوجود باراس ، مطبعة وحدين المكلا ، ط ٢٠١٦ ، ١

٥١. المعجم ص/ ٢١٥

٥٢. المعجم ص/ ٢٢ ينظر ايضا ص/ ٣٣ ،

وص/ ٥٣ ، وص/ ٥٣ ، ٢٠٨ / ٥٣. المعجم ص/ ١٧٠

٥٤. المعجم ص/ ١٧٧

٥٥. المعجم ص/ ١٧٩

٥٦. المعجم ص/ ٢١٢

٥٧. المعجم ص/ ٢٣٥

٥٨. المعجم ص/ ٢٥٠

٥٩. المعجم ص/ ٢٨

٦٠. المعجم ص/ ٢٤٤

٦١. المعجم ص/ ١١٧

٦٢. المعجم ص/ ١٢٥

٦٣. المعجم ص/ ١٢٦

٦٤. المعجم ص/ ٢٢٩

٦٥. المعجم ص/ ٢٤٥

٦٦. المعجم ص/ ١٧٩

٦٧. المعجم ص/ ٢٢٨

٦٨. المعجم ص/ ٢٢٧

٦٩. المعجم ص/ ٨٨

٧٠. المعجم ص/ ٥٣

٧١. المعجم ص/ ٦١

٧٢. المعجم ص/ ١٢٢

٧٣. المعجم ص/ ٢٢١

٧٤. المعجم ص/ ٢٣٧

٧٥. المعجم ص/ ٢٣٨

٧٦. المعجم ص/ ٢٥١

٧٧. المعجم ص/ ١٨٣

٧٨. المعجم ص/ ١٨٧

٧٩. مغني اللبيب عن كتب الأعريب لابن هشام

الانصاري، تحقيق وشرح الدكتور عبد اللطيف

محمد الخطيب ط ١، الكويت ٢٠٠٠، ٣/٥٤١

٨٠. المعجم ص/ ٢٥١

٨١. المعجم ص/ ٨٥

٨٢. باعيسى / ٨٢ قريش / ٨٣ با محيسون / ٨٥

الكثيري / ٨٦

٨٣. المعجم ص/ ١٠٢

٨٤. المعجم ص/ ١٢٩

٨٥. المعجم ص/ ١٣٥

٨٦. المعجم ص/ ١٤٠

٨٧. المعجم ص/ ١٧١

٨٨. المعجم ص/ ١٧٤

٨٩. المعجم ص/ ١٩٤

٩٠. المعجم ص/ ٢٠٧

٩١. المعجم ص/ ٢٤٤

٩٢. المعجم ص/ ٢٤٥

٩٣. المعجم ص/ ٣٥

٩٤. المعجم ص/ ٢٤٤

٩٥. المعجم : ص/ ١٨٠

٩٦. المعجم ص/ ٢٢٦

٩٧. المعجم ص/ ٢٢٧

٩٨. المعجم ص/ ٢٢٧

٩٩. المعجم ص/ ٨٨

١٠٠. المعجم ص/ ٢٣٠

١٠١. المعجم ص/ ٢٣٨

١٠٢. المعجم ص/ ٢٤٨

١٠٣. المعجم ص/ ٢٤٨

١٠٤. المعجم ص/ ١٠٠

١٠٥. المعجم ص/ ١٠١

١٠٦. المعجم ص/ ١٢٩

١٠٧. ينظر المعجم ص/ ١٣٥

١٠٨. ينظر المعجم ص/ ١٣٦

١٠٩. المعجم ص/ ١٣٨

١١٠. المعجم ص/ ١٥٢

١١١. المعجم ص/ ١٥٤

١١٢. المعجم ص/ ١٥٥

١١٣. المعجم ص/ ١٥٩

١١٤. لا المعجم ص/ ١٦٠

١١٥. المعجم ص/ ١٦٩

١١٦. المعجم ص/ ١٧٦

١١٧. المعجم ص/ ١٨٧

١١٨. المعجم ص/ ١٩٥

١١٩. المعجم ص/ ٢٠٦



الغيمة التائهة

أو الشاعر حسين عمر شيخان



إشارة

إلى صديقي وأخي الدكتور ماهر سعيد بن دهري الذي أعادني إلى أجواء
عولم شيخان كرهة أخرى بعد انقطاع.

وعبارة

من لي بإنسان إذا غاضبته
وإذا ظمئت إلى الشراب شربت من
وتراء يصغي للحديث بقلبه
وبإذنه.. ولعله أدرى به
وجهلت كان الحلم رد جوابه
أخلاقه.. وسكرت من آدابه

أبوتمام.



أ.د. عبدالله حسين البار

مدخل:

أما (الغيمة التائهة) فعنوان المجموع
الشعري الذي ضم عدداً من القصائد
والمقطعات التي نظمها في حياته
الشاعر حسين عمر شيخان رحمه الله.
والحق أن الشاعر حسين عمر شيخان
(١٩٢٩م - ١٩٩٧م) هو (الغيمة التائهة).
والغيمة التائهة هي الشاعر حسين شيخان.
الشاعر والديوان كلاهما كيان واحد
بمصير واحد.

أتعد هذه قراءة عجلي لعنوان ذلك
المجموع الشعري؟

لقد تكون كذلك.

فكلا الكائنين، مُبدعاً ومُبدعاً، واقعاً
ونصاً، تاهاً في دروب الحياة إلا من شيء
يسير يموه في الأفتدة، وتجري به
الأسنة في أحايين متفرقة.

إلى المكلا واستقر بها منذ العقود
الخامس والسادس ومنتصف السابع،
وكان بها واحداً من شعرائها المعدودين؟
أو لم يكن بين أترب حسين شيخان
من عرف عنه هذه الموهبة؟ وللشعر
عبير فوّاح لا تخفى له رائحة كخمرة أبي
نواس.

هل نشر شيئاً من شعره في صحيفة
(الأمّل) التي أصدرها جده لأمه، وساعد
هو في تحريرها، ونشر بها مقالات، وربما
بعض النصوص الإبداعية كالقصة التي
أجاد في كتابتها؟
ولماذا لم ينشر قصائد فيها مثلما نشر
المقالة والقصة؟

هل لعدم نشره القصائد فيها صلة
بموضوع القصيدة ولغتها؟

إن للشاعر حسين عمر شيخان قصيدة
عنوانها (الحطابة) صيغت قصة قصيرة
كما كان يذكر ذلك الشاعر نفسه عن
نفسه. وكان زمن نظمها شعراً وكتابتها
قصة كان في غضون آخر العقد الخامس
وأول العقد السادس. وإن من قرأ
القصيدة منشورة في ديوانه، أو سمعها
من قيل من فم الشاعر ينشدها، يذله
ما فيها من سبك وجبك متماسكين

لم يبق من الشاعر وسيرته إلا ذكريات
لقاءات قديمة، وأصداء أحاديث أضحت
تتساقط من الذاكرة، وقد هرم أصحابها.
ولم يبق من الشعر إلا قصائد لا تتلاءم
عدداً مع عمره الإبداعي الذي بدا في عدد
السنين مقارباً إلى الخمسين عاماً.

فما قصة هذا الشاعر؟

وما حكاية إبداعه؟

وكيف تجلّت شعريته؟

وبِمَ تتميز خصائص الأسلوب في شعره؟
أسئلة، وسواها أخرى من أمثالها،
ولعلها أكثر تعقيداً منها، سنحاول
الإجابة عنها في السطور التالية.

أسئلة لا نملك إجابة عنها، أو إن

جوابها ظن:

إن ما نجهله عن الشاعر حسين عمر
شيخان وشعره يفوق ما نعلمه عنهما.
ومن هنا تنبعث الأسئلة، ويكثر
الاستفهام من مثل متى بدأ الشاعر
حسين عمر شيخان ينظم الشعر ويصوغ
القصائد؟ هل عرف حسين شيخان في
المكلا بصفته شاعراً في العقود الخامسة
والسادس ومنتصف السابع من القرن
العشرين كما عرف الشاعر حسين بن
محمد البار الذي قدم من وادي دوعن



متناسقين. وإن كان الشاعر قد نظمها في آخر الأربعينيات أو ما حولها. وشعر صافٍ كهذا الذي ظهر في القصيدة يتجاوز قصائده الإخوانية التي وُسمَ بها كثير من شعره. فلماذا لم يعرف مثل هذا الشعر شعراءً ونقاداً كانوا قريبين منه وكان قريباً منهم لدرجة المخاللة الصافية؟ وهل عرفوا فيه الفنان الشاعر أو الشاعر الفنان، أو هو كان يخفي عنهم مثل تلك الصفة في نفسه؟ لكنني أذكر - وقد عرفتُ الشاعر عن قريب منذ ثمانينيات القرن الماضي - أنه حدثني عن نصيحة الأستاذ محمد عبد القادر بامطرف له بعدم الزواج كونه فناناً لا ينبغي له أن يتقيد بأسرة أو ما أشبه. وحين واجهه الشاعر بإشارة إلى تجربته هو - أعني الأستاذ بامطرف - في الزواج رد عليه بقوله: أنا لست من الفنانين. وذلك صحيح. وإني على يقين من أن (شيخان) كان يعرض قصصه على الأستاذ بامطرف لأمر ما. سمعته من الشاعر مرةً ومن الذين لحقوا بركب الإبداع وكانوا من جلساء الأستاذ بامطرف مرةً أخرى.

وإذا وقفنا على قصيدة (المستقية) (١) - وهي السقاة التي كانت تجلب الماء إلى المنازل من سقاية الحي - خَمْنَا أنها نظمت في آخر الخمسينيات أو أول الستينيات، ولربما سبق نظمها في الزمان واحداً من ذينك الزمنيين، لكنها حتماً سبقت العام ١٩٦٨م الذي ألغي فيه نظام السقاية في مدينة المكلا كما كان سائداً في أربعينيات القرن العشرين. فإذا صح هذا الحدس فهي من قديم شعره، وهي لا تخلو من تماسك نصي يدل على شاعرية مقتدرة. فهل لها نظائر وإن في موضوعات أخرى، وتجارب آخر صيغت على هذا السميت من السمو في الأداء اللغوي؟

إن في الديوان بائية من أربعة أبيات، مطلعها:

مرغتُ خدي في هديك فاضطربا *

ثم يتلوها ثلاثة أبيات، هي:

وأنا نبش الأغوار فاندلعت

شرارة قد تحولنا لها حطباً

هنا بصدرك إلهامي، أيمكنني

أن أطعم النار ما استلهمته الأدبا؟

وكيف أحرق أقماراً فرشت لها

صدري، وأغمس في أنوارها اللهبا؟ (٢)

هنا منظورٌ للشعر ذو نفسٍ رومانسيٍّ، ولغة تعبيرية انفعالية يهيمن عليها ضمير المتكلم - تكرر في البيتين الأخيرين (٨ مرات) - بما يشي بتغليب الوظيفة التعبيرية عليهما كما علم جاكوبسون. وفي نسيج الأبيات ما ينبئ عن شاعر يصعد في سماء الفن واثق الخطوة غير مضطرب، ويسعى لتجاوز حدّ القرمزة إلى فضاء الإبداع.



الشاعر حسين عمر شيخان

لكن يظل هذا مجرد افتراض لا يؤيده برهان، ولا تؤكده وثائق. ومع ذلك فمن الممكن - اتكاءً على هذا الافتراض - القول إن الشاعر حسين عمر شيخان انطلق في مدائن التخيل الشعري منذ منتصف أربعينيات القرن العشرين، واستمر يمزج عباب الشعر مذ ذاك حتى وفاته في ٩/مارس/١٩٩٧م. ولهذا التأطير التاريخي دلالة.

نصوص تبحث عن ديوانها:

خلف الشاعر حسين شيخان نصوصاً تائهة في أضابيره، ولم يخلف لنا ديواناً مصنوعاً كغيره من الشعراء، وإن ظلت دواوينهم مخطوطة غير مطبوعة. ومن عجب أنه لم ينشر خلال سبعة عشر عاماً من ١٩٨٠م إلى ١٩٩٧م - وهي

السنوات التي عرفت فيها عن كُتب - سوى ثلاث قصائد، وظل مكتفياً بإنشاد شعره على الأصدقاء من أصدقائه، وعلى بعض من اتصلوا به وعرفوه بما يعرفون عنه من نظم للشعر واقتدار على صوغه. وعلى الرغم من إلحاح المعجبين بشعره عليه بتقيد قصائده بالكتابة، أو بالتسجيل الصوتي على أقل تقدير فإن الشاعر كان نافرماً من الفكرة. وأن أشار إلى قصائد يعينها أنها مكتوبةً بكاملها. أما الأغلب منها فمفروق في قصاصات الله والشاعر يعلم عددها، وصلة بعضها ببعض. فلقد تتداخل الأوزان وحروف الروي، وقد تكرر الصور، وقد يسترجع بيتاً فيعيد صياغته على نحو آخر دون أن يحس ما سبق أن قيده في قصاصة إلى آخر ما هنالك من ذلك. وكل هذا ينبئ أن الشاعر لم تتح له الفرصة لتتقيح شعره وتقويمه ليخرج للناس مستداً إلا في قصائد قليلة منها القصائد الثلاث التي نشرها في بعض المظان، وهي (حتى أنت يا جالاتيا، وما وراء البريق، وهوا)، ومنها القصائد التي نظمها ليحل بها مشكلة منزله وبعث بها إلى ذوي الشأن في ذلك الزمان. وظل حال الشعر على ما هو عليه، نصوصاً تتراكم في قصاصات، ووافي الأجل المحتوم الشاعر ونصوص شعره على تلك الهيئة، وذلك الوصف حتى نهض أخونا وصديقنا الأستاذ الدكتور عبدالعزيز الصيغ فتولّى أمر جمع القصائد وترتيبها وتنسيقها وضم الأشباه إلى نظائرها من القصائد، وأعاد الشوارد الضالة منها إلى نسقها حتى اكتمل بين يديه ديوان قوامه كما ذكر في المقدمة (خمس وستون قصيدة)، وصواب التمييز هنا (نصاً)؛ لأن عدد القصائد المكتملة بنيتها هو أربعون قصيدة، وأما ما تبقى - وعدده خمسة وعشرون نصاً - فأبيات لم تكتمل بنية القصيدة فيها، فهي إما مطالع بدأها الشاعر ولم يتمها، أو مقطعات لم تتصاعد في نفسه لتغدو قصائد كاملة. وإن بعض تلك المقطعات ما لم يشأ لها الشاعر أن يطول نصّها ليكون وقعها في النفس أشد تأثيراً، فهي أقرب إلى



93

العدد (6)
أكتوبر
ديسمبر
2017م

وصوابه: الدروب. فالدروب تسعى للوصول إليها قبله. وهذا من بعض طرائق الشاعر في تشكيل الصورة الاستعارية، وسنراه.

وفي صفحة ٢٦ يقول الشاعر:

فكيف نبقي كما كنا بموطننا
قبل التحرر في الاوطان أغرابُ

وصوابه: أغرابا؛ لأنها منصوبة على الحالية بالفعل (نبقى)، وواجبة النصب لأنها خبر (كنا).

وفي ص ٢٨-٢٩ جاء قوله:

لا تحاول أن تستقيم لتنجو

كيف تنجو والظرف جدّ عصبُ
من فناء البذور يا ضيق الأف

حق يجيء الناء جدّ خصبُ
هذا لأن روي القصيدة هو (الباء المضمومة). لكن الصواب كسر الحرفين (الباء) في البيتين كونهما في موضع الإضافة.

وجاء في ص ٣١:

عامان! هل أقوى! أراني عاجزُ
عن حملهن، تمزقت أعصابي

وصوابه: أراني عاجزاً عن حملهما. ولكنه أثر اليسير على العسير، ولم يحرص على تنقيح النص.

وفي ص ٣٦:

ارضي وارسلي قوامك زلزلا
يهز الوجود من رقصاته

وصوابه: وأرسلي؛ لأن ماضيه رباعي (أرسل)، وهمزته همزة قطع لا تسقط في درج الكلام. ولكن بقاءها في الكلام يكسر الوزن، فأجراها مجرى الفعل الثلاثي الذي همزته في الأمر همزة وصل تسقط في درج الكلام.

وفي ص ٤٦:

لست الغني. وليس فيك تغايًا
أهو الحياذ؟ فكيف عنه تحيد؟

وصوابه: تغاي؛ لأنها في موضع اسم (ليس) المرفوع. ومعلوم أن الاسم المنقوص يحذف ياءه عند الرفع أو الخفض.

القصاصد وإخراجها للناس. ثم تلاهم شعراء الحداثة فباعدوا بالأمر وجاءوا بأفانين من التشكيل. والشاعر حسين عمر شيخان واحدٌ من هؤلاء المجددين المبتدعين، أفتعامل قصائده عند جمعها وتنسيقها في ديوان معاملة التقليد والاجترار؟ أحسب أن ذلك لم يكن لأنثًا به وبشعره.

سقوط خمس قصائد بحالها كاملة من الديوان المطبوع على الرغم من وجودها مطبوعة بالقرص المدمج الذي قدمه الدكتور الصبيغ للناسر للطابع معاً. وعندي دليل ذلك. والقصاصد الخمس هي (أنظّل نلهث/ سد بمأرب/ الوجه الآخر/ مكاشفة/ شهران في الظلام). وجاءت قصيدة (سمراء) منهوكة الأبيات حيث ثبت منها بيتان هما:

سمرتك الخمرية الأسرة

تزهو بها الدنيا على الآخرة

تعصر فيك الشمس ألوانها

والحور لا تلفحها الهاجرة (٣)

وسقطت ستة أبيات كاملة لسبب مجهول.

وتلك القصائد هي ممّا تجب عودتها من تيهها فيجتمع شملها في نسق الديوان مع القصائد الأخر.

ج- أخطاء في أبيات وردت في قصائد الديوان لم يصوبها نظراً، ولم يصححها قلم. فجاءت على مستويات من الخطأ منها العروضي، ومنها النحوي، ومنها الصياغي. ولقد كان في الإمكان تصويبها ولكنه لم يتم، وبقي الخطأ ولمّا يزل.

جاء في الديوان صفحة ١٥:

وتلملم الطين المبعثر وارتمى

خلف الرداء يصول حيث يشاء

وصوابه: الغيم؛ لأن الحديث عن الغيم الذي عزى السقاء.

وفيه صفحة ١٦:

وعوت شراها الجهاد، وسابقت

خطوي الدروب كأنها أحياء

الخطرة الموجزة التي يكون لها صدى في الوجدان لا يكف جرسه عن الرنين. ولقد حرص الدكتور الصبيغ على أن يصنع من ذلك الركام من الأوراق ديواناً، فاختار له عنواناً هو (الغيمة التائهة)، ووضع له مقدمة جاءت في خمس صفحات من القطع الصغير وذيلها باسمه، وعيّن هنا تاريخ كتابتها التي جاءت بعد وفاة الشاعر بثلاث سنين عدداً.

خيبة التوقع:

هذا مصطلح جرى على أقلام علماء الأسلوب وبعض دعاة نظرية التلقي. وهي تدل على مرتبة في الإبداع لا يرقاها إلا المبدعون الكبار؛ لأنهم يفاجئون قراءهم ومتلقي إبداعهم بما لا يألفون فيدهشون ويعجبون. ولكنها في مقام حديثنا عن ديوان (الغيمة التائهة) للشاعر حسين عمر شيخان بعد صدوره في عام ٢٠٠٣م لم تكن تعني شيئاً من ذلك، بل عنت في نفوس من اطلعوا على الديوان من محبي شعر الرجل والعارفين به أملاً مكسوراً، ورجاءً مهدوراً، خاب فيه منتظر، وتراجع اندفاع محموم. ولهذا الحال الموصوف أسباب موضوعية، ولكل سبب صلة بواقع مشهود. وهاك حصراً ببعض ذلك، غايته تنقية الديوان مما علق به لتجنب الوقوع فيه في طبقات قادمة واجبة القدوم.

أ- ترتيب قصائد الديوان على ترتيب الحروف الأبجدية، فبدأ بروي همزة ثم تلاه روي الباء فالتاء فالثاء فالحاء وهكذا حتى الياء. وما لم يحتو روي في قافية من حروف المعجم تجاوز عنه إلى ما تلاه. وهذه طريقة معمول بها في صناعة دواوين الشعر العربي القديم منذ شعراء الجاهلية حتى عصر الاجترار الذي يمثلها ابن شهاب وشوقي وحافظ إبراهيم وآخرون من أمثالهم. على أن شعراء الرومنسية - وقد حملوا راية التجديد والابتداع - تجاوزوا ذلك وعدلوا عنه، فتنوعت قصائدهم تجربة وتشكيلاً، وكانت لهم غايات من صناعة الديوان أعلى شأنًا وأعمق غوراً من مجرد حفظ



وجاء في ص ٤٨ :

أحبك لا أدري ماذا أحس

ولا أدري من أين هذا الشذا؟

البيت من بحر (المتقارب)، وله ثماني

تفعيلات كلها على وزن (فعولن) وما

يمسها من زحاف وعلّة. لكن ليس في

تفعيلاته (مفاعيلن) التي وردت في حشو

الشطرين. فهذا كسر عروضي لا يخفى

على القارئ. ومع ورود البيت في

مخطوطة الشاعر على ذلك النحو، فإن

إصلاحه متيسر. وذلك باستبدال (لم) بـ

(لا). فتغدو رواية البيت على النحو التالي:

أحبك لم أدري ماذا أحس

ولم أدري من أين هذا الشذا؟

وبهذا يستقيم وزن البيت. أما استخدام

(الذال) في موضع (الذال) في كلمة

(الشذا) لتتسق مع الروي في أبيات

القصيد فتأويله عندي أن الشاعر أجرى

نطقه بها مجرى العامة من أهل (المكلا)

الذين يقلبون (الذال) (دالا) فيقولون في

(هوذا): (هوذا) مع الإمالة في اسم

الإشارة، فغدت (الشذا) (الشدا).

وجاءت في ص ٥٥ مقطعة أو قل نتفة

من أربعة أبيات، وزنها بحر السريع،

ورويها (الذال) المقيدة، وعنوانها

(مندوبها). ومطلعها:

مندوبها السامي قد جاءني

قدم أوراقك للاعتاد

ورواية البيت على النحو المثبت في

الديوان ذبح لرقبة (الخليل) بمدية

مثلومة.. ولم يسلم من ذلك المصير

(سيبويه) على جلالة قدريهما. فهناك

كسر عروضي في الشطر الأول تمثل في

قوله: (السامي قد)، فليس له صلة

بتفعيلة (مستفعلن أو مستعلن) التي

تجىء في حشو بحر السريع. وصوابه:

(السامي الذي) فيستقيم الوزن. وهناك

خلل في التركيب تمثل في توزع

الضامات، ففي المفتتح جاء ضمير

الغائبة، وفي حشو الشطر الثاني جاء

ضمير المخاطبة، فانتفى الاتساق في

شطري البيت.

والصواب: إجراء (مندوب) مضافا إلى

ضمير المخاطبة ليستقيم النسق بين

أول البيت وآخره. وبهذا تصح رواية

البيت على النحو الآتي:

مندوبك السامي الذي جاءني

قدم أوراقك للاعتاد

علما أن الأبيات جميعها ليست بذات

شأن في تجربة الديوان.

وجاء في ص ٨٢:

عيناى كالمصد تطوي المدى

تمرق عبر الموصد المغلق

وهنا يختل التركيب من حيث التطابق

بين الفعل والفاعل، فالعيناى اسم مثنى،

والفعل (تطوي) يدل على اسم مؤنث

مفرد. والصواب أن يكون التركيب عيناى

تطويان. لكن الوزن ينكسر، فأتى ما

صنع. مع أن من اليسير توحيد الفاعل

والفعل من حيث العدد فتغدو (عيناى)

(عَيْنِي) بتحريك ياء المتكلم ليستقيم

الوزن وتصح بنية الكلام. مع أن للتركيب

تأويلا آخر تصح به بنيته كما جاءت في

النص يسعفنا به (تشومسكي) وعناصره

التي بها تتحول الجملة في النص. ولكن

لهذا مقاما آخر غير هذا المقام.

أما همزة الوصل التي استحالت في

مظان كثيرة من الديوان همزة قطع

فحدث عنها ولا حرج. ولكثرة ذلك اكتفي

بالإشارة عن تفصيل العبارة.

وحسبي ما ذكرت من كل تلك الشوائب،

وأشبهها أخرى لم أذكرها اختصارا

للقول فيها، لأن بي توقفا للحديث عن

خصائص لغة شعر الديوان، ومميزاته

الأسلوبية. وسأبدأ بأولها:

هواجس شفا عنها القصيد:

لا بد للذات الشاعرة من محمول

موضوعي تصدر عنها أشعارها حتى ولو

لم يكن للشعر من وظيفة - في منظورها

- سوى أن يكون شعرا صافيا محضاً ولا

غير. فإذا كانت اللغة علامات، ولكل

علامة دال ومدلول، وأساس الشعر

علامات لغوية، فلا مهرب من أن تكون

له دلالاته المتعددة.

والشاعر الذي كانه السيد حسين عمر

شيخان دنا في شعره من منظور الشعر

الصافي فتعددت صور المرآني في

قصيده وتنوعت، واكتفى منها بأن

يتلمس ملامح الحسن والجمال

ومواضعه فيها فشغل بها دون أكثر

بقبح، أو وضع اعتبار لأعراف، أو حرص

على تلمس أبعاد فكرية غير البعد

الجمالي الذي يتخلق في نفسه وتشف

عنه القصيدة التي ينظمها في هذا

الهاجس أو ذاك. فلا غاية له من شعره

إلا الجمال الذي رآه، وتعبيده عنه في

صفاء لغة وبهاء تشكيل. إنه كعمر بن

أبي ربيعة الذي وصف نفسه بأنه (موكل

بالجمال يتبعه حيث هوا). فقد كان

حسين شيخان موكلا بالجمال يتبعه إن

وجده، وينقب عنه ما توارى عنه فيبرزه

ليعبر عنه ويجلو صورته كأنما ما كان

ينبوعها، امرأة ارستقراطية من عليّة

القوم، أو (مستقية) من سفلتهم. إن ما

يشغله هو ما يمور في وجدانه، ويرتعش

به فؤاده من حب للجمال، فلم يشغل

بمصدره، ولم تكن به حاجة إلى

الانصراف عن التعبير عنه إلى غايات

وظيفية ينشغل بها المجتمع سياسية

كانت أم اجتماعية، ولم تهمه مشكلات

فكرية في الحياة والإنسان يتأملها فقد

كان في غنى عن ذلك كله، وكفاه

انشغاله بالجمال الذي يراه ويعبر عنه في

شغف واحتدام واحتشاد.

نغم من مسارب الصيق ينساب شجياً إلى

معابد نفسي

يغمر الروح بالصفاء وبالوجد وسحر الرؤى

يهدد حسي

والقوافي تطل من بين جنبتي ومن خلفها

ملاحم ياسي

أوقدي لي الشموع، واستمعي شعري، وهاتي

إليّ خري وكأسي

واسنديني إلى ذراعك، فالأوزان سكرى،

تموج داخل رأسي

وامسحي جبهتي لكي يستعيد العقل ما ضاع

من شعوري وحسي

فنفوس الأصيل يدفنها الليل، وفيها آثار

يومي وأمسي (٤)



95

العدد (6)
أكتوبر
ديسمبر
2017م

وعجز عوى عند الزفين له حجل (٩)

إلى آخر ما هنالك من ذلك.
وإذا كان (النهد) عند نزار (معجماً) خاصاً به لا تكاد تخلو منه قصيدة فإن (العجز) عند حسين معجمه الخاص الذي تشف عنه لغة شعره. على أن هذا جزئياً من بنية كلية يتراءى فيها موقف الشاعر من المرأة كما جلته قصائده فيها.

وحسين شيطان شاعر صانع صور يتلقط جزئياتها ويلونها فتغدو لوحات مبهرة، لكل لوحة ألوانها وأضواؤها وظلالها وخطوطها المرسومة، فتتنوع لذلك صورة المرأة في شعره، ولم تجيء على حال واحدة ولا على هيئة مكرورة.

فهو تارة يسمو بها إلى مرتبة التقديس فيرى في صوتها (رنين أجراس السماء)، وهو (صوت سماوي = صوت ملائكي) في همسه ورقة جرسه، لكنه لا يخفي تردده في نسبة ذلك الصوت إلى السماء فأعاده إلى الأرض دون أن يخليه من ذلك الجلال فجعله (ميراث جد لك في الأنبياء)، ويعلل هذه النسبة بقوله:

لا بد للتبليغ من نبرة

مقنعة جاءتك بالانتشاء (١٠)

ثم يعود فيزيد صوتها ارتباطاً بالأرض فيجعل للشعر حظاً موفوراً من التقدير إن هي صدحت به، فهو (يرقى ولو كان رقيق البناء)، ويغالب الفناء ما دام يمتص منها رحيق البقاء، ولقد قادت هذه (الأرضية) إلى تلمس وقع صوتها في نفسه فإذا هو:

أحس إذ ينساب في داخلي

بأنني في ذروة الانتشاء (١١)

هنا تتحول المرأة إلى صوت يسحر بنبراته وتميز نطقه لمخارج الحرف، وتستحيل الذات الشاعرة أن تترجم كل معاني البهاء والجلال في ذلك الصوت، وتغدو حالة اللقاء بالمرأة انتشاءً روحياً لا صلة له باشتهاء ولا رغبة محتمة في اتصال جنسي، ومن هنا سمت في وجدانه إلى مرتبة التقديس. وإذا كانت

الموقف من المرأة:

لم تكن المرأة موضوعاً اجتماعياً أو ثقافياً ينشغل به الشاعر حسين شيخان فيدافع عن مشكلاتها وقضاياها، فما كان من الشعراء المعنيين بمجتمعاتهم، ولا بالتأمل في الحياة وإنسانها، ولكنه كان شاعر ذات تهيم بالجمال بعيداً عن الأعراف والأخلاق الموروثة متحرراً من قيودها. فلم يشغله من المرأة إلا ما كان يراه ملمحاً حسن وموضع جمال. فإذا هام الشعراء بوجوه الحسنات اللاتي زهاها الحسن أن تتقنع كما قال ابن أبي ربيعة شغف حسين شيخان بعجيزة المرأة ونهدها، فأنشدَ بهما عن كل شيء سواهما:

عبر المضيق وفيه لأمس ما اشتئت

أرض، وما اجترأت عليه ساء

ولوى بغلمته النهود ولفها

وعلى العجيزة قلّ منه حياء

وتفتح الجسد الشهوي، تدافعت

منه الربي، وتوالت الإغراء

وعلى ارتجاج عاصف وموقع

رقت أراجيح الصبا العذراء (٥)

ماذا أتى بك؟ قلت خلفك ها هنا بذخ مطل
هذا الشقي الداعر الرعاش خلفك مستغل
يدعو فينزلق النهار ويرتمي غيم وطل
أرجوحة سكري لها لحني عوى واحتد طبل
عجز يموح هنا وراءك ماله في الناس شكل (٦)

يا نهدها على فمي يعصر كرم الموسم

أمتص من حلمته أشهى نبيذ العالم

ألفه أديره كأنني لم أفطم (٧)

مهززة العجز لا توقفيه

فقد هز دقنا وأسقط عمة

وخليه أرجوحة، فالقفية

تدلّه فيه اشتهاً وعلمة

وثروري مع اللحن ردفاً وخصر

وهزي له الصدر سفحاً وقمة (٨)

والسبب في ميل الشاعر إلى هذا الاتجاه الإبداعي هو انسراحه إلى إطار ثقافي راق له منذ بدء اكتشافه هذه القدرة على كتابة الشعر ونظمه في نفسه، وأعني وقوعه مأسوراً في أدب أوسكار وايلد وشعر نزار قباني، وشعراء الغزل في عصر بني أمية - خاصة - من أمثال عمر وجميل والقيسين وعروة بن أذينة والأحوص وغيرهم من شعراء ذلك العهد.

سيقول قائل: إنه إذا الإيغال في مفهوم (الفن للفن). وأقول: إن ذلك ليس ببعيد عنه مادام خير من تأثر بهم، وترسم خطاهم يصدرون في إبداعهم عن مثل ذلك المنظور، ويشقون عنه في ما ينتجون من أعمال أدبية. ومن قرأ المقدمة النثرية التي دجها الشاعر نزار قباني لديوانه الثاني (طفولة نهد) يدرك ذلك. ولهذا الديوان أثره الظاهر على كثير من قصائد حسين شيخان إن بالمعارضة الصريحة، وإن "بالتناص الأطرسي".

ولقد كان في مقدور الشاعر حسين شيخان أن يصوغ منظوره للشعر في بيان مقروء ولكن انشغاله بإبداع الشعر والتفنن في أداء قصيدته صرفه عن بلورة منظوره للإبداع يحدد به مفهوماً، ويجلو به رؤية فاكتفى من ذلك بمضمون مقولة الفرزدق المشهورة: (علينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا).

ولقد قال حسين محكماً وبديعاً من القول، وأن لنا أن نتأوله تحيةً لشعريته وتقديراً لها.

أفصت بي قراءة قصائده التي احتواها ديوانه الموسوم ب (الغيمة التائهة) إلى الوقوف على الهواجس التي تدل عليها المسميات التالية:

- الموقف من المرأة.
- صورة الذات كما جلاها النص.
- الهجانيات.
- مشكلة خاصة.
- الإخوانيات.

وسأبدأ بالحديث عن أولها، وهو:



القصيدة منظومة في شخص بعينه فقد غدت في عين الإبداع مفرداً بصيغة الجمع، وأضحى العلم اسم جنس لنظائر من أشباهه، وإذا كانت (السامعة) هي وسيلته في استبيان سمو صوت المرأة وجلاله في القصيدة السابقة فإن (الباصرة) هي وسيلته في قصيدته (سمراء) حين رأى فيها حسنا أرضيا يتعالى على الحسن السماوي، فتقدس الأرضي بتميزه بعنصر خاص لا وجود له في الجنة، وهو (الشمس) فالله قد نزه الجنة منها فقال مخاطباً آدم عليه السلام: "فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى، إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى، وأنت لا تظمأ فيها ولا تضحى." طه: ١١٧ - ١١٩. ومن هنا غدا ما هو مصدر شقاء للإنسان منبع جمال يهب الحسنة فرادتها بسمرتها، وتغدو سمرتها حافراً على الزهو، فيتعالى الأرضي على كل شيء يناقضه: سمرتكم الخمرية الأسرة

تزهو بها الدنيا على الآخرة
تعصر فيك الشمس ألوانها

والحور لا تلفحها الهاجرة (١٢)
ولقد غدت (سمراء) شيخان (جالاتيا) أخرى انبهر بها خالقها، وهو عندي هنا الشاعر نفسه الذي اكتشف ذلك الجمال الساحر الكامن في سمرة المرأة التي رأى فجلاه في أبيات قصيدته مثلاً انبهر (بجمالين) بجمال تمثاله (جالاتيا) فتضرع للآلهة أن تحيله أنثى حية لينعم بأطايبيها. وهنا بدا الأرضي مقدساً لأنه صنع الخالق البارئ المصور الذي تتكامل مخلوقاته لتصنع للوجود جمالا لا تدركه إلا باصرة وعت بهاء الجمال وروعة الجلال فيه.

يا سمرة يغسل أطرافه المغرب في صبغتها النادرة
بهت بالسمرة حتى البد البدعة الخالقة الماهرة (١٣)

واتحاد الطبيعة بكل صورها، ينابيع تتفجر من الأرض فتتناسب على سطحها، أو ضفاف تترقرق بين صخورها أمواج بحر هادئ ساج ينشر عليه الفجر أنواره الخافتة وتنفوخ الأزهار فيه بشذاه والندى يتقطر عليها باردا فتفتتح النفس

عند خريف الماء ليملاًها سحر وجمال وجلال. هذه الطبيعة حين تتحد بحسن المرأة وبهائها جمالها تفجر في الذات عشقا تتحدى به عاديات الزمان. وتغدو الحياة شبابا خالدا لا تنال منه كهولة ولا تبيده شيخوخة:

تعالى نعل عند نبع الحياة
على السفح أو في أعالي القمم
فتمتص منها رحيق الخلود

ونفوى على عاديات الهرم
ونمضي إلى ما وراء الحياة

ونفذ خلف البلى والظلم (١٤)
وهنا تستحيل الطبيعة موضعا للقداسة، ويصير (الهوى) سـمـمـا على الغرائز والشهوات بل وتغدو (المحبوبة) مصدر طهر للذات وللمكان في هذا الوجود:

تعالى إلى معبدي في الضفاف
ليحيا بأنفاسك المعبد (١٥)

وتلك حال من العشق لا يضيرها ثنائي الديار وتباعد العاشقين ما دامت (المحبوبة) نائية بجسدها ولكن روحها في فكر الذات الشاعرة العاشقة وشعرها:

أنت تحين في ربي (الديس) بالجسم، وبالروح أنت في أشعاري
أتملى سنائك في كل بيت من قصيدي فتشني أفكارى
وتطلبن من خلال رؤى ذهني معاني تفيض بالأسرار (١٦)

لكن هذه (الرومانسية) التي تمنع (المرأة) قدرة على منح الوجود الذاتي صورةا مملوءة بالسحر والفن والهوى والدلال لم تمنع الذات العاشقة من تمنى لحظات من الوصال الذي يطامن من جيشان الهوى واحتدامه في النفس، فكانت أمنية لا تقوى على تحقيقها قدرة أرضية كائنة ما كانت قوتها:

حداد يا ليت لي كالضوء مقدرة
أنسل عبر ضفاف الأفق في الوادي
أنساب في الديس في محراب ملهمة

أرتل الحب من شعري وإنشادي
وأحتسي القبلية العذراء في وله

تمفو على شفتيها للفم الصادي
وأرغمي في ذراعها على حلم

أضمه بحنان الشاعر الشادي (١٧)

ولأن الحب يمنح العشاق طاقة على اجتراح ما لا يقوى على اجتراحه سواهم فقد هتف الشاعر في لحظة انفعال محتمة قائلاً:

ستظل عيناها تلاحقني
حتى ولو قد لفني كفني
سأفر من نعشي أودعها

وأعود، لو جاءت تشيعني (١٨)
وتلك حال من الشجن يفضي إلى أحلام لا يستطيع لها تحقيقا، وهو قول لا يخفي هوى عارما وإن اشتط في تخيله فجاء على هيئة لا يقوى على قول مثلها جميل أو المجنون.

في تلك القصائد الثلاث، ومن أمثالها (شباك/ ويدك/ واحترق)، تسمو المرأة إلى مرتبة سامقة لا تطالها شهوات عربييد ولا بذاءة ماجن لكن الذات الشاعرة المتوثبة في أعماق حسيين ما كان لها أن تقر على حال فكان لا بد لها من حال يحول إلى النقيض فتعوي داخله الشراة للجنس اشتهاً وتتدفق في شرايينه رعونة لا يستطيع كبتها أو الحد من عرامها.

أسعى وراءك لا أكلُ وشموخ نفسي مستذلُ
رحالة هيان بعدك لا يجد هواي عقلُ
رشد الكهولة قد قبرت وها أنا ذا اليوم طفلُ
ولكم تعثر في الطريق وزلّ بي قدم ورجلُ
وتشقت قدماي أدماها من الأشواك غلُ (١٩)
تلك المعاناة لا باعث لها سوى (الداعر الرعاش خلفها يسـتـغل هواه فيذل شموخه).

هذا المزرر قد ثوبك، متُ إن في الصرم غزلُ
أنا خلف هذا الثقب مهما قال عني الناس نذلُ
سأظل خلفك لاهث الأنفاس، ما للناس دخلُ (٢٠)

وإنما المرأة هنا (حطّابة) تحمل فأسها إلى الوادي لتحـتـطب منه ما يمكنها جمعه وبيعه لتقتات بثمنه وصغارها، ولكن عينا في الوجود رأت فيها الجمال الذي لم يره سـمـمـا وهاها فكانت صورة للحطّابة صيغت شعرا يؤكد أن لا قيمة للموضوع في ذاته وإنما العبرة بالقدرة على الصياغة وحسن الأداء. ومن بابها



97

العدد (6)
أكتوبر
ديسمبر
2017م

من السلطة في دعوتها للمساواة بين الجنسين، وليس هو موقفاً من المرأة في ذاتها. فضاء الجزئي (البريء) في الكلي (المتهم). ألم أقل لك إنها من مفارقات شاعر شغلته انفعاله بالفكرة أشد انشغالاً؟ إنه ليس عدواً للمرأة كالذي قيل في وصف (العقاد) أو (الحكيم). والدليل على ذلك نصوصه التي يعترف فيها بأن المرأة ملهمته، وينبوع إبداعه، وهي التي يسمو بها في قصائده إلى منازل سامية تنبئ عن توقير وتقدير. لكنه الرفض القار في أعماقه للسياسي في بلده في ذلك الزمن، وقد عجز عن منا فحته مواجهةً فاكتفى بمداراته حباً في البقاء، وحرصاً على السلامة من الأذى.

سيقول قائل: ولكنك لن تعدم في بعض قصائده غضباً محتدماً ينفته في وجه امرأة مثل (البرنيسية)، فعلا عليها بصوت ذكوري نسي فيها أنوثتها فحلا من رقة وحنان.

والحق أن قصيدته الموسومة بذلك الاسم تنبئ مرجعيتها السياقية إلى عشق كامن في طوايا النفس، خبرته الذات زمناً وأملت منه ثماراً حلوّة مشتهاة. لكن أملها خاب، وزفت المرأة لآخر لا يلائمها، فرام منها وصلاً ينتهك به أعرافاً ويستتبع قيماً اجتماعية ودينية انصياعاً لنزوات الهوى وانطلاقات الغرام في فضاء الإباحة، فتأبّت عليه معصمة (بزوجه) الذي لا تقيم له الذات الشاعرة شأنًا إذ تراه لا شأن له غير أنه تاجر من التجار. فجن جنونه وأنبرى يهجو ذلك الزوج ويزدرجه انتصاراً لذاته المجروحة وعشقه المسفوح. وأنت تلحظ ذلك من النواتج الدلالية لدوال النص، فهو (جبان) [أول من يفر/ يرتعب من رؤية ظل الشاعر ناهيك بشخصه] وهو (مصاص دماء) [شبلوك/ جشع] يقتات من جهد العقل/ يكدس الأرباح] وهو (مزدرى) [رقت بجلده ثقبون نعلي/ بصقت عليه وندمت لإهانة تفلي]. وهو (غبي لا عقل له يعي به فوارق المعاني)

يزل سائدا في حضرموت وفي بعض البلاد العربية فينظر للمرأة على أنها (مردولة) لا قيمة لها سوى كونها موضوعاً للشهوة وممارسة الجنس وما أشبه هذا من فعل حقير ممتهن وإن صعدت في المجد إلى مراق سامقة عزّ على رجال صعودها؟

هذا ما يمكن استنتاجه من حجه التي رام من خلالها تأكيد تفردته وألمعيته، وتجاوز مبدأ المساواة بين الجنسين. فالرجل حامل رسالات السماء أما المرأة فمبيضة ووعاء يحمل لقاحاته، ويضخ فيه سكان قاراته:

مازلت ألع ذهن فوق قارتنا

وأنت لم تبغني أدنى التماعاتي

حملت كل رسالات السماء أنا

وأنت لم تحملي إلا لقاحاتي

ما أنت إلا مبيض لي وأوعية

أضح فيها أنا سكان قاراتي

لذاذذي وحدها قد أخرجت أما

بقاؤها الآن مرهون بلذاتي (٢٤)

لقد ملك بصفته ذكراً الكون كله فتضخم وجوده فيه، وأخلاها من كل حق في امتلاك العالم حولها فانتفى وجودها إلا ما شاء أن يعطيها فغدت بعض أملاكه التي لا يحق لها حق ولا يوجد لها وجود مادام هو أصل الوجود، لذلك فالمساواة مستبعدة في خلده، وأنى لها أن تكون؟!

كيف المساواة والمعادن تفصلنا

فعادة الشهر ليست ضمن عاداتي

وفي الحضنة ما يلهي موظفة

من أن تنافس في الإنتاج حالاتي (٢٥)

والقصيدة تحمل شجناً نفسياً وفكرياً في أن، فلقد جاءت دعوى المساواة بين الجنسين من أبواق سلطة حاكمية للشاعر موقفاً رافضاً منها وإن لم يجهر به يومذاك. فأتخذ من تلك الدعوى موقفاً معادياً وأنبرى ضدها صوتاً حراً ينقض على جوهرها ليفتته أجزاء فيتلاشى فلا تقوم له قائمة. إنه موقف

(المستقية) (٢١)، وهي أوغل في التخيل الشعري، فالشاعر قد رأى في قربية الماء المحمول على ظهر المرأة غيوماً تتجمع فينسكب منها الماء فيبتل ثوبها فيشف عن خفايا من جسدها لم تعد مستورة فيشب للهييب في أعماقه اشتهاً واغتلاماً.

عراك غيم شف منه رداء

شهقت له سحب فساح فضاء

وتلملم الغيم المبعثر وارتمى

خلف الرداء يصول حيث يشاء

عبر المضيق وفيه لأمس ما اشتهد

أرض، وما اجترأت عليه سماء

ولوى بغلمته النهود ولفها

وعلى العجيزة قلّ منه حياء (٢٢)

والمرأة في كلتا القصيدتين موضوع اشتها لم يتحقق بفعل فاستحال إلى قول يجسد أمنية ويبرز حلماً: ودنوت للغيم الرضيع وفي فمي

شبق، وتلهث داخلي الصحراء

ووقفت أستسقي السماء تصابيا

كيلا يحف على الرداء الماء (٢٣)

ومن المفارقات في شعر حسين أن المرأة التي سما بها إلى مرتبة التقديس في (أسماء) و(سمر) و(شباك) هوى بها إلى مرتبة الإزدراء في والاتضاع في قصيدة (المساواة). وإذا كانت المرأة في تلك القصائد مخصصة بذات واحدة هي المعنية بالقول، فإن المرأة في هذه القصيدة مطلقة التعيين، يدلك على ذلك المنادى (يا امرأة) في هيئة (النكرة غير المقصودة) ليفيد منه معنى العموم، فشمل خطاب القصيدة المرأة مخصصة وغير مخصصة بالذكر.

وهنا يقيم الشاعر تقابلاً ضدياً بين (أنثى) يمثلها ضمير المخاطبة (أنت)، وبين (ذكر) يمثلها ضمير المتكلم (أنا). أي بين امرأة ورجل، بين فرع وأصل، في جدل يقوم على حال من الترفع والعنجهية ورفض مقولة (المساواة) بين الجنسين. أترأه في هذا يعكس موقفاً اجتماعياً لم



[لم يدر فرقاً بين أنملة ونملي / لا يفرق بين مغلول ومغلي]. وهو من الضعف أنه (يكفيه لسع قملي) ليفنى. وتلك نظائر دلالية تمنح نظيرة دلالية واحدة هي أن هذه المرأة أعلى شأنًا وأسمى مقاماً من ذلك الزوج. لذلك يتحول الاستفهام إلى حال من الاستنكار والتعجب ويبعث على الدهشة والاستغراب:

تتوعدين — زند أول من يفر ومن يولي؟
وتهددين بمن سيجبن لو رأى في الدرب ظلي؟
أبرزنه تتوعدين؟ فحاذري كيلا تضلي
أتهددين بمن رقت بجلده أثقاب نعلي؟ (٢٦)
والجملة في البيتين الأولين محولة عن (الخبرية) بعنصر من عناصر التحويل وهو (التنغيم) كما علم تشومسكي.
هو إذا غضب عارمٌ محتدمٌ على الرجل الذي حال بين عاشق ومعشوقة. وتلك تجربة في الشعر تذكر (بالأحوص) الذي كان يهوى اخت زوجته ويكتم هواها في نفسه حتى أن لأهلها أن يزوجوها فزفت لمن لم يكن كفيًا لها، فغضب الشاعر الأحوص (حين بلغه الأمر) فأنشأ يقول:

أإن نادى هديلاً ذات فلج

مع الإشراق في فنن حمام

ظلمت كأن دمعك در سلك

هوى نسقا وأسلمه النظام

تموت تشوقاً طرباً، وتحيا

وأنت جو بدائك مستهام

كانك من تذكر أم حفص

وحبل وصالح خلق رمام

سلام الله يا مطراً عليها

وليس عليك يا مطراً السلام

كان المالكين نكاح سلمى

غداة يرومها مطر نيام

فإن يكن النكاح أباح شيئاً

فإن نكاحها مطراً حرام

فطلعتها فلست لها بأهل

وإلا عض مفرق الحسام (٢٧)

ولا مرأ في اختلاف شكل التعبير في القصيدتين عن التجربة، لكنك لا تعدم

شيئاً من التشابه في الاحساس بغبن المرأة حين تزف لمن لا يليق بها كفاءة، ومن هنا اشتعل غضب الشعاعين، وكشف غضبهما عن هوى مستكن في الأعماق.

على أن فلتة لسان انزلت إلى قصيدة حسين في آخر بيت في القصيدة، وهو قوله:

ما كان أول من أتاك :: وهل أتاك الآن قبلي (٢٨)

وهذه نفحة من قصيدة (نزار قباني) وعنوانها (امرأة من زجاج)، وفيها يقول:

هذا الذي يسعى إليك الآن لا أرضاه عبدي

يكفيه ذلاً أنه قد جاء ماء البئر بعدي (٢٩)

وبين القصيدتين تشابه في مظان، وتمايز في مظان به تستقل لكل قصيدة بصمتها الاسلوبية رغم تشابه المنظور.

وفي الديوان قصائد أخرى تبرز فيها

مواقف للذات من المرأة، منها ما هو

إنساني كما في (استغاثة)، ومنها ما هو

بلاغ للناس عن خلق الذات الشاعرة

وسمو قيمها كما في (حتى أنت يا

جالاتيا)، ومنها ما هو غير هذا وذلك. وفي

كل تلك القصائد أولاه وأخراها لا تبدو

المرأة في شعره قضية اجتماعية ولا

مشكلة ثقافية، فلا حديث له عن حجاب

وسفور كما نجد عند بعض شعراء

العربية في عصرها الحديث، وقصيدة

شوقي الموسومة بعنوانها (صداح)

واحدة من قصائد أخرى كتبها شعراء

آخرون في مثل هذا الموضوع. ولا حديث

يحث فيه على تعليم المرأة والسعي إلى

خلاصها من آثار الجهل وتبعاته كما نجد

في شعر شاعر كحسين البار. ولا هو يقف

بشعره منافحاً عنها ليحميها من عنف

مجتمعا ضدها، ويحث الآخرين من

الذكور الفحول ذوي النزعة النيتشوية

في معاملة المرأة على الرفق بها من

حيث هي من القوارير اللاتي وجب الرفق

بهن. كلا لم يكن شيء من ذلك يشغله

ويستميل إليه وعيه ويصدر عنه إبداعه.

وإنما ظل شاغله جمالها وحسن خلقها.

فتمايل برقعها يستثير شاعريته، وخلف ثوبها اللصيق بجسدها المرمرى يشرّد

عقله، وفي ضحكة ثغرها يسمع اجراس جنة (ترن، فينهار الوقار ويختل). وذلك أقصى ما تفاعلت معه شاعريته وانفعلت به. ولذلك تعددت المرآي والرأي واحد وموضوع الصورة واحد وجوهره.

الهوامش:

(١) جاء عنوانها في الديوان (تحت الأمطار) وليس بذلك.

(٢) الغيمة التائهة، حسين شبيخان، ط ١، ٢٠٠٣م، منشورات اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، ص ٣٣. ولم أرو عجز البيت الأول؛ لأنه مضطرب التركيب، مختل المعنى.

(٣) الغيمة التائهة، ص ٦٧.

(٤) الغيمة التائهة، ص ١٤٨-١٤٩. ولا حظ إجراء همزة القسطع على أنها همزة وصل (أسديني). وانظر (الإبطاء) في قافيتي البيتين الثاني والسادس.

(٥) الغيمة التائهة، ص ١٥.

(٦) نفسه: ص ١٠٥.

(٧) نفسه: ص ١١٣.

(٨) نفسه: ص ٩٧.

(٩) نفسه: ص ١٣.

(١٠) الغيمة التائهة، ص ١٣.

(١١) نفسه: ص ١٤.

(١٢) الغيمة التائهة، ص ٦٧.

(١٣) هما من الأبيات التي سقطت من الديوان المطبوع على الرغم من وجودها في القرص المدمج.

(١٤) الغيمة التائهة، ص ١٤٦.

(١٥) نفسه: ص ١٤٧.

(١٦) نفسه: ص ١٤٩.

(١٧) نفسه: ص ٥٤.

(١٨) نفسه: ص ١٣٤.

(١٩) نفسه: ص ١٠٢.

(٢٠) نفسه: ص ١٠٦.

(٢١) ورد عنوانها في الديوان (تحت الأمطار).

وليس بذلك. وإنما الغيم ومطره معادل موضوعي لقربة الماء التي تحملها المرأة يومذاك لتسقي البيوت ماءها. وعنوانها كما ذكر الشاعر هو (المستقيمة) تماثلاً مع (الحطابة).

(٢٢) نفسه: ص ١٥.

(٢٣) نفسه: ص ١٦.

(٢٤) نفسه: ص ٣٩.

(٢٥) نفسه: ص ٤٠.

(٢٦) نفسه: ص ٩٩-١٠٠.

(٢٧) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، السفر الثاني ص ٦٦٦-٦٦٨.

(٢٨) الغيمة التائهة: ص ١٠١.

(٢٩) الرسم بالكلمات: نزار قباني ص ١٥٦.



من التناس حتى الخلق التصويري

قراءة في نصّ (السيف أصدق أنباء ..) لأبي تمام

حتى استطاع نسج قوله :

كَانَ مُتَّارَ النِّعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا

وَأَسَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ (٤)

فكان كونُ تصويره أمدً وأوسعَ من قلوب طير امرئ القيس ، فتصوير بشار وإن التزم أصالة النبع ، لكنّه شكّل أواني الشرب ، وجدّد سبل الإرواء بمشاربٍ قدّاء ، فالتزمته كتبُ البلاغة شاهداً على التشبيه التمثيلي ، الذي ينفّث طرفاه على وجه شبه لصورة غير محدّدة المعالم ، متجاوزة تعداد الاقتران بين رطبٍ ويابس من جهة ، و العناب والحشف من جهة أخرى ، فتجلّى التجديد في نمط التصوير في بيت بشار ليسع الأفق بأكمله ، والألوان بتجلياتها ، التي تولّد مع المرئي مسموعاً ، ومع الثابت متحركاً ، ومع البياض والسواد ألواناً تتشكّل في رؤية المسموع حال استحضار مثوله تخيلاً ، فتختلف صور السيوف المرتسمة لدى كلّ متلقٍ بأطوالها وأحجامها ، وتختلف عدد الخيول وسرعاتها وألوانها ، ويتباين حجم النقع المتصاعد وهو يمتدّ أفقياً ورأسياً ، لدى رؤى المتلقين باختلاف مستوى الوعي ، الذي يغذّي طواعية نفاذ الإدراك التصويري لدى كلّ منهم ، أنثى تُدرك أنك لست أمام مجرد بيت يترصدُ ببيت ليكون شبهه أو يكون إياه ، بل أنت أمام مشهد حيّ تناوب على إخراج عدد من المخرجين ، لا يمكن حصرهم بمدى اختلاف وجهات الإدراك وتباين منافذ التلقي البشري ، وليس حصر ذلك عليك بيسير ، أضف إلى ذلك أن قراءة التصوير لا تؤتيك تجليها من محض منطوقه ، بل يمتدّ إلى ما وراء المرئي إلى حيث المترائي

سيدكرني قومي إذا جدّ جدّهم

وفي الليلة الظلماء يُفتقدُ البدر (١)

محاكياً عنتره بن شداد في قوله :

سيدكرني قومي إذا الخيل أصبحت

تجولُ بها الفُرسانُ بين المَضاربِ (٢)

فلم تكن محاكاته سوى بداية انطلاق من رواسب الموروث العربي التليد ، في الكلمات الثلاث الأولى ، ثم انطلق التجديد يغيّر نمطية البناء الشعري بقوله : (إذا جدّ جدّهم) مختزلاً بهذه الكلمات الثلاث شطراً ونصفاً من دلالة بيت عنتره وهو قوله :

.....إذا الخيل أصبحت

تجولُ بها الفُرسانُ بين المَضاربِ

إذ إن قول أبي فراس : (إذا جدّ جدّهم) يستوفي الشطر والنصف السابقين لعنترة ويفوقهما دلالة حين يتجاوز مضمار الحـرب الظاهر إلى مضامير سلوكية أخرى - يتصف بها أبو فراس - كالكرم والجود فتعمّق بعد الوجهة الشعرية لدى أبي فراس متخذاً إلى ذلك خطى تقصر بسطر ونصف من خطأ عنتره ، وتكون أبلغ مساراً نحو عمق الشعرية بأفاق ، الأمر الذي جعله بيتاً أصيلاً في الاستشهاد على التشبيه الضمني في القوانين السكاكية والقروينية ، وهو ما قصر عنه بيت عنتره .

وكذلك يمثل اعتراف بشار بن برد بسبق الإصرار والترصد في محاكاته نهج امرئ القيس تصويرياً ، في قوله :

كَانَ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْباً وَيَابِساً

لدى وكرها العناب والحشف البالي (٣)



زهير برك الهويل

(١)

مهاده :

لم تكن الوجهة التجديدية للغة الشعرية في العصر العباسي - لدى المجددين - وجهة مبتدعة كلّ الابتداء في آلية تشكّلها ، حتى وإن تجلّت لأبسة أنماط التجديد ، وعلى الرغم من كلّ المواجهات الثورية التي قابـلتها ، والاتّهامات التي نالت من تجديد ممشائها بأنها غير مدينة بالولاء التام ، والاتّباع المحض لخرائط القانون التليد ، في ماهية التعبير عن المكنون الشعري بهيئاته التصويرية والتسريدية في بناء القصيدة بشكلها العام ، أو حتى في نسق البيت الواحد أو الصورة الماثلة ، فإنك ترى كثيراً ممّن أثمّموا بالخروج عن سلطة الموروث بشقّ عصا الطاعة النمطية في بنى الشعرية قد كانوا أوفياء حتى عصر الأصالة الموسوم (عصر ما قبل الإسلام) في بناء تجاربهم التصويرية ، تناساً تصويرياً أو تسريدياً ، خذ على ذلك مثلاً قول أبي فراس الحمداني ، الذي تناقلته الكتب البلاغية كشاهد على التشبيه الضمني :



في قول بشار :

وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبُه

هذا التركيب يضع أمامك - بعد الصورة الرأسية (تهاوى كواكبُه) النافذة في المسار الأفقي : (ليلٌ) المتداولة التواتر - صورة العدو المهزوم سيء الجوهر والمظهر (الشيطان) ، بعموم جنسه لأنه البعد التصويري المكمل من حيث انتهى البوح اللغوي تهاوي الكواكب ، ويقابله بالضرورة نقاء وحسن الباطن والظاهر لتلك اليد التي تحرّك تلك الكواكب المرجومة فهي مؤيدة بصواب وقعها من مدبر تصويبها .

أتى لتلك الأبعاد أن يحصرها قانون بلاغي ، وإن وُصف وجه شبهه بأنه منتزع من متعدد ، ؟! أي متعدد هذا الذي يستطيع استيعاب كل تلك المعطيات ، التي تترأى أمامنا كونا يصعد مساره الرأسي إلى الأعلى : (مثار النقع فوق رؤوسنا) فيخلق مساراً أفقياً : (ليل) - فيشق المسار الرأسي ذلك الأفق (الليل) من نقطة مغايرة للأولى ، من الأعلى إلى الأسفل : (تهاوى كواكبُه) ؟!

كم أثرت تلك الأنماط الشعرية العباسية القوانين البلاغية في كتبها المتوالية ، وفي المقابل كم ذبحت هذه القوانين البلاغية التصويرات الشعرية العباسية بسكاكين تقطيعها ، وضيق أبعاد مساراتها ! ، وكبت تمام حريتها ، وفككت تلاحم بنائها إلى مشبه ، ومشبه به فنارها عاجزة عن مزاوله تمام شعريتها في روح ومنطوق قوانينها .

لعله وإن تقدّم بشار أبا تمام لا غرابة أن يُنعت الأول رأس المجددين بأسبقية نهجه التجديدي ، ولكن التحديث الجلي قد بزغ نجمه كما هو معلوم عند أبي تمام رئيس المدرسة التجديدية آنذاك من حيث آلية الإجراء التحديثي الذي ابتكره ونظرته العميقة لبناء العلاقات الحديثة بين الأشياء ، والتي فيها تُنسَفُ الروابط المطردة بين المشبه والمشبه به ، وبناء علاقات حديثة تبنيها الشعرية ذاتها ، ولا يرسمها منظور الواقع الخارج عن بنية الشعر .

لكن ونحن نتحدث عن التجديد في الشعر وتحديثه ننطلق من منظور أن

الآبيات التجديدية السابقة وضعت لبنات انطلاقها من عمق الأصالة (عصر ما قبل الإسلام) في الشواهد السابقة ، وصولاً إلى زعيم مدرسة المجددين أبي تمام ، إن صحّ هذا التوصيف فنقف عند بيت من أبياته سيجرنا بعد ذلك إلى نص من نصوصه التي طالما فخر وسيفخر الأدب العربي بأن يضمه إلى خزانته الضخمة ، ذلك النص هو نص (السيف أصدق أنباء من الكتب...) ، لأبي تمام ، فلنسمح لبيت منه - جرى مجرى الآبيات السابقة في مسافة تناصه الزمنية إلى عصر ما قبل الإسلام - أن يجرنا في تتبعه إلى بنية التصوير في النص على نطاق عام .

(٢)

مع النص :

يقول أبو تمام واصفاً المعركة :

فالشَّمْسُ طَالَعَةٌ مِنْ ذَا وَقَدْ أَفْلَتَتْ

والشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا وَلَمْ تَجِبِ (٥)

متناساً مع قول النابغة الذبياني :

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالَعَةٌ

نوراً بنور وإظلاماً بإظلام (٦)

كثيرة هي القراءات التي قرأت نص (السيف أصدق أنباء من الكتب...) ، لِمَا حوَاه من مستويات إبداعية جمالية ، جعلته واحداً من عيون الشعر العربي ، لكن قراءتنا ستحاول النفاذ إلى بنية التصوير في النص من طريق غير مطروقة ، منطلقين من أصالة التناص بين بيت أبي تمام السابق ، الذي يحاكي فيه بيت النابغة سالف الذكر ، متأمّلين ماهية الكون الشعري الحديث الذي يخلقه تصوير أبي تمام ليس في البيت ذاته حسب ، بل وفي النص بقوامه التام ، بين مساري اللغة الشعري والسرد ، حيث يحضر مساران من التوصيف المتألف خالقين كونا موحداً يقرأ في وحدة تباديه ، و بيانية تشكّله ، معبراً عن لوحة مرت في الزمان فتحيا فيه تارة ، وتارات ، ولسنا هنا في حاجة إلى تكرار ما أشبع في حق النص من قراءات سابقة لذا ستسير القراءة أخذة نواحي من النص تهبها يسر بلوغها غايتها ، ولن يكون ذلك إلا إذا تحدّدت مسارات عبورها ، لذا

ستكون هذه المسارات في خط الآبيات

الآتية من النص :

- السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكتبِ

في حده الحد بين الجد واللعب

- بيض الصفائح لا سود الصفائح

- في متونهن جلاء الشك والريب

- لم ينفق الذهب المربي بكثرته

- على الحصى وبه فقر إلى الذهب

- فتح الفتوح تعالى أن يحيط به

- نظم من الشعر أو نثر من الخطب

- من بعد ما أشبّوها واثقين بها

- والله مفتاح باب العقلا لشب

- غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحي

- يشلّه وسطها صبح من اللهب

- حتى كأن جلابيب الدجى رغب

- عن لونها أو كأن الشمس لم تغب

- ضوء من النار والظلماء عاكفة

- وظلمة من دخان في ضحي شحب

- فالشمس طالعة من ذا وقد أفلت

والشمس واجبة في ذا ولم تجب

إذا تأملنا تلك الآبيات التي تناص فيها

بشار مع امرئ القيس ، وأبوفراس مع

عنتره ، وأبو تمام مع النابغة ، نعي كم

هي مفارقة جلية أن تقترب تلك الآبيات

العباسية في عصر تحديثها متناصة مع

أبيات ضاربة في عمق التأصيل (عصر ما

قبل الإسلام) ؛ حيث لم يقف شكل التناص

على المنطوق اللغوي ، بل تجاوزه إلى

النسق الإيقاعي ، فكان بيتا بشار وامرئ

القيس من (بحر الطويل) ، وبيتا أبي

فراس و عنتره من (الطويل) أيضاً ، وبيتا

أبي تمام والنابغة من (البسيط) ، الأمر

الذي يؤيد وجهة الترصّد لخلق ذلك

التعلق بين الآبيات وهي تجري مجرى

الحدائث منطلقاً من موضع التأصيل .

ومما تقدّم سنعي أن تلك التناصات وإن

كانت منطلقاً على مستوى البيت الواحد

إلا إنها شكّلت أرضية لغوية أصيلة المنحى ،

لبست بعد ذلك أسلوب التجديد في

سبيل ممهاها ، وجريان تشكّلها ، الأمر

الذي يجعل تلقينا يقر ويسلم بعدم



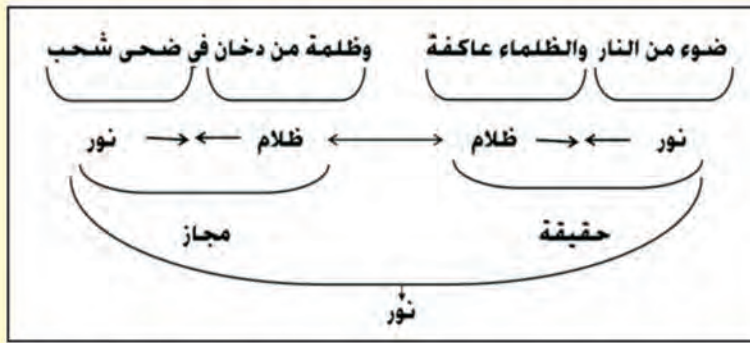
101

العدد (6)
أكتوبر
ديسمبر
2017م

(أ) غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحي
يشله وسطها صبح من اللهب
(غادرت) فما كان من أحداث جسام ومن
نصر مؤزر فهو مخلف من مخلفاتك ،
فنعي بعد ذلك أن النفي (لم تجب) (لم
تغب) ، مع عنصر الالتفات السريع لوجهة
السياق إلى الوجهة المغايرة تماماً ، هو
في حد ذاته يتجاوز النفي كونه معطى
سردياً ذا وجهة مؤلدة ، ليرسم في
انعطافه صورة أخرى حسيّة في ذاتها ،
وتسهم في تكوين بناء المشهد العام
للبيت والنص ، هنا يكون التقابل أو
التضاد الثري في النص عاملاً من عوامل
ترسيخ وثبات هياكل الملامح المشكّلة
لبنية التصوير الخاصة والعامة ، فظل
النص يجلي تلك التقابلات الثنائية بين
القيم الإيجابية والسلبية ، كالآتي :
(البياض / السواد) ، (العلم / الجهل) ،
(اليقين / الشك) ، (الصدق / الكذب) ،
(الفعل / القول) ، (الجِد / اللعب) ، (الفصل /
الهزل) ، (البيان / الخفاء) ... الخ ، ويمكن
أن تنطوي تلك الثنائيات كلها على
التوالي تحت ثنائية (النور / الظلام) .
ففي : (غادرت) يتبدى استغراق القرب
بالخطاب ، وتطير مشهد التصوير بشبه
الجملة (فيها) المحددة للمكان ، ثم أخذ
إطار المشهد يتسع في البيت الذي يليه :
ب) حتى كأن جلابيب الدجى رغبت
عن لونها أو كأن الشمس لم تغب
بلغ التصوير عنان الأفق بأكمله :
(جلابيب الدجى) ، بعد ضيق كون
التصوير في قوله : (فيها) ، فاعتمد
التشبيه على الأداة (كأن) التي تعطي
العرض التصويري بُعداً أوسع وأمد من
سواها ، لذا نراها تحضر في التصويرات
الكونية الأمد تبدياً للراني لما يتراءى ،
كما في : كأنك شمس ... ، وكأن مثار
النقع وكأن قلوب الطير ...
فكرّها السياق بـ (أو) التخيرية ليثري
سبل العرض المشهدي : كأن جلابيب ... /
أو كأن الشمس ، لكن منحى التخير المثري
أبرز في مساقه طابع التمرحل لقوة
السطوع ، فـ (كأن الشمس) أقوى سطوعاً
من (كأن جلابيب الدجى رغبت عن لونها) ،
الأمر الذي فسح مجال الاستدراك المتقضي

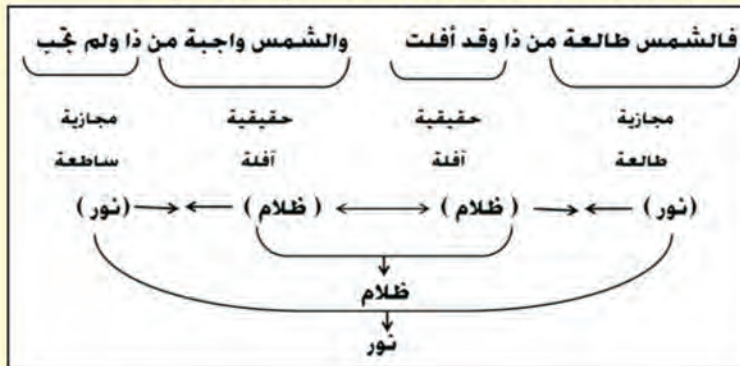
- غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحي
يشله وسطها صبح من اللهب
- حتى كأن جلابيب الدجى رغبت
عن لونها أو كأن الشمس لم تغب
- ضوء من النار والظلماء عاكفة
وظلمة من دخان في ضحي شحب
- فالشمس طالعة من ذا وقد أثلت
والشمس واجبة في ذا ولم تجب
امتزج المكون الوصفي في تصوير لوحة
المعركة بدوال توزعت بين عنصرين النور
والظلام ، كالآتي :
الظلام : بهيم / الليل / جلابيب / الدجى /
الظلماء / عاكفة / ظلمة / دخان / أثلت /
واجبة .
النور : ضحي / صبح / اللهب / رغبت عن
لونها / الشمس / لم تغب / ضوء / النار /
ضحي / فالشمس طالعة / لم تجب .
كما توزعت تلك الدوال في إشاراتها إلى
مدلولات حقيقية وصفية (في بناء
الشعرية) ، وأخرى مجازية كما سيوضح
في قابل السطور ، لكننا إذا تأملنا ذلك
الانشطار لتلك الدوال على النور والظلام ،
للذين يفضيان في الأخير إلى قسوة
المعركة ومنه قوة وعزّة الانتصار ، سنلمح
خلق الصورة المغايرة من لي وجهة مسار
السياق عن طريق الإيجاب إلى السلب
(النفي) كما في تصوير الشمس الآتي :
(واجبة / مظلمة) (لم تجب / مشرقة) ،
(غائبة / مظلمة) (لم تغب / مشرقة) أو
في تصوير الظلمة ، (كأن جلابيب الدجى
رغبت عن لونها / مشرقة) .
هذا التنميط الذي يتناسل فيه الضد
من ضده بالنفي في خطى سياقية قصيرة
جداً يخلق سرعة فائقة في التحويل
المتراخي للمشهد العاكس لحصول
النصر السريع ، وفي الوقت نفسه يعكس
الدمار الهائل الذي حل بهذه المدينة
ومنه تبرز أيضاً قوّة مقاومة الطرف
المقابل ، فيكون الفوز والنصر الكبير -
بالسرعة الفائقة - أمراً مرجعه قوة خارقة
ليست طبيعية تتمثل في القيادة التي
أعطاهها السياق الحضور العميق في هذه
الآبيات في قوله :

الانقطاع التام للمدرسة التجديدية عن
الامتداد التاريخي الموروث للمنتج الأدبي
، ولكن التجديد طال التنميط والتشكيل
للبنية اللغوية الراسمة للتصويرات
والسرديات وهي تمارس سلطتها
المطلقة المحررة عن وجهات الترسيبات
الموروثة للمكون الأدبي نفسه في
منتجه الإبداعي ، كما يرى شوقي ضيف
وإصفا الشعر في العصر العباسي : « ...
ومن ثم ظل الشعر القديم حياً في هذا
العصر ، بل لعله حي حينئذ حياة أكثر
خصباً من حياته القديمة ، فقد عاد ليبحث
بعثاً جديداً ، بعثاً يتمثل في العصر
بطاقته الحضارية والعقلية ، وكأنما امتح
تلك الفروق بين البوادي وحواضر العراق ،
فحياة تلك الحواضر وحياة الصحراء تلتقي
جميعاً هذا اللقاء الحي المثمر الذي كان
يتحول فيه كل معنى قديم إلى صورة
عباسية جديدة . وهذا هو السر في أن
تيار القديم ظل يجري جريان السيل
وينصب فيه انصباب القطر » (٧) .
وإذا سمحنا لتتبّعنا أن نجزنا إلى تقصّي
مسار التحديث في بيت أبي تمام ولوجاً
إلى نص (السيف أصدق أنباء) بأكمله
سنذكر أن التحديث التصويري في لغة
أبي تمام وإن انطلق من موضع التأصيل
زماناً ، إلا إن غاية التحديث في لغة شعره
قد تجاوزت طلب الجديد من موضوعات
مطروقة ، إلى آلية الطرق ذاتها ، فبلغت
مرحلة نسف العلاقة المطردة بين
طرفي التصوير (مشبه / مشبه به) أو
(مستعار / مستعار له) في بنيتي التشبيه
والاستعارة على التوالي ، وخلق علاقات
جديدة ترسمها لغة السياق ، وإعفاء قيد
القرينة في المجازات من مزاوله توحيد
وجهة المسار ، فتمتزج المكونات
التصويرية بعضها ببعض فلا تنفك في
خلقها التصويري الجديد عن بعضها
البعض ، لأنها أضحت منتجاً دلاليّاً جديداً
يكتسب سماته من كون ذاته لا من كون
ما كان قبل التصوير ، وهو أمر يتضح جلياً
في آلية تصوير معركة (فتح عمورية) في
الآبيات الأربعة الأخيرة من الأبيات
المعروضة من النص ، والتي سنأمل بناء
التحديث التصويري فيها ولا سيما
البيتين الأخيرين :



التنامي المرحلي يتحول المجاز إلى الأصل المبني عليه تعبير التصوير ومنه استحالة المجاز إلى واقع شعري مهيمن على بنية التصوير أي أن (الحلم المنشود) حل محل الواقع وأضحى النصر حقيقة لا تقبل الشك، وهي مرحلة تالية لمرحلة البيت السابق.

وإذا نظرنا إلى هذه الشموس من حيث الأفول والإشراق، من حيث البزوغ والتلاشي، سنرى الآتي:



من الشكل أعلاه تتجلى إحاطة النور المجازي بالظلام الحقيقي، فأخذت اللغة الشعرية ثماهي ذينك التصويرين في مشهد عام تتألف وحداته من مكونات الحقيقة والمجاز متجاوزة التوالي الوالج من الحقيقة إلى المجاز في البيت السابق إلى التواشج البنائي المترابط غير المنفك، إلا إن العامل المشترك في كلا البيتين هو احتواء النور والإشراق للظلام والظلمات، فأنحصر الأخيران وامتد الأوليان فاتحين للأفق مناكب امتدادهما، فأفلت الشمسان الحقيقيتان فاسحتين المجال للشمسين المجازيتين أن تحل محلها ليُضحى المجاز حقيقة، والحلم المنشود واقعاً ملموساً، فلا تمثل الشمس الطالعة النور والضيء حسب، بل كل القيم الإيجابية في النص بأكمله، و تمثل الشمس الأفلة كل القيم السلبية فيه،

أخذ النور يشارك الظلام مسار الحقيقة (الواقع الشعري)، بل ويسبقه، كما أن الظلام بدأ يبتعد عن الحقيقة (الواقع) إلى المجاز في صراع مع النور المجازي (الحلم المنشود) ليستحيل الظلام الحقيقي ماضياً مدموماً مدحوراً والجأ في أمنيات المجاز بالفناء والتلاشي، غير حاضر على واقع الحقيقة، فأحكم النور العام سطوته يمنة ويسرة حاصراً الظلام ومسيطرًا عليه في سبيل إفنائه وتشتيته بنور الواقع

الذي أخذ يشع على كون الواقع الشعري نصراً وعزة وكرامة.

أما البيت الآخر وهو البيت الذي تناص فيه أبو تمام مع النابغة:

فالشمس طالعة من ذا وقد أفلت

والشمس واجبة في ذا ولم تحب

ينماز التصوير في هذا البيت باحتوائه أربع شمس، شمسان منهما حقيقتان، بينما كانت الأخرى مجازيتين، لكن الشمسين المجازيتين كانتا الحاضنتين في نظم البيت الشعري للشمسين الحقيقيتين، الأمر الذي يعطي المجاز حرية انطلاق التصوير بسطة وسلطة أفقية، على حساب الشمسين الحقيقيتين، فيفتح المجاز على فضاء الكون الشعري للغة التصوير المعبرة له والراسمة لامتداد أبعاده، وهو ما يضيف طابع

للسطوع أن يحضر إلى جانب ذلك الثراء التخيري في تشكيل نمط العرض للمشهد التصويري، وإذا توقفتنا عند دالي الظلام والنور، مفصلين نصيبهما من حقيقة ومجاز في البيتين السابقين على التوالي الراسي والأفقي، نلمح الآتي:

(أ) بهيم الليل (حقيقة) -- وهو ضحى (مجاز) -- صبح من اللهب (مجاز).
ظلام / حقيقي -- نور / مجازي -- مجازي .
واقع الإدلال -- حلم النصر المأمول -- حلم النصر المأمول
(ب) جلابيب الدجى (حقيقة) -- رغبت عن لونها (مجاز) -- الشمس (مجاز) -- لم تغب (مجاز).
ظلام / حقيقي -- نور / مجازي -- نور / مجازي -- نور / مجازي .
واقع الإدلال -- حلم النصر المأمول -- حلم النصر المأمول -- حلم النصر المأمول .

كما هو جلي أننا إذا قرأنا (الظلام) هو واقع المذلة والإهانة التي تعرضت لها تلك المرأة المسلمة من تعد، فكانت سبباً لتلك المعركة، فإن النصر المرجو (النور)، وإن الحقيقة هي الواقع، والمجاز هو حلم النصر المنشود، فإننا سنقرأ أن كلا البيتين يبدأ بالظلام الحقيقي (واقع المذلة)، فتلاه في البيت (أ) النور المجازي (حلم النصر المأمول) مرتين، ثم في البيت (ب) ثلاث مرات في دلالة على تساق جريان أحداث النص مع اقتراب تحقق حلم النصر المنشود بخطوات كلما صعدنا مع تنامي الأحداث في نزول قراءتنا رأسياً للنص، وصولاً إلى البيتين اللذين يبدأ المزج والتماهي فيهما بين الحقيقة والمجاز ليصيرا مكوناً جديداً ذا سمات وليدة يوسم بها في تديه الذاتي منفك عما قبل التكون.

الظلام والنور بين الحقيقة والمجاز:

ستقرأ دراستنا شعرية الظلام والنور بتوصيفها المجازي والحقيقي، لكن الحقيقة هنا وإن أشارت إلى واقع ما فهي حقيقة شعرية تمارس أليتها في إطار بنائها الشعري، كما في البيتين الآتيين:

أولاً: ضوء من النار والظلماء عاكفة

وظلمة من دخان في ضحى شحب
يمكن تنسيق البيت من حيث التعبير الحقيقي والمجازي كالآتي:



103

العدد (6)
أكتوبر
ديسمبر
2017م

مفتعل الأحداث الظاهر أخذ يلج حدثاً مع
الفاعل الحقيقي الخفي لهذه الأحداث ،
بحيث يضحى المحدث القريب وسيلة في
يد المحدث الأقوى والأعظم و الأكبر ،
فأنتى لعاقل بعد ذلك أن يتسلل إلى قلبه
شك من يقين تحقق النصر ؟!

وبالوقوف تأملاً في بنية هذا البيت الأخير
صوتياً نجد أن بحر البسيط قد انبسط ،
لديه الأمل حتى التحقق تتجلى التفعيلات:

مستفعلن فعِلن مستفعلن فعِلن
مستفعلن فعِلن مستفعلن فعِلن

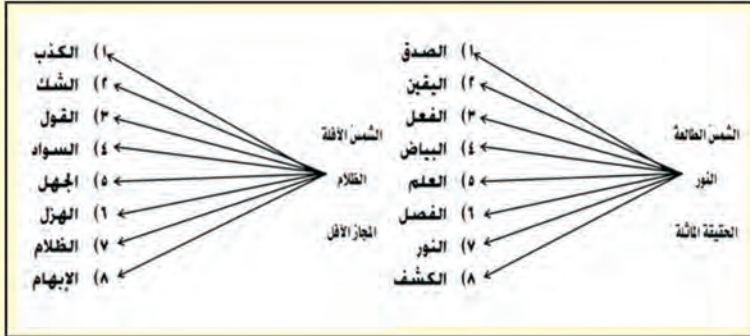
لم يكسر الإيقاع ولو بامتداد مباح - هو
الأصل عروضياً - في (فعِلن) إلى (فاعِلن)
بل ظل الإيقاع محافظاً على نسق
التفعيلة بالخب، الأمر الذي أعطاه نغماً
جاداً جميلاً في مبناه بليغاً في دلالاته و
كأنك تسمع أقدام خطوات جيش يتحرك
بوتيرة واحدة ، في ثبات موقن بتحقيق
هدف ممشاه ، فلا يعيقها عائق ولو كان
الامتداد الموحى بالترخي في (فاعِلن) ،
فانتظمت (فعِلن) التي تعطي مبدأ التحقق
دلالة أكبر على صيغة المبالغة ، كما في :
يقظُ ، وأشرُ ، وقطنُ ، وحذرو... .

كذلك جسدت السين والتاء في تفعيلة
(مستفعلن) حضوراً يكتسب مبدأ السعي
الجاد نحو تحقيق الهدف ما تكتسبه أفعال
مثل : مستنجدُ ، ومستكثرُ ، ومستغفرُ ،
ونظائرها .

الهوامش :

- ١) أبو فراس الحمداني : تحقيق د . إبراهيم
السامرائي ، ط (١) عام ١٩٨٣ م ، دار الفكر
للنشر والتوزيع ، عمان ، ص ٦٦ .
- ٢) ديوان عنترة ، ط (١) عام ١٩٥٥ م ، دار
صادر ، بيروت ، ص ١٠٣ .
- ٣) ديوان امرئ القيس : تقديم و شرح وتعليق
د . محمد حمود ، ط (١) عام ١٩٩٥ م ، دار
الفكر ، لبنان ، ص ٩٠ .
- ٤) بشار بن برد دراسة وشعر : د . محمد
الصادق عفيفي ، ط (١) عام ١٩٨٣ م ، دار
الرائد العربي ، بيروت ، ص ٢٦٠ .
- ٥) ديوان أبي تمام : تقديم و شرح د . محي
الدين صبحي ، ط (١) عام ١٩٩٧ م ، دار صادر
بيروت ، ج ١ / ٩٦ .
- ٦) ديوان النابغة الذبياني : تحقيق و شرح كرم
البستاني ، دار صادر ، بيروت ، ص ١٠٥ .
- ٧) البلاغة تطور و تاريخ : د . شوقي ضيف ، ط (١)
الأنفال : ١٧ .
- ٩) دار المعارف ، القاهرة ، ص ٢٤ .

وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ... (٨) ،
في موضع حربٍ مشابهه فكان المددُ
الصيبُ صادراً عن الرامي ذاته في
المتناسين ، في تحوّل في آلية الرمي



بحيث يصبح المخاطب كلّ بكل كيانه
أداة ، أو شاهاباً تُقذفُ به رؤوس الأعداء فلا
يحيد مسار الرمية عن مرماه ، بينما
الأصل في المخاطب في النص القرآني
أنه رحمة للعالمين ، ونور يتسلل إلى
القلوب سنا ضوئه واصلاً إليها هده ،
يعالج خوالج البواطن ، لتقوى به الظواهر .
وإذا تدبرنا قوله :

تدبيرٌ معتصمٌ بالله منتقمٌ

لله مرتقبٌ في الله مرتغبٌ
نلاحظ تسلسل اسم الفاعل : معتصم /
منتقم / مرتقب / مرتغب
جرى كل ذلك الافتعال المكثف للحدث
الذي يحمله اسم الفاعل بعامل تكثيف
واحد ، ومسببٍ أوجد ، فما زال اسم الفاعل
- الذي فعله (افتعل) - يقترب من هذا
المسبب في كل خطوة يخطوها حتى
الالتحام والتوحد مع دافع ذلك الافتعال
رويداً رويداً :

(أ) معتصمٌ بالله - ب) منتقمٌ لله - ج)
مرتقبٌ في الله - د) مرتغبٌ
تتبعين رتابة وتوالي ذلك القرب حتى
التماهي بتوالي أشباه الجمل :

(أ) بالله - ب) لله - ج) في الله ، تدرج حرف
الجر فيها في الاقتراب حتى التماهي
والالتحام ، فكانت الخاتمة منفتحة
(مرتغب) مجردة من التعالق بشبه الجملة
في دلالة على أن التماهي قد تم في
الخطوة الثالثة فلم يعد ثمة إلا مكون
واحد ، ومن جهة أخرى يعطي سياق البيت
انفتاح دوران التعالق استمراراً كلما
استغرق الحدث فاعلية وولوجاً ، وكان

في آلية فصل لخطي التوازي المتقابل
الذي ظل مساره يواكب الأحداث حتى
نهاية النص ، المتكون من الثنائيات
المتضادة ، كالآتي :

و إن كان الكثير من المشككين يشككون
في حدوث النصر إلا إنه تحقق ، لأن
ادعاءهم لا تستند على علم يقين بل
على نقيضه ، كما تمددت شمس المجاز
بأبعادها ملغية واقع البؤس والأمل والمرير
من قناعات وترسبات انبثت على غير هدى
ولا علم مبين ، ظلت راسخة لا تبارح الوعي
الاجتماعي لجغرافية النص ، وكما هو
تغير واقع المكان بعد المعركة عما قبلها .
لكن هذا الشهاب المشتعل الذي أشعل
هذه الشمس الطالعة لم يكن ليبلغ هذا
المبلغ من التدبير (للعدو) والإشراق
للحاضر المكاني في أن واحد إلا لأن
الطاقة التي أمدته بتلك القوى العجيبة ،
هي الطاقة التي أوجدت الكون بأسره ،
وإن تبهرجت شهب الأرماع لامعة بين
الخميسين تاركة مجالها الراسي إلى مجال
أقوى يسري بين الجحفلين ، إلا إن ثمة
شهاباً قذف من عالٍ إلى تلك المعركة .
ذلك الشهاب هو المخاطب في النص
والذي تعود عليه ضمائر الخطاب في
الأفعال : (غادرت / أجبتّه / أجبت / أيامك /
نصرت ...) أي الخليفة ، الذي هو الشمس
الساطعة ، المشعة ، المحرقة ، والأقْلون
هم ، فكان شاهاباً مرجوماً صيباً منقياً
مفنياً مؤفلاً محصصاً ، لأن راميهِ ليس
كأي رام ، كما ينص النص :

رمى بك الله بُرجيها فهدمها

ولو رمى بك غير الله لم يُصب
فيُعِيدنا هذا البيت إلى التناص الضارب
في القدم قاطعاً من العصر العباسي
عصوراً حتى العصر الإسلامي حين
يتناص مع النص القرآني في قوله تعالى :

أعلام من النساء الحضرميات

(نماذج من الدور العلمي والعلمي التربوي للمرأة الحضرمية)

ثانياً : نماذج من النساء الحضرميات اللواتي كان لهن دور تربوي علمي بارز :

العلوم، فغدواً مهذبين يستضاء بعلمهما، ويشار إليهما بالصلاح والفضل، وذلك بإخلاص وصرامة عمتها الفاضلة رحمها الله تعالى . هكذا تحدث عنها السيد العالم محمد بن هاشم في كتابه "تاريخ الدولة الكثيرة" في معرض ذكره لترجمة السيد العلامة طاهر بن حسين بن طاهر المتوفي سنة ١٢٤١ هـ (٢٤٤) .

وقال الأستاذ محمد بن أحمد الشاطري - في ثنايا حديثه عن العلامة طاهر بن حسين - : "وممن شارك في تربيته عمته أم كلثوم بنت طاهر بن محمد بن هاشم وهي من أفضل نساء عصرها وتعد مربية مثالية إلى جانب اتساعها في العلوم وقالوا قد اجتمعت فيها شروط القضاء الشرعي إلا الذكورة" (٢٥٠) .

النموذج الثاني : الفاضلة الصالحة سلمى بنت سالم بحول :

هي والدة العلامة الفقيه حسن، والعلامة القاضي محمد وهما ولدا السيد سقاف بن محمد بن عمر السقاف، قال عنها السيد عبد الله بن محمد السقاف في كتابه تاريخ الشعراء الحضرميين : "كانت من الصالحات

أصبحت بيوتنا شبيهة بالأسواق، وما كان يسمع فيها إلا ذكر الله وتلاوة القرآن، فقالت لي أختي مريم : هل لك في التوبة ؟ قلت : نعم، وتبت على يدها، وأخذت ميثاقاً على أن لا أعود إلى مثلها، وبقي الخدم سنة يؤنبونني، ويقولون : توبة مقبولة" (٢٢٢) .

النموذج الأول : الشريفة الفاضلة أم كلثوم بنت طاهر بن محمد بن هاشم العلوي :

هي السيدة العريضة في العلم، التي يقال عنها إنها تجمعت لديها كل شروط القضاء غير الذكور، وهي التي قامت بكفالة وتربية ابني أخيها العلامتين الشهيرين طاهر وعبد الله (٢٣)، فحفظا كتاب الله، وكانت ترأبهما مراقبة شديدة، وتحرسهما نهاية الحراسة عن مخالطة الأغيار والأضداد، بل وعن الاتصال بهم، فكانت تحتم عليهما إذا ذهبوا إلى الكتّاب أن لا يذهبوا إلا من طريق معين ويعودا به نفسه، وأذكت عليهما العيون والأرصاد، فالزمت أناساً يوافونها بأخبارهما خارج الدار، وكان دخول السوق ممنوعاً عنهما بتاتاً، فترعرا بتريم طالبي علم، مترددين على فضلها، مكبّين على تحصيل



عادل حاج باعكيم

قال العلامة المؤرخ الأديب العظيم عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف في كتابه الرائع الذائع الصيت المسمى بـ : "العود الهندي عن أمالي في ديوان الكندي" - وهو عبارة عن مجالس أدبية في ديوان الشاعر الشهير أبي الطيب المتنبي - في سياق ما ذكره عن سلف الأمة : أن الصبي فيهم إذا بلغ عشرأ لا يمكنه من التبسّم في خضرة الرجال ؛ قال بعدها معلّقاً عن ذلك الحديث : "إن آخرها ليس بأكبر مما روي عن بعض أجدادنا العلويين أنه قال : جئت وأنا في التاسعة من عمري، وأمي تسبح الضحى، فرأيت ما ارتفع له صوتي قليلاً بالضحك، فما انفلتت أُمّي من صلاتها ؛ إلا وقد بلت خمارها بالدموع تسترجع وتقول : لقد



105

العدد (6)
أكتوبر
ديسمبر
2017م

وتقوم هي بما عليها محتسبة ذلك عند الله . وربما قال بعض الناس لها : الأولاد ما عاد حد جاء منهم ؟ يُريد بذلك كلام منها في جانب أولادها، فتقول : هم أولادي إن قربوا أو بُعدوا . فيقولون : ما بقي لنا كلام . فيصدق عليها الحديث : " رحم الله والدأ أعان ولده على برّه، يقبل إحسانه، ويتجاوز عن إساءته " .

وقد استأذنها أصغر أولادها المسمى أبوبكر للحج، فقالت : يا ولدي يعسر عليّ فراقك، ولكن إذا كنت تريد الحج فلا أتركك تكون عاقاً؛ قد رضيت بذلك فسر على بركة الله تعالى، وأنت في حل . وقد كان أعز الناس إليها، فصبرت على فراقه، ولها في ذلك أشعار في الشوق إليه، ثم ما لبث أن جاء من الحج ، فمكث مدة يسيرة واستأذنها في العودة إلى مكة، فأذنت له، فسار بسرعة، فلما سافر ذاكها ابنها السيد علي في أمر أبي بكر، حيث قال لها : إن الصنو أبابكر استعجل هذه العجلة القوية، فقالت : خطوته جذبتّه . ثم بعد ذلك بأيام قالت لابنها علي : رأيت كأنّ أبابكر طفل صغير، وكأنه سقط من يدي، ووقع في بحر . فلم نلبث إلا مدة يسيرة، فجاءنا خبر وفاته، وكان ذلك سنة ١٤٦ هـ بمكان يسمى حوره من أرض الساحل .

ويصف ابنها السيد العلامة علي بن حسن العطاس أيامها الأخيرة فيقول : ثم إن الله سبحانه وتعالى كمل لها الثواب ليحسن لها المآب ، فامتحنها في آخر عمرها بعلقة غريبة وهي أنها لا تأكل ولا تشرب، ولا تأخذ إلا العسل واللبن، من نحو مدة من الزمان؛ حتى ذهب لحمها وبقيت عظم عليه جلد، وهي صابرة محتسبة غير شاكية ولا متضجرة، فكانت مدة مرضها المذكور لم تؤذ من يقوم برعايتها وتمريضها، ولا تطلب منهم السهر، ولم يُعلق سراج؛ إلا ليلة تعبها قبل الوفاة، وليلة الوفاة، وكنت لمّا رأيت تزايد تعبها أردت القعود عندها وترك صلاة الجماعة في المسجد، فقالت : يا ولدي قم فصل جماعة، لا تشغّب

قالت : إن أهل البيت النبوي مثل الشمس لا يزيدها الثناء ولا ينقصها الذم . ويقول أيضاً : بأن كل من عرفها يقول إنها معدودة بصفات الكمل من الرجال: أي في الحلم والكرم ورباطة الجأش، ورجاحة العقل، وقوة الصبر، واحتمال المكاره . وكانت - رحمها الله - من ذوات الإخلاص واليقين وسن الأدب والمعرفة بما يزين ذوي الإحسان، فقد ربّتنا من أول النشأة على تعلم القرآن العظيم، وكانت تواسي من نقرأ عنده؛ بحيث لا نروح إليهم إلا بفرحة - أي هدية - وإن قلّت . وكانت إذا أقبل السحر آخر الليل تقوم ملازمة للذكر، وتطبخ في ذلك الوقت القهوة، ثم تقول لنا : قوموا إلى المسجد، وكنا مع صغر السن ربما يدخل المسجد مع بعض الناس ممن لا يعرفنا، فيقول : من هذا الأغبر ؟ فلم تزل تُلزمنا على ذلك حتى أنها إذا علمت أننا تركنا العُلّة - حلقة حفظ القرآن الكريم - يوماً قطعت علينا وجبة العشاء وتقول : ما مني شيء لضربك - أي ما أقدر على ضربك - ولكن إذا ماشي علمه ماشي عشاء، فنبات لذلك بلا عشاء، ولازمنا على هذا الأدب حتى ختمنا القرآن ببركتها . وكانت - رضي الله عنها - قد أعطيت من الصبر أقصى عبارة، وتجرت منه أمر مرارة، وجنت منه أينع ثماره، فكانت لا تُجيب على من يؤذيها، وتحتمل الأذى، وتنظم في ذلك الأشعار، ولا تُكافئ إلا بزين، وتنهانا عن إقامة النزاع في شيء من الدنيا، وكانت تأمرنا بكتمان الحوائج والأسرار جداً جداً، وتقول : إذا استعنتم بماعون - قدر الطعام - الناس ردّوه إليهم ما يطلبونه منكم .

وكانت من الصابرات على فراق أولادها إذ فارقها جُلهم، ولكنها كانت تعرف أن خيرة الله أحسن من خيرتها، ولا تظهر بذلك جزعاً ولا غيره مما يعتري النساء من الرقة عند الفراق؛ بل كانت تقول : يا ولدي إذا عرفت لك مصلحة دين أو دنيا في شيء فاقصده . وقد كانت تترك ذكر حقوقها وما يجب للوالدة على الولد،

القائنات ذكرها العلامة الشيخ عبد الله بن سعيد بن سمير في المنهل العذب الصاف " اعتنت هذا الفاضلة بولديها عناية فائقة ولا حظتهما أما ملاحظة حتى أصبحا أعلاماً يشار إليهما بالبنان، توفيت بمدينة سيئون في أجواء سنة ١٢١٠ هـ رحمها الله تعالى (٢٦) .

النموذج الثالث : الفاضلة الزاهدة المربية فاطمة بنت الشيخ أبي بكر بن الشيخ شيبان بن أحمد بن إسحاق :

كان مولدها بمنطقة هين، وهي والدة السيد العلامة علي بن حسن بن عبد الله العطاس صاحب منطقة المشهد الشهيرة في حضرموت . كانت - رحمها الله - مثلاً عالياً للخلق الرفيع والعفة والزهد والشرف المنيع والعبادة والصلاح، عرفت عند الناس بالتواضع والمحبة وحسن الخلق وصفاء السيرة؛ بحيث لم تتفوه بكلمة سوء في حياتها على أي إنسان صغيراً كان أم كبيراً؛ حاضراً كان أم غائباً .

ثم بعد أن رزقها الله بكوكة مباركة من البنين والبنات زهداها الله في الدنيا وزخارفها فانشغلت بعبادته وذكره وشكره، فعزفت نفسها عن الدنيا ملذاتها بالكلية، وزهدت في كل ما لديها من حلي وثياب وزينة؛ ففرقتها على مستحقيها في سبيل الله، وابتغاء مرضاته، ولبست ثوب الصلاة الذي لم تستبدله بغيره من ثياب الزينة حتى اختارها الله إلى جواره .

وقد كانت الشیخة فاطمة لا تفارق المسبحة يدها وأنوار الوضوء الدائم والصلاة المتصلة مشرقة على محياها، وهكذا حال السيدات العابدات القائنات اللواتي يختارهن الله زوجات صالحات لعباده الصالحين السعداء .

ومن خصائصها المميّزة ما يذكره ولدها السيد العلامة علي بن حسن العطاس فيقول : إنها معروفة عند الخاص والعام بغزارة العقل، والمعرفة التامة، والمحبة لأهل البيت؛ حتى أنها



الناس - أي لا تقلقهم - فإن الذي بايقع عاد ما هو الليلة، فقلت : وأيش هو الذي بايقع، قالت : الذي يقدره الله بايكون . فعرفت أنه الموت، وكانت مدة مرضها لم يغلب لها ذهن، وقالت لي : يا ولدي ما هي إلا سوابق ما السعادة بالأعمال، فالحمد لله . وقالت لها بنتها شبيخة : انذني لي بالصعود إلى حريضة، فإني شغلتم بالعيال . فقالت لها : زيدي ثمان أيام . فكانت وفاتها يوم الثامن . توفيت هذه الشبيخة الفاضلة ليلة الثلاثاء الخامس من جمادى الآخرة سنة ١٠٥٣ هـ رحمها الله (٢٧) .

النموذج الرابع : السيدة الفاضلة العالمية

المرتببة صفية بنت طاهر الحداد :

هي والدة العلامة المعروف السيد أحمد بن مشهور بن طه بن علي الحداد المتوفى سنة ١٤٠٦ هـ (٢٨)، كانت من الأمهات القلائل اللاتي ضمن الزمان بمثلن علماً وصلاً وحصافة وفصاحة، وكانت من حفاظ القرآن الكريم، فغدت ولدها العلامة أحمد بلبنها وهي تتلوه، ورعته بتوجيهها وهي تدرسه آياته، وكانت أول من أخذ بسمعه لتروي له في قصصها حياة الذين أدركتهم من أئمة العلم والصلاح رحمها الله تعالى (٢٩) .

النموذج الخامس : المعلمة الفاضلة

القائمة ربيعة بنت سليمان بن سيف

بن راشد الجسائية :

مولدها بجزيرة إنجزيجا من جزر القمر، وبها تزوجت الشيخ الفاضل عبد القادر بن عبيد بن سالمين بن عبد الله بن سعيد بن موسى الملاحى وأنجبت له عدة أولاد منهم العلامة مفتي مدينة الشحر الشيخ عبد الكريم، والعالم الفنان الشيخ أحمد، عرفت هذه المرأة بالفضل والورع والزهد وبتمكنها في علم الفقه وبعض العلوم الأخرى، فكان ولدها الشيخ العلامة عبد الكريم يحتفظ بكراسة لها في باب الحيض يلقي منها بعض الدروس على تلامذته أحياناً (٣٠) . ظلت الشبيخة ربيعة معلمة للبنات في

مدينة الشحر وريدة عبد الوود - الشرقية - وشحير وغيل باوزير على مدى أكثر من ثلاثين عاماً، كانت على أحسن حال من التقوى والورع، قال أبنها الشيخ أحمد في مذكرته الشحرية التاريخية : " أول امرأة بنت مسجد للنساء بشحير هي المعلمة الصالحة القائمة الزاهدة ربيعة ... وذلك في شهر شوال سنة ١٣٧٦ هـ الموافق سنة ١٩٥٦ م " (٣١)، وهذا المسجد يعرف في شحير بمسجد ربيعة، وبعد توسعته في العشرين السنة الأخيرة (٣٢) غير اسمه إلى مسجد أبي بكر الصديق وأصبح للرجال والنساء معاً، وهذا لا يجوز كما هو معلوم لدى الفقهاء .

في آخر يوم من حياتها دعت جماعة كبيرة من أهلها وصديقاتها وتلميذاتها وعملت مولداً نبوياً (قراءة السيرة النبوية) ببيتها بغيل باوزير عصر ذلك اليوم وكانت وفاتها بعد المغرب، توفيت في غيل باوزير - كما تقدم - سنة ١٩٧٦ م رحمها الله تعالى (٣٣) .

* * *

الخاتمة :

وهي خاتمة المطاف، ونهاية الأمر، حاولت فيها أن أجمع أسماء بعض النساء الحضرميات اللاتي عرفن بالعلم أو الفضل والصلاح، ولعل هذا البحث يكون نواة لكتاب موسع في المستقبل القريب باسم : " معجم النساء الحضرميات " فهو سيضم كل النساء باختلاف فنونهن أو ما عرفن به .

في حضرموت - أرض العلم والدين - نسيج متنوع من النساء باختلاف طبقاتهن فممن من عرفت بالعلم فهي فقيهة مثلاً، وممن من عرفت بالأدب فهي شاعرة، وممن من عرف بالصلاح والتقوى والزهد والورع مما انعكس إيجاباً في تربية الأبناء فادى ذلك لتطور المجتمع بشكل كامل وبرز فيه علماء في جميع المجالات المختلفة .

الآن سأحاول أن أركز على بعض الكتب الحضرمية، وسأستخرج - بعجالة - من كل واحد منها على جدة النساء الواردة

أسماءهن فيه باختلاف ما عرفن وتميزن به كما تقدم .

الكتاب الأول : الدر الفاخر في أعيان

القرن العاشر، تأليف القاضي جمال الدين محمد بن عبد الرحمن بن سراج الدين باجمال، ترجم وذكر هذا القاضي الفاضل في كتابه الرائع هذا عدداً من النساء هن : أسماء بنت عمر باجمال ص ٥٨، وفاطمة زوجة الشيخ معروف باجمال ص ٥٩، ومريم بنت عمر باجمال ص ٥٩، وفاطمة بنت محمد باجمال ص ٦١، وعائشة بنت الشيخ معروف باجمال ص ٦٧، وأسماء بنت معروف باجمال ص ٧٥، وأسماء بنت محمد بن عمر باجمال ص ٧٩، وفاطمة بنت عبد الله بن أحمد باجمال ص ٨١ وغيرهن .

الكتاب الثاني : تاريخ الشحر المسمى

العقد الثمين الفاخر في تاريخ القرن العاشر،

تأليف الأديب الفقيه عبد الله بن محمد بن أحمد باسنجلة، ذكر فيه صاحبه عدد من الحضرميات سنعقد البعض منهن : بنت محمد الكثيري ص ٨٤، وزوجة السلطان عبد الله الكثيري ١٣٢، عالية بنت السلطان محمد الكثيري ص ٥٦، غيدا بنت السلطان بدر الكثيري ص ١١٣ .

الكتاب الثالث : أدوار التاريخ الحضرمي،

تأليف الأستاذ محمد بن أحمد بن عمر الشاطري، ذكر في ثناياه بعض الحضرميات منهن : أم كلثوم بنت طاهر بن محمد ص ٣٨٩، وخديجة بنت حسين بن طاهر ص ٣٩٠، والخنساء الكندية ص ٧٣، وخويلة القضاعية ص ٧٤، وزينب أم الفقراء العلوية ص ٣٠٧، وعزيزة صلاحة زوجة عبد الله عوض غرامة ص ٣٤٧، والفارعة بنت طريف الشيباني ص ١٣٦ وغيرهن .

الكتاب الرابع : عقود اليواقيت الجوهريّة،

للإمام عيروس بن عمر الحبشي، ذكر في ثناياه بعض الفاضلات نذكر بعضهن : فاطمة بنت عمر المحضار ص ٩٨٠، وعلوية بنت عيروس صاحب الوهط ص ١٠١٥، وعائشة بنت عمر المحضار ص ١٠٥٥ .



107

العدد (6)
أكتوبر
ديسمبر
2017م

٨- بأفضل، محمد بن عوض، صلة الأهل بتدوين ما تفرق من مناقب بني فضل، عني بطبعه ونشره علي بن محمد بم عوض بأفضل، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٩- المشهور، عبد الرحمن بن محمد، المنهل العجيب الصافي في فضيلة وكيفية حضرة الشيخ عبد الرحمن السقا، بدون تاريخ.

١٠- الحامد، صالح، تاريخ حضرموت، الطبعة الثانية، مكتبة الإرشاد، صنعاء- اليمن، ٢٠٠٣م.

١١- بامطرف، محمد عبد القادر، الجامع، الطبعة الأولى، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء- اليمن، ٢٠٠٣م.

١٢- الحبشي، عيروس بن عمر، عقد اليواقيت الجوهريّة وسمط العين الذهبية، تحقيق محمد أبي بكر باذيب، الطبعة الثانية، دار العلم والدعوة، تريم- حضرموت- اليمن، ٢٠٠٩م.

١٣- السقا، عبد الرحمن بن عبيد الله، إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، تحقيق محمد باذيب ومحمد الخطيب، الطبعة الأولى، دار المنهاج، بيروت- لبنان، ٢٠٠٥م.

١٤- باوزير، سعيد بن عوض، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، الطبعة الأولى، ١٩٦١م.

١٥- الحداد، علوي بن طاهر، الشامل، طبعة مصورة، تريم للدراسات والنشر، ٢٠٠٥م.

١٦- العطاس، علي بن حسين، تاج الأعراس في مناقب الحبيب صالح بن عبد الله العطاس، طبعة حبابية.

١٧- المشهور، أبوبكر العدني بن علي، لوامع النور نخبة من أعلام حضرموت، الطبعة الأولى، دار المهاجر للنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ.

١٨- حداد، عبد الله صالح، معجم شعراء العامية الحضارم، تحت الطبع، عن مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر- المكلا، ٢٠١٦م.

١٩- ديوان الشريفة الحبابية خديجة بنت علي بن محمد الحبشي، جمع وترتيب علي بن محمد السقا، طبعة أولية، جدة، ١٩٨٧م.

٢٠- العمودي، طارق بن محمد، النساء الحضرميات إشراقات ونوادر من أخبارهن، الطبعة الأولى، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا- حضرموت، ٢٠١١م.

٢١- العلوي، محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرة، دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٤٨م.

٢٢- العطاس، مصطفى بن عبد الرحمن، العبقري المجدد علي بن حسن العطاس، طبعة حبابية.

٢٣- قيسات النور، أبوبكر العدني بن علي المشهور.

٢٤- الدليل المشير إلى فلك أسانيد الاتصال بالحبيب البشير صلى الله عليه وسلم، أبي بكر بن أحمد بن حسين الحبشي.

٢٤. ينظر تاريخ الدولة الكثيرة ص ١٥٧، والنساء الحضرميات ص ٤١.

٢٥. ينظر أدوار التاريخ الحضرمي ج ٢ ص ٣٨٩.

٢٦. ينظر تاريخ الشعراء الحضرميين للسيد عبد الله السقا ج ٣ هامش ص ٣٧.

٢٧. بتصرف من العبقري المجدد علي بن حسن العطاس، للسيد مصطفى بن عبد الرحمن العطاس.

٢٨. أفرد له نجله السيد حامد بن أحمد مشهور الحداد كتاباً أسماه: الإمام الداعية الحبيب أحمد مشهور الحداد صفحات من حياته ودعوته، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٣م، بدار الفتح للدراسات والنشر عمان- الأردن.

٢٩. ينظر قيسات النور لأبي بكر المشهور ج ١ ص ١٨٠، والنساء الحضرميات ص ٤٢.

٣٠. كما أخبرنا بذلك تلميذه شيخنا العلامة ياسر بن محمد بأعياد أطل الله في عمره.

٣١. ينظر المذكرة التاريخية ص ١٩٩.

٣٢. في منتصف تسعينات القرن العشرين المنصرم كما أعتقد.

٣٣. ينظر الكتابات بمدينة الشحر، مقال لعبد الرحمن الملاحي، مجلة الرباط العدد [٢٠] ص ٢٧، وبنات سعاد، مقال بدون كاتب، مجلة سعاد العدد [٣] أبريل- يونيو ٢٠٠٨م ص ١٣.

قائمة المصادر والمراجع

١- الملاحي، أحمد بن عبد القادر، المذكرة التاريخية الشجرية، مخطوطة، توجد بحوزة ورثته بغيل باوزير.

٢- الغماري، أحمد بن محمد بن صديق، المعجم الوجيز للمستجير، راجعه وصححه أبو الفضل عبد الله الصديق، دار العهد الجديد للطباعة، ١٩٥٣م.

٣- باسنجة، عبد الله بن محمد، تاريخ الشحر المسمى العقد الثمين الفاخر في تاريخ القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ط ١، مكتبة الإرشاد- صنعاء، ٢٠٠٧م.

٤- الشاطري، محمد بن أحمد، أدوار التاريخ الحضرمي، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م، توزيع مكتبة تريم الحديثة.

٥- باجمال، جمال الدين محمد بن عبد الرحمن، الدر الفاخر في أعيان القرن العاشر، تحقيق محمد يسلم عبد النور، الطبعة الأولى، تريم للدراسات والنشر، ٢٠٠٨م.

٦- السقا، عبد الرحمن بن عبيد الله، العود الهندي عن أمالي في ديوان الكندي، دار المنهاج، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

٧- السقا، عبد الله بن محمد، تاريخ الشعراء الحضرميين، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

الكتاب الخامس: لوامع النور نخبة من

أعلام حضرموت، تأليف العلامة أبوبكر العدني بن علي المشهور، ترجم فيه لعدد من الحضرميات هن: سيدة بنت عبد الله بن حسين بن طاهر ج ١ ص ٢٧٠، وزهرة بنت عبد الله المشهور ج ٢ ص ٢١٢، وشيخة بنت أحمد بلفقيه ج ٢ ص ٢١٣، وبهية بنت علوي المشهور ج ٢ ص ٢١٧، وشيخة بنت علوي المشهور ج ٢ ص ٢١٧، وعائشة بنت علوي المشهور ج ٢ ص ٢١٩، وفاطمة بنت أبوبكر المشهور ج ٢ ص ٢١٩.

الكتاب السادس: قيسات النور، وهو

أيضاً تأليف العلامة أبوبكر العدني بن علي المشهور، ترجم فيه لعدد لأبأس به من النساء منهن: خديجة بنت أبي بكر المشهور ص ٦-٤٣، وخديجة بنت محسن بن فضل ص ٣٨٥، وسلمى بنت أبي بكر الحداد ص ١٥٩، وشريفة بنت محمد المشهور ص ٥٧٩، وصفية بنت طاهر الحداد ص ١٧٨-٥٠٢، وعائشة بنت آل عبد الله السقا ص ٩٠، وعبودة بنت أبي بكر المشهور ص ٣٩٣، علوية بنت آل شهاب الدين ص ٢٥، وفاطمة بنت عمر بن أحمد بلفقيه ص ٣٦، وعائشة بنت عمر بلفقيه ص ٣٦، علوية بنت محمد بن هارون ص ٣٦٠، وفاطمة بنت أحمد عديد ص ٢٥٢، وقمر بنت علي المشهور ص ٣٤٧.

والحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

٢٢. ينظر العود المندي ج ١ ص ٢٦٠، وهو نقلها بصياغة عن رحلة المغربي إلى حضرموت سنة ٨٦٥هـ. لمغربي مجهول، وقد نشرها كاملة الشيخ محمد بن عوض بأفضل في خاتمة كتابه صلة الأهل بتدوين ما تفرق من مناقب بني فضل، ينظر ص ٣٣٨ وما بعدها.

٢٣. ولد بتريم سنة ١١٩١هـ وتوفي منتصف ليلة الخميس ١٧ ربيع الثاني سنة ١٢٧٢هـ. للمزيد عنه ينظر ترجمته بمقدمة كتابه "المجموع"، وأيضاً تاريخ الشعراء الحضرميين للسيد عبد الله بن محمد بن حامد السقا ج ٢ ص ١٦٢ وغيرهما.



د. أحمد سعيد عبيدون

خطوط قلبية لملامح الوطن

(١)

أبيضٌ حين تفتح عينيك في قلبه
يتمدد في الوهم كالسهم
أو كانطلاق الغزال

وطنٌ يميل
من الظلال إلى الظلال

وطنٌ يملأ الآخرين بأشواقه
ثم ترسب في راحتيه الرمال
وطنٌ لا تمل الكناية ترسل جيرانها
وهي تهبط من غيمة في الخيال

وينحني عند انتصاف الحلم
يكبح وردة في القلب
مذهولٌ يسيل
من الخيال إلى الخيال

وطنٌ لا يزال

تتشرد الغابات في أشواقه
ينثال يعبر في الجهات
من الشمال إلى الشمال

(٣)

وطنٌ في مواويله تتدلى المسافات
في حزنه يستطيل

وطنٌ تباغته الكمان
والقبائل والقنابل والجدال

يهتدي بالغيوم إذا ما غضا البحر
وارتفعت في العيون النوارس
وامتد في الليل موجٌ طويل

يتسلق المجهول يمضي
في اختلاج الضوء مفتون
يضيء من الجمال إلى الجمال

وطنٌ يقضم الدمع
يكظم أوتارَه
يتهادى على حسنه
يتردد في صمته
يستقيل

من أول التاريخ
تعبر في محياه الحقيقة
يستفيق من السؤال إلى السؤال

وطنٌ تتلفَّت فيه النواحي على مهلها
والضيا في على جهلها
والنخيل

وعلى جنوب من حنان الشوق
في الأحداق يغفو البرتقال

وطنٌ يستحيل

يتساقطون لقلبه في الحب
لا قمر يمر ببابه في الحلم
لا بشرى
ولا امرأة تقول له تعال !

(٢)

(٤)

وطنٌ
يتباعد وهو يؤوب إلينا
ويرحل وهو يباغتتنا باللقاء
وطنٌ
يتراجع عند الهزيع الأخير من الويل
يرسم أفراحه بانتظار العناء
وطنٌ
من هواء وماء

وطنٌ ينفج الجرح في دمه
وورود السؤال

تتسلق رفته سلم الدمع
يخفق كالخوف
يرتد في كل حال

وطنٌ أسمر الشوق
حين تحلق عيناك في صمته



إلى عبقرى الفيس بوك هذا أنا يا مارك..



محمد علي باعيسى

لعلهُ من قبيل العرفان أن أكتب شيئاً عن عامي السادس في مدينة الفيسبوك، تلك المدينة الزرقاء التي بناها مارك زوكينبيرغ وأهداني فيها حباً كبيراً وقدرًا عاليًا؛ فإذا أشرقت الشمس على ربوع المدينة يقول لي [صباح الخير]، ثم إذا خيم الليل على أرجائها يقول لي [طاب؟ مساؤك]، وحين يراني شارد الذهن يسألني [ماذا يخطر ببالك؟]

هذا أنا يا مارك؛ شابٌ عشريني حضرمي الهوية والهوى، أعيش في وطن تكالبت عليها الأزمان من كل حذب وصوب، فيه المقاهي تضج ضجيجاً بأحاديث السياسة، والسياسة نجاسة كما يقول صاحب المقهى، ولحسن الحظ أنني لا أفهم

من تلك السياسة إلا بقدر ما يفهمه العجوز الأمي من تشخيص الطبيب! من الأديان السماوية؛ لم أعتنق غير الإسلام ديناً، فأنا مسلمٌ على دين النبي الذي سجد له الشجر، وبكى عليه الحجر، محمد رسول الله الذي أمرني بأن أحتفل بعيد الفطر وعيد الأضحي المباركين فقط من غير سائر الأعياد؛ لذلك وفّر لك حبرك يا مارك؛ ولا تهنّئي بأعياد المسيح؛ فأنا لست ممن يشترى شجرة الكريسمس ليحتفل بأعياد رأس السنة، ولا أذكر أن؟ ني أمنت يوماً بخرافات البابا نويل.

عن لوني المفضل؛ أرجوك لا تسألني؛ فسيكولوجية الألوان الخاصة بـ... تختلف كثيراً عن سيكولوجيتك؛ فليس كل أسود يُصيبني بالذعر والخوف، وليس كل أبيض يوجي إليّ بالأمان؛ فمثلاً هذه الكعبة شديدة السواد لكنني أشعر بالطمأنينة والخشوع حين أنظر إليها، وذلك البيت الأبيض ناصع البياض لكنني حين أنظر إليه يوجي إليّ أن كارثة ما ستحل بالوطن العربي قادمة من سفوح واشنطن! في المجال الرياضي؛ أذكر أنني

شجعت المنتخب اليمني ذات مرة في بطولة كأس الخليج؛ لكن اللاعبين خذلوني على أرضية الملعب تماماً كما خذلني الوزراء على طاولة الحوار؛ فكابتن المنتخب لاعبٌ مهاري، بارع في تسجيل الأهداف ولكن ضد مرماه، كذلك وزير الدفاع سياسيٌ، مكر، ولكنّه يستخدم المكر ليبطش بالشعب ويشن عليه سلسلة من الحروب!

نسيت أن أخبرك عن حالتي الاجتماعية؛ أنا - في الحقيقة - عازبٌ في هيئة متزوج، وإذا رزقني الله بطفل سأخبره أن محمداً رسول الله هو أشجع رجل عرفته البشرية، وأن أدولف هتلر ليس إلا مجرم حرب مهما حاول المؤرخون تحسين صورته، وإخفاء جرائمه، فرسول الله حين دخل مكة منتصراً عفا عن مشركي قريش وقال لهم [انذهبوا فأنتم الطلقاء] بينما قام هتلر بإحراق اليهود عن بكرة أبيهم في ساحة برلين فقط بمجرد أن استشاط غضباً عليهم! فشتان بين نبي يقابل الإساءة بالإحسان؛ ومُجرم يبطش ساعة الغضب وهو في الخصام غير مبين!

سفر النجوم

من رواية (العنين)

(١ - ٢)



خالد الحمدي

الوادي منابع مائه ، وتردم الترع والسواقي ،
ولا يقف مستنكر وينادي :

— كيف حدث ما حدث ..؟

وهذا أضعف الإيمان والتبصر ، وبعض مما
ينبغي أن يقال .

زادت الهوة ولم يعد لدى أحد القدرة على
ردمها ، تباعدت الأرواح ، والكل أصبح منشغلاً
بنفسه ، ولم تعد عائدات الأرض تشبع خواء
الأنفس الجائعة .. زاد سحر الديزل ، وصار
يصعب إيجادها إلا نادراً ، والأرض عطشى ، وما
بقي من النخيل أوشك يلفظ أنفاسه الأخيرة ،
وبكى الورد حين أحس بدنو الرحيل والسفر .
أحزنني كثيراً خبر زواج أحمد ابن عمي
إبراهيم من أختي تهاني . نعم ، هي الآن في
سنن الزواج ، وطلب الكثيرون يدها ، وهي
ترفض وأحياناً ترفض أمي وأبي معاً .. كثيرون
منهم لا يتعيبون ، في طيبتهم وأخلاقهم .
منهم من هو بدون عمل ، ومنهم من يعمل ،
ومنهم المسافر ، ومنهم من لا زال طالباً ،
ويتلقى مصروفه اليومي من أبيه .. مراراً
سمعت أمي تقول لأبي ، بعد أن يتقدم أحد
لخطبة أختي تهاني ويتم رفضه ..

— نريد من هو أفضل منه .

وكل عريس أفضل من الآخر ، وأمي حريصة
على أن يكون عريس ابنتها أفضل شباب

وفاجأتني الدنيا بأشياء لم أتوقعها ، ولم
أنتظرها البتة .

من الاستحالة بناء الأرواح وكسب ودها
ومودتها ، بالريزف والكذب ، ونهب عرقها
بالادعاءات والأبهامات الكاذبة . سينفض
الكذب ، وسيهرب مطأطأ ، ولن يترك خلفه
شيئاً ، سوى حطب محترق ورماد .

أو أكون مخطئاً في ما ذهبت إليه ..؟

كيف ذلك .. والمكر يسكب غيوث ريف ، والشر
ينقر رؤوس البائسين .

نحن بشر نصيب ونخطئ .. والأجدر أن
يعتذروا من أخطأوا ، أم لزالوا يصرون بأنهم
ليسو بمخطئين ..؟

كفى ما سرق منا ، وهل نستطيع الحفاظ على
ما بقي لدينا ، ومنع مصادرتة ونهبه ، والذهاب
به بعيداً . أعلم أن أرضي جرحني كثيراً ،
وعشت على ثقة ويقين أن الجراحات والآلام
المتواترة لا تضاهي لحظة حب أقف خلالها أمام
وجه (العنين) الفاتن ، الذي لا يفتروا وينطفئ .

لذلك أقول بصوت واثق : — من قتل عاشقاً
غيباً وقهراً ، كأنما قتل العشاق جميعاً ..
فمرارة الحب وقسوته ، حين تموت كمداً ،
وأنت تقا تل نلصرت ، وتأتيك بغتة طعنة
بظهرك ، فتموت وحيداً ، دون أن يضمك
حزن ، أو يد تمتد إليك . أيها الحب ، كيف
أطفئ لهبي وأشعلك ..؟ كيف أبرر غيابي
وانشغالي عنك ، وقد وصمت بأبشع التهم
التي لا تليق بك ..؟ وقد أضحت حياتي قرناً لا
تطاق .

صرت أمقتُ مواسم البهجة ، التي تجر الوجع
والخيبة ، وتاريخاً مثقلاً بالأكاذيب الماحقة .
خُيِّت القناديل وانطفأ ضوءها ، وطغى
الرصااص والموت ، بنهم وشراهة فادحة .
تغيب وجود وتجيء أخرى ، وقلوبنا تغوص
في التذمر ، وتمتلئ بالتأسف .. ترتفع
الأصوات عالياً ، فتخفق في مهدها ، ويبقى
صداها يحوم ويغرق في التيم ، ودروب الضياع .
مضى الزمن ، والمكان سيمضي .. وخوفي ألا
نجد وقتاً لنبكي على أطلالنا ، وقد يفقد

تسأل النج بفضول وهبل ، كيف لأرض
صغيرة أن تنتج كل هذا القمم ، وأراض
تجاورها لم تنتج إلا قليلاً .
أستجير بالسماء ، من شر ما حسد ..
ربي ، إنني لا أنظر لما في يد غيري ، ولا أدعو
أحدًا سواك .. أنت القادر والمعطي ، أنت الملائم
والارتكان إليك .

كارثة حين تنتحر القناعة ، ويموت الشكر
والحمد ، تحت سماء تسامح وتغفر ولا تعرف
الخداع . للمرة الأولى شعرت أن ثمة من يفرح
بهزيمتي وكسري ..
أنا الذي نشأت على أرض خشنة وقاسية ،
تربعت على عرش قلبي ، وألبستني النور
والحداد ، وطوقتني بقبور ، تتشهى خطواتي ،
ولا تشبع أو تمل .

لن أنفض من يدي غبارها ، ولن أغسلها إلا
متى رغبت ذلك .

قلقي يتنامى ويكبر ، أورثني غربة وذعراً ،
وخديعة تألفت مع روجي ودواخلي .
آه .. ذهب العمر وانسرفت أرواحنا ، وما
أمسكنا بشيء حتى انفلت منا ، ولم نحصد
سوى الخيبات المتلاحقة .

عواصف مثقلة بالخوف ، تفتح الشبايبك
وتلقي الذعر في قلوب الخائفين .
أغض عيني ، وأخض رأسي ، حتى يذهب
الضباب . أمشي دون توقف ، ودون التفاتة
خلفي ، طالما ملكت القدرة على التحمل ،
ومواجهة المفاجآت والانزلاقات القاتلة . رجم
الله جدي .. كان لمأحاً ودكياً .. على الرغم من
كبر سنه ، إلا أنه يقرأ بعقله كل شيء .

كم أحتاجه كثيراً ، بعد أن تصورت أشياء ،
وظهرت عكس ما تصورتها وحلمت بها ،



حملها يوماً . لن أخطو في مضايق العنف
والدروب الخائطة ..

ستقف خطاي في منتصف الطريق .. لن
أتقدم ، ولن أستطيع العودة ..

يباغتنى الموت ، والانفجارات الشديدة ، بين
وقت وآخر .

يهذا الرصاص هنا ، ويلعلع في مكان آخر ..
ومع سقوط كل ضحية ، تسقط دمعة ، وحلم
بداخلي يموت ويختصر .

لم يلق عمي إبراهيم بالما يحدث ، وظل
مهتمًا بالمسجد وما يحتاجه .. وظل سعيد
إماماً وخطيباً للمسجد ، وهذأت أصوات
الممانعة ، ورضخت للأمر الواقع .

ما فاجأني وشل تفكيري .. هو أن جاء عمي
إبراهيم إلى بيتنا ، وجلس مع أبي وحده
موعد الزواج .

وبدأت أمي وجدتي ، وبعض النساء من جيراننا
، في تهيئة البيت للفرح .. وفي الجهة الأخرى ،
لحظت عملاً يدهنون بعض غرف بيت عمي
إبراهيم بالطلاء .. ولمحت الباب الرئيسي
للبيت ، وقد دهن بلون بني فاتح .. ومهدت
الأرض التي تقع تحت البيت ، وتم رشها بالماء ،
وبدا البيت يشع بالنور والألوان الزاهية .

رُفَّت تهناني لأحمد ، بأناشيد البهجة وزغاريد
الفرح ، ورصاص يشق سكون الليل وهدوءه ،
ويوقظ النائمين .

وفي عيني أمي دمع ودعاء ، ووجه أبي يشع
زهواً وانبهاراً .

أغلق بابهما ، ولست أدري كيف ستخوض
المعركة المستحبة . هو لم يلتقيها أو يحادثها
ذات يوم .. وهي لا تغادر حياءها ، وتعيش في
بيت يتسع ويضيق .

تري كيف هو قلبها الآن ..؟

لم ينجح أحمد في العلم ، وفلح في طولة
اللسان ، وإيهام الجميع ، بأديم وطيب خلقه .

أنا من أعرفه ، وأفهم سلوكه جيداً .. وربما يكون
قد تقدم لأسر كثيرة ، طلباً في تزويجه بأحد
بناتهم ، ومن المؤكد أنهم رفضوه .. لكن لن
يسمع مني أبي كلاماً كهذا .. وما أذهلني وصدمني
كثيراً .. أن أمي صار رأيها موافقاً رأي أبي ..

أمي التي أضحت لا تطيق عيشة أبي ،
وتمتعض كثيراً من كلماته ، ولا تطيق له
كلمة واحدة .. بعد أن اعتزل الناس ، وخلد في
البيت منذ وقت ليس ببعيد .. حتى المسجد
الذي يبعد بضع خطوات عن بيتنا صار لا
يذهب إليه . سمعته مرة وهو يحدث أحداً

عبر هاتف البيت ، ويقول بصوت قلق :

– ليس عندي شيء لأحد .

ثم خفض صوته حين شعر بمروري بجواره ..

وقال بهمس :

– لن أبرح بيتي .. ثم صمت دقائق ، كمن هو
يصغي لصوت محدثه . بعد ذلك رد بغضب :

– هذا ليس وقته الآن ..

ثم أغلق سماعة الهاتف ، وأطل برأسه من
شباك الغرفة ، ثم عاد بنظراته ، وهو في
صمت حقيق .

كانت حينها يد الإفك ، تقتل مناظلي القرية
وعظماءها ، وتدعمهم في الشوارع والأرقة
مضرجين بدمائهم .. والأمر من ذلك عدم وصول
العدالة إليهم .. وظل الموت يظفر كل يوم
بضحية ، ويلود هاربا ، دون أن يلاحقه أحد .
واقف مخيف ، لا أملك خلاله سلاحاً ، سوى
الاعتناء بالزرع والحصاد ، وقلبا يقرع كالطبل
بين ضلوعي ودواخلي .

أبي لديه سلاحه الآلي ، وجدّي ترك بندقية
قديمة ، أجيد استخدامها ، ولم أفكر في

القرية . وأول شروطها أن يكون يصوم ويصلي ،
وعلى خلق حسن ، ولا تنظر لما يملك من مال ،
بل لاتسأل حتى عن عمله .. وأبي يرغب في
عريس ميسورة أحواله المادية ، وألا يكون من
خارج عائلتنا الكريمة . أعلم أن عمي إبراهيم
يحب الخير كثيراً ، وأحمد ابنه ، وتهاني بنت
أخيه ، وهي مثل ابنته .. لكنني أعرف أن أحمد
لا يشبه عمي أبداً .. ولا أدري كيف وافق أبي
وأمي وكيف اقتنعت تهناني بأن يكون أحمد
عريسها ، وهي التي رفضت شاباً كثيراً ، أروع
وأجمل خلقاً وديناً ، من أحمد ابن عمي
إبراهيم . قلت لأبي بتوسل ورجاء :

– كيف قبلت بأحمد زوجاً لتهناني ..؟

رد علي بحدّة :

– إنه رجل . قلت يعتب أعلم أنه رجل .. ولكن

الرجال لا يستوون .

قال وقد علت وجهه حمرة داكنة :

– هو ابن عمها ، وأولى بها من الغريب .. واللي
تعرفه أحسن من الذي لاتعرفه .

قلت بخوف وضجر :

– جميع من تقدموا للزواج من تهناني رجال .

رد بصوت غاضب :

– لم يبق إلا أن تعلمني الخطأ والصواب .

قلت له بصوت هامس ، وعبرة تكاد تخنقني :

– أعتذري يا أبي .

وأردفت بوجع وألم :

– لك ما تشاء .

لاحت من عيني نظرة تجاهي ، شعرت فيها
بامتعاض مما قلت .. تمتمت في داخلي : –
الله وحده علام الغيوب .

تركني وحيداً ، وغادرني صوب غرفته التي
تجاور غرفة أمي ، كمن يقول :

– لن تقدم أو تؤخر كلماتك شيئاً أمره معقود .



رواية ليل^(٤)

ظلال صباحية دأكنت



صالح سعيد بحرق

أفقت على ضوضاء في الشارع أسفل مني ..
كان النهار يتسلل ببطء شحيح إلى غرفتي،
يكتسح بقايا الليل، وينشر بهجته التي
تصطدم بمخلفات تلك الليلة، وما زال هناك
على مبعدة مني خيال ليلي، يفد مع تباشير
الصباح، وتذكرت على التو كيف كانت تقف
شاحبة تتعثر في طريقها كلما همت بالمشي
!!؟

إن المرء دوماً ما يشرع في تتبع أشيائه
الصغيرة، التي يكون بمعزل عنها لا شيء
وإنما لتكون حاضرة قريبة من متناوله، فمن
دفع تذاكرها تنهمر أمطار السعادة والجمال.
وهنا دنوت من حافة الحلم الجميل ذاك،
وهبطت طرق عدة موحشة بالذكرى، وجاءني
من الخلف على نحو مواز صوت ليلي من
الغربة :

- لماذا لا تجيب على رسائلنا؟
- ليس لدي وقتها وقت كافٍ، لكنني كنتُ
أكتبها على نحو ما من قلبي، وأودعها هنا
- هنا قرأت لي بعض سطورها !!
- ليس بوسعي إلا أن أقول كلمة واحدة فقط
لم أنسها يوماً.
- ما هي .. قلها لي ..
- أحبك !!

وضحكت .. انتابني فرح عظيم .. أوشكت
على السقوط أرضاً، وكان الصباح حالكاً في

ذهني، تتمطى في أفيائه كائنات مربعية
تخيفني، فأزيع عن وجهي بقايا الليل لأقع في
شراكها من جديد.
وتناوشتني عدة أسئلة صعبة : كيف عدتُ
تلك الليلة إلى ليلي؟! وكيف جلستُ على حافة
سريرها مرعباً يندى جبيني بالعرق؟! وكيف
نهضتُ ورببتُ على كتفي وانهالت عليّ
بالقبل، كنتُ صامتاً يفجيني البؤس، ويربكني
الانتظار والوجل، ويعيش في ذاكرتي الليل
والخوف وانعدام الأمل.

فتشت في جيوبي عن لعبة التبغ فلم أجدها،
نظرت إلى الصور المعلقة بغرفتها، نظرت إلى
فساتينها وشعرت بقليل من الفرح، وتجلت لي
ليلى في الليل كقمر ناصع مريب.
بدأ جسمي يترهل قليلاً، وبدأت الشيوخوخة
ترحف إلى شعر رأسي، وبدأ القلق يتعمد في
أمكنة الروح، ويهفو بي الحنين فلا يجد له
ذلك المتسع القديم فأنجح إلى مساقط الوهم
والذكرى، فألاقي اليأس يعربد في أنحائها
يظهر تارة ويغيب.

كان الصباح قد بدأ يفتح شهيتي للنزهة
قليلاً، وكانت الشمس تعانق زجاج نافذتي
المتسخ، فنزلت إلى أفياء قريبة من العمارة
فبقيت في الأسفل. كان إيقاع الحياة بطيئاً في
البدء، وكانت عتمة الليل لمأ تزل في ذهني،
وكانت تسمح بمرور عجلة الصباح إلى
مخيّلي، فتصبح الأشياء داخلها دأكنت،
وكانت ثمة سحب في السماء تغادر مربعا أزرق
باهتاً لتتجمع بشكل دأكن أيضاً، وكانت
المحال قد تسأل إليها ضوء النهار فلامست
أبوابها وأرجاءها، ورأيت كيف أن الناس كانوا
يهرعون إلى أشيائهم وفكرت هل من أمنية
لي؟ فأطلت في معاطف السوأل ليلي من
جديد:

- نادر.. ألا تشتري لي ذلك الفستان ؟؟

- الذي هناك في معرض الحمراء..
- نعم في الوسط.. رأيته ؟؟
- نعم .. نعم !

- هيا بنا.. ولكنني الساعة لا املك نقوداً؟؟
- ها ها ها عندي ما يكفي
- أوحاً؟

وأذكر أني ضممت يديا إلى يدي، فرأى لهيب
الشوق يقترب رغبتني المكبوتة، ولما أن
رجعنا كان في عينيها بعض شوق ورغبة،
لكنني كنتُ لا أنال شيئاً من هذا، فكنتُ كلما
جنحتُ إلى ملاطفتها يغزوني ليل عقيم من
الشجن فأقع فريسة له.

ويَنهمر بي خوف فأتحسس الأشياء من
حولي بغية ألا أفقدها، كان الشارع قد اكتظ
بالناس، وبدأت الشمس تسطع بشكل أقوى،
واقتربت من مصنع الخبز، وسلّمت على العم
محمود وأنا أتناول أرغفتي، وأنظر إلى قوأم
امرأة شابة، وأطرد خيال ليلي، وأرنو إلى
الرصيف الداكن.

وفكرت إلى متى يسحقني هذا الليل الذي
يخرج من بطون المأساة، ويتربع عرش
قناعاتي ولا يفيق إلا على صحوي في ليالي
التيه، أنا المسكون بالليل أينما يممتُ،
المشخ بسواده، القابض على جمر اتقاده،
كيف لي أن أتصالح معه أن أحبه؟ أن أدخل
بيوته الموبوءة بالحزن والمتسربة بالظنون؟
وهل لكل منا نحن البشر ليله؟ لكل منا
ترقباته وحده بالليل؟ إذ يفد الأمل
رويداً رويداً من صحراء اليأس ليعانق بعض
رُسوم فرح مندثرة على أصقاع الروح.

أخذت أرغفة الخبز ومضيت، كنتُ وأنا أسير
أذكر أغنية قديمة بدوية، كانت تروق لي
كلماتها، كنتُ أجد نفسي مندفعاً لترتيل
كلماتها على إيقاعات هذا الصباح لأختبي في
ظلال دأكنة هادئة.



وَيَفِيضُ فِي دمي، يتلاشى حتّى أحسبهُ قد
ضاع مِنّي.

- أهذا شعراً؟

- هو كالشعر .. حُبُّكَ ليلي شعراً مِنْ جُنْسٍ
خَاصٍ.

- هههه أَوْحَقُ ما تقول؟! .. أراك الليلة
مُبْتَهِجاً! لَسْتُ كَعَادَتِكَ .. هلْ هَرَبَ مِنْكَ الليلُ
الذي تُعَانِيهِ؟

- لا... إنه قَابِـعٌ داخلي ... ولكنَّ وجودك
مَعِي ...

- أنا لَسْتُ مَعَكَ أَنْظُرُ حَوَالِيكَ إِنَّكَ
تَهْذِي ...

وتُـلَاشِي صوتَ ليلي عبر جدار الصمتِ،
وولجْتُ المنزلَ وحيداً، وقد اضطربتْ قَوَايِ،
فَارْتَمَيْتُ على السرير بقسوة، وَرَحْتُ أَعْدُ
عِيدَانِ السَّقْفِ كعادتي قبل أنْ أنام ...

وفي الصباح كانت هدى تستقبلي
بابتسامة، وترى شُحُوبَ وجهي، وتناولني
كوبَ الشاي، وتجلسُ على طرفِ المُنْصَدَةِ،
وقد انسَدَلَتْ خَصَلَاتُ شَعْرَهَا، وَضَعُ جَسَدُهَا
بالأنوثة والجمال، وتحركُ في داخلي ظمأُ

الحنين، واستفاقتْ مروجُ الشوقِ والحبِّ،
وتصادمتْ رَغَبَاتُ الليل والصباح فاقتربتْ

منها، وشَمَمْتُ عَطْرَهَا، نظرتُ إلى الخلفِ وإلى
الأمم فوجدتُ نفسي أمامَ فتاةٍ مشتعلةٍ

بالحبِّ والرغبة، وكانت على الجدارِ ثَمَةً لوحَةً
للطبيعة وأنا أقترِبُ من هدى، كانت الأغصانُ

تقتربُ من بعضها، والريحُ تَعْبَثُ بِهَا،
وكانتْ هُنَاكَ على الأطرافِ أزهارٌ تتفتَحُ، ونهرٌ

يجري بقوة، وشلالٌ أبيضُ من الماءِ يتقافزُ
على التلالِ الزاهية، وهدى قد استحالتْ إلى

رقعة من شجرةٍ عُرَاها الخريفُ .. وتتبدلُ في
ذهني الفصولُ، ويقتربُ العُمُرُ مِنْ لحظاتٍ

حاسمةٍ، لكنَّ الليلَ المُوَارِبَ لي يَفْجَعُنِي،
يَمْتَصُّ كُلَّ هذه الآمالِ، وَيُقَيِّنِي في شَرِكِ

النَّجْوَى والانتظارِ، فأهْفُو إلى ميلادِ قصيدةٍ
من شتاءِ العُمُرِ والنسيانِ، وأودعُ هدى على

البابِ وهي ما تزالُ تُطاردُ ذلكَ الخُمُولَ الذي
اكتسَحَ جَسَدَهَا حينَ قَبَّلْتُهَا، ثُمَّ نهَضَتْ إلى

مكتبها، وخرجتْ في إثرها إلى الشارعِ .. كانتِ
السَّمَاءُ التي تُظِلُّني داكنةً، وكنتُ أحاربُ بقايا

الليل والخوفِ فلا أستطيعُ إلَّا أنْ أَكونَ وحيداً
مع هواجِسٍ مستمرةٍ، لكنِّي لَمَّا التَفَّتْ إلى

الوَرَاءِ رَأَيْتُ الشَّمْسَ تُرْسِلُ اشْعَتَهَا بِقُوَّةٍ
على الوجودِ.

كانَ العملُ يجري بوتيرةٍ سريعةٍ كُلَّ يومٍ، ولا
تنقطعُ الطلباتُ، وكانتْ بِرَكَاتُ على الآلةِ

الكاتبةِ مَغْرَمَةً بِشُرْبِ الشاي، تظهرُ عجيزتها
من الكرسيِّ الخشبيِّ المتهاكِكِ، الذي كنتُ

أتوقَّعُ أنْ يهوي بها يوماً، وبالفعل سقطتْ
ذاتَ يومٍ على الأرضِ، كنتُ خارجَ الشَّرَكَةِ في

مُهْمَةٍ عِنْدَمَا وصلني الخبرُ، جَرِيتُ بِكُلِّ قُوَّتِي،
ولكنِّي كنتُ قد وجدتها قد غادرتْ ولم تبقِ إلَّا

حقيبتها، التي بداخلها عِطْرُهَا المميزُ، وقالتْ
لي هدى لَمَّا لاحظتْ اهتمامي :

- ستعود يوماً وسوف تشبع منها.

- ماهذا يا هدى؟!!

- إنه الصواب، أنت مهتمٌ بها.

- إن هذا غير صحيح.

- يحلو لكم أنتم الرجال أن تفعلوا بالنساء
وقلوبهن ما تشاؤون.

- لا أخفيك إنني أحترمها، ولكنك أنت شيءٌ
مختلفٌ تماماً.

- لم أفهم.

- سيُظِلُّنَ هكذا غامضةً .. إني أجبُك يا
هدى.

- إنك تُشفِّقُ بي لِمَرَضٍ أُمِّي لكن لا تُجِبْنِي.

ثم انخرطتُ في بكاءٍ هستيريٍّ عميقٍ ...

وفي الليل كنتُ أعودُ وحيداً إلى منزلي، لا
تستهويني إلَّا لحظاتٌ منصرمةٌ من العمر، ولا

تُجُولُ في سَمَائِي غَيْرُ سُحْبِ الرَّجَاءِ والانتظارِ،
وكانتِ الطُّرُقَاتُ شَبَهَ خَالِيَةٍ، وكانتِ الأصواتُ

من جهةٍ بعيدةٍ تُسْمَعُ ولا أرى أحداً يَمْرُقُ
الشارعَ إلَّا كِلَابُ الليلِ، وقد تعلقَ بي أَمَلٌ حينَ

وَصَلْتُ قُرْبَ المنزلِ، وراحتْ أصداءُ الماضي
تَنهَمُرُ بِبُيْسُرٍ حينَ شَقَقْتُ الظلامَ، وأدْرَتْ

المفتاحَ، ودخلتُ طرفَ الشُّقَّةِ، يا لَهْوَلْ!
كانتْ صورةُ ليلي ماثلةً أمامي لا تَزُولُ، تَصْعَدُ

الدَّرَجَ الحَجَرِيَّ مَعِي، وتُـوَمِّئُ بِرَأْسِهَا مَعِي،
وتُنشِدُ الشَّعْرَ إذا أنشدته مَعِي، وتَهْمِسُ مَعِي

للخوفِ لليلِ للجمالِ داخلي، تُضِيءُ رَغْمَ
العتمةِ، تُشْرِقُ رَغْمَ الكآبةِ تُرَكِّضُ رَغْمَ مَسَافَةِ

العذابِ .. وتُخَاطِبُنِي كَلِمًا ولجتْ سَمَاءَ الحبِّ،
وكَلِمًا ظَلَلتْ أَنْتَظِرُ أَنْ تُفِيضَ عَلَيَّ بِحُبِّهَا قالتْ

لي مِنْ لَدُنْ جِدَارِ الصَّمْتِ:

- لماذا لا تسأل عني؟

- مشغول.

- هههه أحمًا؟

- لا ليس هذا هو السبب.

- وما السبب إذا؟

- لا أدري! أحيانًا يتقلَّصُ حُبُّكَ داخلي، ينهمرُ



كان الأفقُ هو الآخر داكنًا، يَهْبِئُني صراعًا
متقطعًا مع الحزنِ، ويُخَيِّفُنِي كُلَّمَا يَمُمْتُ
جهةً ما لأَمْشِي كانَ يَسْبِقُنِي بالتساؤلاتِ
وبالفقدِ المُستمرِّ للفرحِ، فلا تُنْقِذُنِي إلَّا
ليلى؛ إذْ تُمَطِّرُ عَلَيَّ بِشَارَتِهَا وأنا أَجْتَازُ دَرْبًا
مُكْتَظًا بالناسِ :

- نادر.. أَلَا تخشى المشي؟ قلتُ أنه يوقظ
شجني..

- لكنه يحرك سحب هذا الليل داخلي لترحل
وتسقط شجنها بعيداً مني.

- وأنا معك تشعر بالحزن.

- نعم!!

- أَلَا ينتهي هذا الليل من حياتنا؟؟

- إنه ليل ساحق يمتص منا طري الأمنيات.

- دعني أقترِبُ منه.

- أخاف عليك منه.

- أَيْهَذَا الحَدُّ تُجِبْنِي؟

- أنتِ قِيْثَارَةٌ في سَمَاءِ حَزْنِي!!

واقتربتُ من الوصولِ إلى منزلي، وكنتُ
أَتَلَكَّأُ لَأَسْلَمَ على جَارَتِي، لكنها كانت قد

مَرَقَتْ مُسْرَعَةً من أمامي من غير أن تَلْتَفِتَ
إليَّ، فَحَزَنْتُ لِأَنِّي لم أسمع صوتها ولا سَمِئًا

أنها كانت لها نبرة خاصة في الصباح مشوبةً
بالحزن.

كان منزلي يتوسطُ مجموعة من المنازلِ،
وكانَ إيجارُهُ مرتفعًا، أدفعُهُ كُلَّ شهرٍ من

شركة الاتصالاتِ، التي كنتُ أَعْمَلُ بِهَا؛ إذْ
كنتُ عاملاً فنيًا في الخُطوطِ، أَعْمَلُ بِرَفَقَةٍ

موظفتين من عدنِ جميلتين هدى وبركاتِ،
وكانتْ بركاتُ تميلُ إلى محادثتي لتتحصلَ

على بَكْتِ التدخينِ، وأما هدى فكانت طَوَالَ
الوقتِ صامتةً، كانتْ أَكْثَرَ امتلاءً، وأكْثَرَ نظارةً،

عينها تُحَاكِيانَ شَطوطَ صيرة، وَخَدَاهَا
يَمْنَحَانِي دِفْئًا لَنْ أَنْسَاهُ .. بَيِّدَ أَنَّهَا كانتْ

تُخْفِي حَزْنَاً وَالْمَا، وتُعَايشُ لَيْلًا مثلي لا ينتهي.

المؤرخ الملاحى ... لسانك حصانك



إلى إن الأستاذ الملاحى - الذي نال قبولاً مجتمعياً لافتاً - تقلبت به سبل الحياة، وتشعبت مشاربها بين العمل في سلك التدريس، والعمل الإدارى، والإسهام الثقافى الإبداعي، ثم التفرغ للكتابة التاريخية، بيد أن هذه التفرعات كما قد تبدو لم تكن تمضي معزولة عن بعضها، بل تداخلت في شخصيته؛ بحيث يصعب الفصل بينها، لكنه اشتهر بالكتابة التاريخية وعشق التراث جنباً إلى جنب مع نشاطه المجتمعي الوطني، وعمله الرسمي. وهناك ميزة مهمة تجدها في شخصية الملاحى وعلاقته المنفتحة مع زواره وأصدقائه وتلاميذه، فليس غريباً أن تجد في مجلس الملاحى السلفى، والصوفى، والليبرالى، وغيرهم. كان يرى أن نقاط الالتقاء بين الناس أكثر من نقاط التباعد والتشاحن، وأن الأصل في العلاقات بين الناس هو احترام الاختلاف، وتقابل وجهات النظر لهذا حرص على أن يكون على مسافة معقولة من محيطه المجتمعي مما أكسبه مكانة سامية في قلوب من عرفوه، واقتربوا منه، وأضفى على مجالسه حالة خاصة من الاحترام والتبجيل.

أ. د. عبدالله سعيد بن جاسر الجعفيدي

قد يأتي على الإنسان حين من الدهر يدخل في تجربة أو موقف يكون له صدق في وجدانه، وأثر في أعماقه أكثر من أي زمن آخر، هذه المواقف قد تكون مشهداً حزيناً أو خيراً مبهجاً أو كلمة صادمة أو نصيحة نافذة، فنحن كم نسمع من نصائح ومواعظ، وكم نقرأ من محاسن الكلم، التي تحتل على رباطة الجأش والتصرف السليم، ولكن تتفاوت الاستجابة للمواقف بعوامل ترتبط بسيكولوجية الأفراد، وخبراتهم في الحياة، ومحكومة بعوامل كثيرة.

وكما أن الشعوب المندفعة إلى مآلات غير منضبطة لا تنتبه إلى سوء المصير إلا بعد خراب مالطا)، فإن هناك أشـخاصاً لا يتعلمون إلا بعد أن يمرؤا بصدمات وعثرات استثنائية تكون بمثابة جرس إنذار (وكل دقة بتعلومة) كما يقول الحضارمة بلهجته الدارجة، وكثير من الشعوب تلجأ إلى التاريخ تلتهم منه الحكمة؛ بوصفه مستودع التجارب الإنسانية، لكن الشعوب التي تقر التاريخ ولا تتدبره حالها كحال الأفراد الذين تشبعوا بالخطب الرنانة التي تحتل على مكارم الأخلاق من غير أن يكون لها أثر أو تطبيق في سلوكهم، خاصة عندما تصدم بمشكلات واقعهم المعيش، وغالبهم العرب بإدمان قراءة التاريخ من غير إنعام النظر في مراميه، لهذا تجدهم يقعون فريسة سهلة لمن أراد بهم الشر من خلال استدعاء التاريخ بغرض الفتنة وخراب البلاد، وفساد العباد، ولكن العرب - ليس بدعاً في هذا المضمار - وحتى الغرب الأوروبي لم تسعفهم حكم التاريخ في الحد من صراعاتهم المذهبية والاستعمارية، وما الحربان العالميتان - اللتان تسببتا في وفاة ملايين البشر - عنأ ببعيد.

وقريب من هذا وفي باب الصدمات التي لها أثر إيجابي في حياة الناس صار لنا موقف مع المؤرخ عبد الرحمن الملاحى رحمه الله، وقبل استعراض هذا الموقف تجدر الإشارة

وبهذه المعرفة وقد كنت مع ثلثة من الأصدقاء نركز في أحاديثنا الودية معه على ماله علاقة بالتاريخ والثقافة والهم المجتمعي، ولا تخلو الجلسات من سرد الحكايات، وحديث الذكريات، والمواقف الطريفة، وعلى أية حال كانت لي مع المؤرخ الملاحى عادة حرصت على استمرارها إلى أيامه الأخيرة في هذه الدنيا، وهي التواصل عبر الهاتف في ساعة محددة، ويوم من الأسبوع متفق عليه، وغالباً ما أوافيه بالجديد في النشاط الثقافي في مدينة المكلا وأخبار أصدقائه في الحرف والكلمة والمواقف المجتمعية والوطنية، وكنت أتعمد تجنب الحديث عن نشاط علمي كان يتابعه عن بعد وكنت طرفاً فيه، لكنه تعثر لأسباب خارجة عن إرادتي، ومع تكرار تساؤله والحاجة اضطررت في البوح عن ذكر الأسباب المتعلقة بالشخص المتهم بتأخير هذا النشاط، وبدأ الأمر وكأنني بصدد السقوط في فصل من الغيبة الممقوتة في صديقنا المشترك، فبسرعة حرف الحديث إلى واد بعيد، وشعرت أنه تركني متعمداً في شعب خلي، ...، صحيح الملاحى لم يقم ناصحاً لكن رسالته وصلت في حين من الدهر بأقوى من طقات المدافع، وأسرع من أزيز الطائرات، تعلمت بها درساً راقياً تغلغل في شراييني برداً وسلاماً..



بريشة الفنان : سالم ياسليم





مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

Hadhramaut Centre for Historical Studies
Documentation and Publication.

من إصدارات المركز

